



جامعة وهران 2
كلية العلوم الاجتماعية
تخصص الفلسفة والتحليل الجيوستراتيجي

أطروحة

للحصول على شهادة دكتوراه الطور الثالث ل م د

إبستمولوجيا الدراسات الجيوسياسية قراءة في المباحث والتوجهات الجديدة للجغرافيا السياسية

تحت إشراف
أ.د. الزاوي الحسين

مقدمة ومناقشة علنا من طرف
الباحث: بلغراس بومدين

أهـام لجنـة المناقشة

اللقب والاسم	الرتبة	المؤسسة الأصلية	الصفة
عبد اللاوي عبد الله	أستاذ التعليم العالي	جامعة وهران 2	رئيسا
الزاوي الحسين	أستاذ التعليم العالي	جامعة وهران 2	مشرفا ومقرررا
بوشيبة محمد	أستاذ التعليم العالي	جامعة وهران 2	مناقشا
موسى عبد الله	أستاذ التعليم العالي	جامعة سعيدة	مناقشا
العربي ميلود	أستاذ التعليم العالي	جامعة مستغانم	مناقشا

شكر و تقدير

أشكر الله تعالى و أحمده على توفيقه لي في نجاز هذا البحث المتواضع .

كما أتقدم بجزيل الشكر و العرفان و الإمتنان لأستاذي الفاضل البروفيسور الزاوي الحسين لتفضله بالإشراف على هذا العمل ، و على كل ما قدمه لي برحابة صدره من نصائح القيمة و توجيهاته السديدة التي كان لها الأثر البالغ في أن تتم هذه الأطروحة على النحو الذي إنتهت عليه .

كما أتقدم بالشكر الجزيل للأساتذة الكرام أعضاء لجنة المناقشة .

و أتبرحم على أستاذي الفاضل الدكتور مختار برباح رحمه الله و أتقدم له بوافر الشكر و الإمتنان لمجهوداته و النضائح التي قدمها لي ،
جعلها الله في ميزان حسناته .

كما أتوجه بتحية تقدير لأساتذتي في قسم الفلسفة و التحليل الجيواستراتيجي خاصة البروفيسور عبد الاوي عبد الله الذي لم يبخل علي بالنصح و التوجيه ،

و الشكر كذلك لزملائي الطلبة خاصة صديقي سماي صديق ، و الشكر موصول للطاقم الإداري لكلية العلوم الإجتماعية و بالأخص الأخت خضرة التي بذلت جهدا كبيرا في مسانذتي و تشجيعي لإتمام هذه الأطروحة .

و الشكر موصول إلى كل من تزودت بعلمهم من الطور الإبتدائي إلى ما بعد التدرج، وكل من ساعدني من قريب أو بعيد في إنجاز هذا العمل .

الإهداء

إلى الذي كبرت تحت ظلاله و شموخه ، إلى نبع الطيبة و التسامح ، إلى الذي زرع
بداخلي بذورا أنبتت طموحا و أملا و تحديا لا ينفذ ، إلى الذي دفعني لحب العلم و
العزم على السير في طريق المعرفة .

إلى أبي العزيز الغالي أبقاه الله لي تاجا و سندا .

إلى التي بنت حنا من الحنان لتغمرني به ، إلى التي زرعت في قلبي بذور الأمل و
إفتشك لي طريق النجاح ، إلى الشمعة التي تحترق لتضيء دنياي ، إلى هدية الله
من السماء .

إلى أمي العزيزة الحنونة حفظها الله لي دواما .

إلى رمز الصبر و الطيبة و الحنان جدتي العزيزة الغالية .

إلى من هم لي سند و عزم و إرادة إخوتي الأعمام أمين ، وليد ، شفيع

إلى النور الذي أشرق في بيتنا ليملأه فرح و سعادة و إبتهاج إبن أخي ياسر

إلى كل أفراد العائلة الكريمة

إلى زملائي و أصدقائي الأعمام جعلهم الله ذخرا لي

إليهم جميعا أهدي هذا العمل

تعتبر الجيوسياسة ذات أهمية بالغة خاصة إتجاه المتغيرات الإقليمية والدولية في كافة أنحاء العالم، نظرا للدور الكبير الذي يؤديه عاملا المكان و السياسة في حياة الدول المعاصرة.

ورغم إكتسابها هذه الأهمية العالمية في مختلف الأوساط الأكاديمية و السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية و الإستراتيجية إلا أن هذا العلم كان مثير للجدل أحيانا، و واسع الإستخدام أحيانا أخرى، و سيء السمعة في بعض الأوساط، و ذو خلافات أكاديمية تارة أخرى أو حتى المطالبة بحظره في الوسط الأكاديمي خلال بعض الحقب خلال الحرب الباردة مثلا ، و ذو تأويلات محيرة تارة و ذو وزن ثقيل تارة أخرى حتى في أعلى هرم السلطات السياسية . إلا أنّ كل هذه العوامل زادت من أهميته و الحاجة إلى تحليلاته وتفسيراته للأحداث الدولية و الإستشراف لمستقبل العلاقات الدولية والسياسات العالمية والإقليمية . و حتى نرفع كل إلتباس أو غموض يشوب هذا العلم ومن أجل تبيان أسسه ونشأته و نظرياته و مناهجه و المفكرين الذين ساهموا في بنائه وإثراءه، كان لزاما علينا أن ندرسه دراسة إستمولوجية معرفية تحمل سياقات بروز هذا العلم منفصل عن غيره من العلوم و الغايات الوظيفية له ، وأسباب نشأته و محركات تطوره ورموزه وإسقاطاته على الواقع والقطائع الإستمولوجية التي واجهته و الإنتقادات حول نظرياته و التمرجات المعرفية التي مست هذا الحقل الذي يتقاطع مع العديد من العلوم منها علم السياسة والجغرافيا والتاريخ والإقتصاد و الفلسفة و غيرها من العلوم .

وإذ نسعى لتحديد معنى الجيوسياسية من خلال المفكرين الجيوسياسيين والعسكريين و السياسيين و الجغرافيين و الفلاسفة الذين كتبوا حول هذا العلم الهام فإنه قد عُمل به ومُورس منذ القدم، و لطالما كانت ولا تزال الجغرافيا من بين أهم العلوم التي يبحث ويهتم بها الإنسان عبر العصور إلى يومنا هذا، و لا تزال تحظى بأهمية بالغة في حياة الدول والمجتمعات. وأغلب النزاعات و العلاقات بين الأمم متعلقة بها . وما شهدته الجغرافيا من سلم و حرب و حركات تحررية و مشاريع إقتصادية و ثقافية وغيرها كان يتحكم بها السياسيون ، فتتأثر السياسة بالجغرافيا و تتأثر الجغرافيا بالسياسة حيث كانت محل إهتمام كل الشعوب و قادتها قبل أن تخضع لدراسات علمية و تحليلية أكاديمية .

ولقد إهتم بالجيوسياسية العديد من العلماء و المفكرين حتى أصبح أداة من أدوات الحكم في الدولة و من بين المنظرين لها الألماني فريديريك راتزل من خلال كتابه الشهير الجغرافيا السياسية و العالم السويدي رودلف كيلن و الألماني كارل هاوس هوفر، والأمريكي هالفرد ماهان و نيكولا سبيكمان و البريطاني هالفرد ماكندر و غيرهم والذين سنتطرق إليهم بالتفصيل لاحقا .

و من هذا المنطلق نحاول دراسة الجيوسياسية من خلال القراءة الإستمولوجية لها، محاولين الإبتعاد عن المضامين و التوجهات الإيديولوجية حتى نقرب بمفهوم الجغرافيا السياسية إلى الموضوعية . ومن خلاله ستعتمد الدراسة على هذا التصور في الكشف على المفهوم والبحث في توجهاته الجديدة .

فتسعى الجيوسياسة إلى تفسير الأحداث التاريخية و الراهنة من منظورها الخاص مكونة بذلك رؤية متميزة عن تفسيرات العلوم الإجتماعية و السياسية و الإقتصادية، مانحة رؤية فريدة للعالم .

أهمية الدراسة :

لا يكاد يخفى على كل متابع للأحداث الدولية الراهنة إستعمال مصطلح الجغرافيا السياسية أو الجيوسياسة أو الجيوبوليتيك في نشرات الأخبار و الحصص الوثائقية و من قبل الشخصيات العالمية من رؤساء دول و المنظمات الدولية و السياسيين و الدبلوماسيين و الإقتصاديين و المحللين السياسيين و الصحفيين ، حيث إنتشر بشكل واسع هذا العلم الذي أضحى السبيل الوحيد أحيانا لتحليل التطورات الدولية الحاصلة و تفسير سلوك الدول و الفاعلين الدوليين على الساحة العالمية و كذا على المستويات المحلية داخل الدول و بين الإثنيات و المقاطعات الإقليمية و غيرها .

ومن هنا تأخذ هذه الدراسة أهمية بالغة للتأصيل المعرفي الإبستمولوجي لعلم الجيوسياسة من خلال البحث عن أسباب نشأتها و تطورها و المفاهيم التي تحملها و التوجهات التي ترسمها والغاية منها و مضامينها ، و كذا تقسيم المراحل التي مرت بها من خلال تتبع جينالوجيا النظريات المؤسسة لها و تحليل أسباب إستمرارها و القطاعات الإبستمولوجية التي واجهتها .

كما تكمن أهمية البحث في توضيح المعالم الجيوسياسية لصانع القرار و الدّارس في هذا المجال لتكوين صورة تفسيرية واضحة للظواهر السياسية على جغرافيات الدول و مدى

تأثير السياسة في الجغرافيا و العكس ، و كذا إستشراف الأحداث المستقبلية لوضع إستراتيجيات حماية مصالح الدول و أمنها القومي و تمركزها بين التكتلات العالمية والصراعات الدولية .

أهداف الدراسة :

يسعى بحثنا إلى إبراز النظريات الجيوسياسية و دراستها إبستمولوجيا بكل الظروف التي أدت إلى نشأتها و الغايات التي كانت مرجوة من وجودها بغيت تحديدها و بذلك معرفة أهدافها.

كما تسعى الدراسة إلى إبراز أدوات التحليل الجيوسياسي من خلال تبيان الفواعل الأساسية التي تتحرك بها الجيوسياسة.

كما نسعى لفهم تطور الصراعات الجيوسياسية بين القوى العظمى الدولية و مسار التنافس بينها و تحليل الإستراتيجيات المتبعة لتحقيق مصالح كل واحدة منها .

كذلك الصراعات بين القوى الإقليمية المحدودة و الإستراتيجيات الجديدة التي تناور من خلالها لإثبات وجودها و حماية مصالحها .

إشكالية الدراسة :

و بذلك تتمحور الإشكالية الأساسية للدراسة حول :

- ما هي التحولات الإبستمولوجية التي مر بها علم الجيوسياسة ؟

و تتفرع إلى إشكاليات فرعية :

- ما هي الأسس المعرفية للنظريات الجيوسياسية ؟
- كيف تطورت الأطروحات الجيوسياسية و نظرياتها المعرفية ؟
- هل مر الفكر الجيوسياسي بقطائع إبستمولوجية ؟
- كيف أثرت التحولات المعرفية و التكنولوجية في العالم على حقل الجيوسياسة ؟
- ما هي الأطر و النظريات الأساسية في حقل الجيوسياسة ؟ و مدى تطورها ؟ و ما مدى الإهتمام أو التجاهل إتجاه نظريات معينة مقارنة بنظريات أخرى ؟
- ما هي حدود العلاقات بين النظريات الجيوسياسية ؟
- ما مدى مساهمة العلوم الجيوسياسية في التأثير على حقل العلوم السياسية و العلاقات الدولية ؟ و أثرها على الساحة الدولية ؟
- هل أدت التيارات المنادية بموت الجغرافيا إلى موت الجيوسياسة ؟

مناهج الدراسة :

تتطلب هذه الدراسة تعدد المناهج نتيجة عمق الإشكالية و تعدد أبعاد الدراسة و محاورها و لأن الإعتقاد على منهج واحد غير كاف لتحقيق أهداف الدراسة ، فلأجل ذلك إستعملنا عدة مناهج و هي :

المنهج التاريخي : لدراسة الأبحاث و توجهات الجيوسياسة و البحث في جذورها و إمتدادها التاريخي ، من أجل فهم أعمق للأرضية التي بني عليها هذا العلم و الأحداث التاريخية المحيطة له .

كما إستعملنا المنهج المورفولوجي الذي يدرس مشكلات الدولة السياسية من حيث الشكل بحيث تنطوي الدراسة على مجموعة من العناصر الجغرافية التي تنتظم تحت مبادئ أساسية هي النمط و القلب ، و التركيب و البناء . و يشير إلى التنظيمات التي يكونها الارتباط السياسي للوحدات و الأقاليم التي تكون الدولة ، و إلى الإرتباطات السياسية للدولة في التكتلات السياسية الإقليمية من ناحية و الإتجاهات و التحالفات العالمية من جهة أخرى .

إضافة إلى المنهج الواقعي و الذي يبحث في الناتج النهائية في لحظة ما لعدد كبير من المتغيرات المادية و التفاعل الذي يتم بين هذه العناصر و المكونات التي تحدد حجم قوة الدولة أي البحث عن مدى مطابقة الأبحاث المعرفية مع الواقع .

كما إستعملنا المنهج التحليلي الذي يمنحنا أدوات إستنباط المفاهيم الأساسية للجيوستراتيجية و تحليل الأحداث العالمية من منظور جيوسياسي .

الدراسات السابقة :

لم يحظى علم الجيوستراتيجية إلى دراسات إستراتيجية كثيرة ، لكن قد أثرى العديد من الباحثين التحصيل التاريخي للنظريات الجيوستراتيجية و تأثيرها على مسرح الأحداث العالمي، و هذا ما له فائدة كبيرة في حقل الأبحاث الإستراتيجية للجيوستراتيجية .

و من الدراسات الإستراتيجية للجيوستراتيجية السابقة القليلة و التي كانت لها فائدة كبيرة في إثراء هذه الدراسة نذكر منها :

- جيرارد ديسوي : النظريات الجيوستراتيجية ، إتفاقيات العلاقات الدولية

Gérard Dussouy, Les théories géopolitiques, Traité de relations internationales , Paris : éditions L'Harmattan, 2006

– ألكسندر دوغين : أسس الجيوبوليتيكا – مستقبل روسيا الجيوبوليتيكي الصادر سنة 1997

هذه الدراسات الهامة و ذات التحليل الإستمولوجي الهام ، إلا أنها ليست معاصرة لجميع النظريات الحديثة ، كما أنها تميل إلى التوجه الجيوسياسي لمؤلفها ، فمثلا ألكسندر دوغين تحليله يبني لمستقبل روسيا الجيوسياسي كما هو مبين في عنوانه و لهذا ينقص معيار الموضوعية في التحليل ، لكن هذا لا ينفي أهميته البالغة .

صعوبات الدراسة :

واجهتنا خلال هذا البحث عديد من الصعوبات التي لولاها لما إستطاع أي باحث أن يجد نفسه ملما بكل جوانب الدراسة و هي جزء من طبيعة البحث العلمي . لكن تجاوز تلك الصعوبات لم يكن بالأمر الهين حيث أن البحث الإستمولوجي يقتضي قراءة جل البحوث السابقة و النظريات المنشئة لهذا العلم داخل سياقها التاريخي أي دراسة النظرية و دراسة البيئة الجغرافية و السياسية التي تكونت خلالها ، و المفكرين الذين ناقشوا هذه النظرية أو إنتقدوها و كذا الأبحاث التي سبقتها و الأحداث المترتبة عنها . مما يجعل العمل يستغرق الوقت الطويل و التدقيق للإلمام بجميع جوانب الدراسة و هذا ليس باليسير .

قد يرى البعض أن كتب الجيوسياسة كثيرة و هذه حقيقة إلا أنها إما كتب جيوسياسية تطبيقية تدرس صراعات معينة و تعطي إسقاطات للجيوسياسة عليها و بالتالي فهي لا تصب في مصادر هذه الدراسة الإستمولوجية ، أو مؤلفات تكتفي بدراسة النظريات الكلاسيكية للجيوسياسة و لا تتطرق للنظريات الحديثة و المعاصرة. في حين أننا نبحث عن المؤلفات التي تؤسس لنظريات عامة و مجردة تتسم بطابع الشمولية و المعاصرة و هي قليلة، إضافة إلى ذلك غير متوفرة باللغة العربية مما يتطلب الترجمة و البحث أكثر . و نادرا ما نجد الكتاب الورقي فالحسن الحظ أضحى الكتاب الإلكتروني و المقالات العلمية الإلكترونية تُقَرَّب الباحث من الدراسات العالمية خاصة الحديثة و تقلل من عناء البحث .

يتسم البحث الإستمولوجي في الجيوسياسة بالإمام بمجموعة من العلوم فيتضمن علم الجغرافيا و السياسة و التاريخ و الفلسفة و الإقتصاد و العلوم العسكرية و كل التطورات التكنولوجية و الرقمية عبر مراحل تطورها و سياقها و إختلافها من منطقة لأخرى ، مما يجعلها غامضة تارة و عميقة تارة أخرى ما جعل هذه الدراسة تأخذ وقت أطول لإتمامها.

إلا أن هذه العوائق لم تكن حاجزا أو مانعا يحول دون تبيان الجوانب الفلسفية و الإستمولوجية للموضوع عرضا كافيا قدر المستطاع .

خطة البحث :

وتشتمل خطة البحث على مقدمة و أربع فصول و خاتمة .

عرّفنا في المقدمة بالموضوع و أهميته و طرحنا فيها إشكالية البحث الأساسية والإشكاليات الفرعية و بينا الأسباب التي دفعتنا لهذه الدراسة و المناهج التي استخدمناها في معالجة هذه الإشكالية كما أشرنا لل صعوبات التي واجهتنا.

وشملت الدراسة أربعة فصول ، تطرقنا في الفصل الأول لتاريخية مفهوم الجيوسياسة الذي وضحنا فيه المفاهيم الأساسية لهذا العلم و علاقته بالعلوم الأخرى إضافة للإطار التاريخي للجيوسياسة و الأسباب المؤدية لتأسيسه ، أما الفصل الثاني فتم فيه البحث عن نشأة الجيوسياسة قبل الحرب العالمية الثانية فتطرقنا في المبحث الأول إلى المدارس المؤسسة له خاصة المدرسة الألمانية و المدرسة الأنجلوساكسونية و المدرسة السوفياتية و المدرسة الفرنسية و تطرقنا في المبحث الثاني لإبستمولوجيا الجيوسياسة قبل الحرب العالمية الثانية .

أما الفصل الثالث فبحثنا في تطور الجيوسياسة خلال الحرب العالمية الثانية و الحرب الباردة فتطرقنا في المبحث الأول إلى الجيوسياسة خلال الحرب العالمية الثانية كتطبيقات للنظريات السابقة و المبحث الثاني تطورات الجيوسياسة خلال الحرب الباردة حيث تتبعنا فيه تطور النظريات الجيوسياسية و التحول الإبستمولوجي في مناهجها و أدواتها التحليلية و تطرقنا في المبحث الثالث إلى الجيوسياسة الافتراضية كتوجه جديد للجيوسياسة من خلال إنتشار العولمة و التطورات المعرفية التي منحت بُعد آخر للجيوسياسة إفتراضي سيبراني معرفي .

أما الفصل الرابع فتطرقنا إلى الجيوسياسة في القرن الواحد و العشرين أبرزنا فيه التحولات الإستراتيجية للجيوسياسة في هذه الحقبة حيث تتبعنا فيه المفكرين الجدد وإسقاطاتهم النظرية على الأحداث العالمية المعاصرة من رقعة الشطرنج الكبرى، والأوراسية الجديدة وإنتقام الجغرافيا و القوة الناعمة و التدخل العسكري الروسي في أوكرانيا .

ثم الخاتمة التي تتضمن نتائج الدراسة.

الفصل الأول :

تاريخية مفهوم الجيوسياسة التعريف و التأسيس

المبحث الأول : المفاهيم الجيوسياسية

المطلب الأول : المفاهيم المتأصلة في الجيوسياسة

المطلب الثاني : المفاهيم المحايثة للجيوسياسة

المبحث الثاني : تعريف الجيوسياسة و علاقتها بالعلوم الأخرى

المطلب الأول : تعريف الجيوسياسة

المطلب الثاني : الإطار التاريخي للجيوسياسة

الفصل الأول: تاريخية مفهوم الجيوسياسة التعريف و التأسيس

إن البحث في تعريف العلوم ليس بالأمر الهين، ذلك لكونه يحمل التعريف بتاريخه ونشأته و مناهجه وبيان موضوعه و غاياته و أهدافه و علاقته بالعلوم الأخرى، و هذا العمل ينتمي بالدرجة الأولى إلى عالم الفلسفة الذي يسعى دائما و باستمرار للبحث في تكوّن العلوم و تطورها و لهذا تبقى الفلسفة دائما مواكبة للتطورات العلمية و متجددة باستمرار، و من خلال ذلك نسعى إلى إبراز تعريف علم الجيوسياسة و المفاهيم المحايثة له و الإطار التاريخي الذي تكون فيه هذا العلم .

المبحث الأول : المفاهيم الجيوسياسية

إن البحث الإبستمولوجي ينتمي إلى فلسفة العلوم حيث يسعى إلى معرفة و تبيان التأويلات الفلسفية للكشوف العلمية ، و سعيًا منا إلى إبراز هذا الموضوع و تحديده، و البحث في المصطلحات و الأصل الإيتيمولوجي¹ له و العلوم الأساسية التي ينبنى عليها موضوعنا حتى يتسنى حصرها و توضيح إطارها و دراستها دراسة منظمة و دقيقة، خصصنا هذا الجانب للإطار المفاهيمي للمصطلحات المرتبطة بهذا البحث .

لا يتعلق الأمر هنا بالتأريخ للجيوسياسة ككشوف و تطورات، وإن كنا سنتطرق في سياق الموضوع إلى الإشارة عن هذه الكشوف و التطورات الكبيرة للجغرافيا السياسية ، بل إن ما يهمنا أساسا هو تتبع مسار التفكير الجيوسياسي ذاته من خلال مفكره و منظره من

¹ - الإيتيمولوجيا Etymologie : هي علم اشتقاق الكلمات ، تعني أيضا حقيقة و أصل الكلمة و هي كلمة يونانية تتكون من شقين إيتيموس Etymos و تعني الحقيقة ، و الثاني لوجوس Logos و هو متعدد المعاني و يستخدم هنا بمعنى الكلمة ، و هو فرع من فروع اللسانيات يدرس أصل الكلمات و تطورها و شرحها .

الفصل الأول: تاريخية مفهوم الجيوسياسية التعريف و التأسيس

بداية تأسيسه إلى العصر الحالي ، و ذلك من خلال تطور الجيوسياسية موضوعا ومنهاجا، عبر عملية معرفية تراكمية متسلسلة ومتواصلة وشاملة.

حيث أن دراسة الجيوسياسية هي دراسة مجموعة من المصطلحات و المعارف التي تُكوّن علم الجيوسياسية وتتمحور حولها أدوات البناء والتحليل الجيوسياسي والمتغيرات المتعلقة بها .

ومن بين المصطلحات المتأصلة في بحثنا والتي حاولنا التعريف بها وتبيان مفهومها حسب المدلول المراد لها في هذه الدراسة هي :

المطلب الأول : المفاهيم المتأصلة في الجيوسياسية

يتكون مصطلح الجيوسياسية من كلمتين أو بالأحرى علمين هما الجغرافيا و السياسة فسعينا بداية إلى شرح كل واحد منها إضافة المصطلحات المتأصلة في الجيوسياسية كعلم مستقل حتى يتسنى شرح علم الجيوسياسية بعد التطرق لجميع المفاهيم و المصطلحات التي يتضمنها .

1 – الجغرافيا Géographie

الجغرافيا لغة: هي كلمة إغريقية مكونة من شقين geo وتعني الأرض و graphica وتعني وصف ، فالجغرافيا تعني وصف الأرض .

تعريف الجغرافيا اصطلاحا :

الجغرافيا هي علم الموقع و مظاهر سطح الأرض (التضاريس) وتوزيع الكائنات الحية (الإنسان والنبات والحيوان) على اليابسة وفي أعماق المياه. وتدرس الجغرافيا الأماكن التي يوجد فيها كل من الإنسان والحيوانات والنباتات وعلاقتها بالأهوار و البحار والصحاري

الفصل الأول: تاريخية مفهوم الجيوسياسة التعريف و التأسيس

والجبال وغيرها من مظاهر السطح. كما تدرس الجغرافيا أيضاً أماكن وجود التضاريس الطبيعية من الجبال و الهضاب والأنهار والصحاري و غيرها و مميزاتهما، وكيف وجدت هناك، ومدى أهمية موقعها. وتبحث الجغرافيا كذلك عن الأسباب الكامنة وراء حدوث الظواهر الجغرافية على سطح الأرض. ويهدف الجغرافيون إلى معرفة الأسباب التي أدت إلى تكوّن مظاهر سطح الأرض وتغيرها.¹ كما يسعى الجغرافيون إلى البحث عن الموارد الطبيعية كالبتترول أو الغاز أو المواد المعدنية كالحديد و الذهب و غيرها و تحديد أماكن تواجدها و الكميات الموجودة في كل مكان سواء فوق سطح الأرض أو في باطنها أو في البحار أو المحيطات و إبراز خصائصها، و تدرس كذلك الكوارث الطبيعية من الزلازل و البراكين و الأعاصير وغيرها.

ويستخدم الجغرافيون البيانات التي يستقونها من شتى حقول المعرفة الأخرى التي تشمل: الجيولوجيا، وعلم الأحياء، وعلم الإنسان، وعلم الإقتصاد، والفيزياء و علم الفلك ، وعلم الاجتماع. فهم يمزجون هذه المادة بالبيانات التي يتوصلون إليها في أبحاثهم الخاصة للرد على التساؤلات التي تُثار حول الأرض و مكوناتها . وغالبًا ما يدوّنون نتائج أبحاثهم على الخرائط التي يستخدمونها أداة أساسية لهم.²

و الجغرافيا يعرفها لالاند بأنها وصف مختلف مناطق سطح الأرضي ، دراسة ، و بقدر الإمكان تفسير الظواهر الطبيعية ، السياسية ، الإقتصادية ، المتعلقة وظيفيا بالمكان ، وما تقوم به هذه الظواهر من علاقات .

¹ - الموسوعة العربية العالمية أونسيكلوبيديا 2004 global arabic encyclopedia ، الجغرافيا .

² - نفس المرجع .

الفصل الأول: تاريخية مفهوم الجيوسياسية التعريف و التأسيس

و لقد مرت الجغرافيا بمراحل فإنتقلت من جغرافيا دراسة الظواهر الطبيعية و وصف الفضاء العام للجغرافيا إلى علم تنظيم الفضاء الجغرافي و تنظيم الممارسات الإنسانية على الجغرافيا ، وصولا إلى جغرافيا تقدم خطاب متناسق للحماية و المحافظة على فضاء جغرافي و حسن إستغلاله، متجاوزة التناقضات التي كانت تحملها . و تحديد حدود الدول بين الواقع وإسقاطها على الخرائط والعمل على التطور التكنولوجي لتنظيم الملاحة الجوية و البحرية والفضائية و غيرها من المجالات التي أضحت الجغرافيا ذات أهمية بالغة لدراستها و فهمها و الإستفادة منها.

2 - السياسة

تعريف السياسة لغة : يُعرّفها ابن منظور في معجمه : السِّيَاسة : القيام على الشيء بما يصلحه. والسياسةُ فعل السائس ، يقال : هو يَسُوِسُ الدَّوابَّ إذا قام عليها و راضاها، والوالي يسوس رعيته . أبو زيد : سَوَّسَ فلان لفلان أمرا فركبه كما يقول سَوَّلَ له وَزَيْنَ لَهُ. و قال غيره: سَوَّسَ لَهُ أمرا أي رَوَّضَهُ وَ ذَلَّلَهُ.¹

والسُّوسُ: الأصل، والسُّوسُ: الطبع و الخلق والسَّجِيَّة ، يقال : الفصاحة من سُوْسِهِ أي من طبعه ، و فلان من سُوْسِ صِدْقٍ أي من أصل صدق .²

تعريف السياسة اصطلاحا :

¹ - محمد بن مكرم بن علي ، أبو الفضل ، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي المصري ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثالثة 1414 هـ ، الجزء 6 س - ش ، صفحة 108 .

² - محمد بن مكرم بن علي ، أبو الفضل ، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي المصري ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثالثة 1414 هـ ، الجزء 6 س - ش ، صفحة 109 .

السياسة : تتكون كلمة سياسة وفقا للمصطلح اليوناني القديم من شقين **polis** أي المدينة أو الدولة أو اجتماع مواطني هذه المدينة ، و **Tk-echen** أي فن التدبير والإدارة، وقد استخدم اليونان كلمة **politiechen** بمعنى الدولة و الدستور والنظام السياسي **political order**¹

سياسية، سياسيات :

1 - علم سياسي : دراسة أو معرفة الوقائع السياسية

2 - عمل سياسي : ممارسة الفعاليات السياسية

3 - بالتوسع عمل موجه بمقتضى مخطط موضوع مسبقا.²

التسييس **politisme** : مصطلح إستعمله أويكن لإبراز الواقعة (الخطيرة كما يعتقد) و هي أن حياة الفرد الروحية و المادية على حد سواء ، تنزع في المجتمعات الحديثة نحو الخضوع المتزايد أكثر فأكثر إلى نفوذ الدولة و الإنطباع بطابعها.³

تعريف السياسة فلسفيا :

لقد عرّف السياسة العديد من الفلاسفة و المفكرين باختلاف نظرياتهم و مذاهبهم و مدارسهم :

¹ د . اسماعيل علي سعد ، د . حسن محمد حسن ، النظريات و المذاهب و النظم - دراسات في العلوم السياسية ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، مصر ، ط 2 ، سنة 2005 ، ص 50 .

² - أندري لالاند ، موسوعة لالاند الفلسفية المجلد الثاني H - Q تعريب خليل أحمد خليل ، منشورات عويدات ، بيروت - باريس ، الطبعة الثانية 1996 ، صفحة 994 .

³ - أندري لالاند ، موسوعة لالاند الفلسفية المجلد الثاني H - Q تعريب خليل أحمد خليل ، منشورات عويدات ، بيروت - باريس ، الطبعة الثانية ، ص 994 .

الفصل الأول: تاريخية مفهوم الجيوسياسة التعريف و التأسيس

عرفها سقراط بأنها : " فن الحكم ، و السياسي هو الذي يعرف فن الحكم " و عرفها أفلاطون بأنها " فن تربية الأفراد في حياة جماعية مشتركة ، و هي عناية بشؤون الجماعة ، أو فن حكم الأفراد برضاهم ، و السياسي هو الذي يعرف هذا الفن " و عرفها مكيا فيلي بأنها " فن الإبقاء على السلطة و توحيدها في قبضة الحكام بصرف النظر عن الوسيلة التي تحقق ذلك "¹ ، فهي تستخدم للدلالة على تسيير أمور مجموعات بشرية و معرفة كيفية قيادتها و تسييرها داخل الدولة و ممثلة لها في شؤونها الخارجية .

ويرى دزرائيلي أن السياسة " هي علاقة حاكم و محكوم و هي السلطة الأعلى في المجتمعات الإنسانية ، حيث السلطة السياسية تعني القدرة على جعل المحكوم يعمل أو لا يعمل أشياء سواء أراد أو لم يُرد ، و تمتاز أنها عامة و تحتكر وسائل الإكراه كالجيش و الشرطة و تحظى بالشرعية و تعبّر السياسة عن عملية صنع قرارات ملزمة لكل المجتمع تتناول فيه قيم مادية و معنوية و ترمز لمطالب و ضغوط و تتم عن طريق تحقيق أهداف ضمن خطط أفراد و جماعات و مؤسسات و نخب حسب إيديولوجيا معينة على مستوى محلي أو إقليمي أو دولي . "²

علم السياسة :

¹ - حسام مرسى ، مدخل العلوم السياسية ، دار الفكر الجامعي ، الإسكندرية ، مصر ، الطبعة الاولى ، 2012 ، ص 10 .

² - حسام مرسى ، مدخل العلوم السياسية ، دار الفكر الجامعي ، الإسكندرية ، مصر ، الطبعة الاولى ، 2012 ، ص 10 .

الفصل الأول: تاريخية مفهوم الجيوسياسة التعريف و التأسيس

إن غاية علم السياسة هي تحليل الأفكار و الأعمال السياسية و تفسيرها، في سبيل الإسهام في تحسين مستوى حكم البشر ، فإذا نظرنا إليه كأداة لتحليل آليات الحكم و حركياته ظهر لنا أن فائدته أكيدة لكن محدودة، بينما تزداد أهميته إذا ما نظرنا إليه كعلم يستهدف دراسة معضلات السياسة و الحكم التي تواجهها الإنسانية و يحاول علم السياسة إيجاد حلول لها¹ و الإستشراف للمستقبل القريب و البعيد للحفاظ على الأمن والسلام لمجتمعاتها .

ويعتبر علم السياسة فرع من فروع العلوم الإجتماعية و تهدف دراسته إلى رفع وعي المواطن السياسي و تربيته تربية سليمة على أساس من الفهم لواقع الحياة الإجتماعية و السياسية التي يعتبر هذا المواطن أو ذاك عضوا فيها فضلا عن ضرورة إدراكه لأبعاد النشاطات السياسية التي يقوم بها مجتمعه سواء على النطاق القومي أو النطاق الدولي، هذا إلى جانب إعداد المواطن إعدادا عمليا لتولي الوظائف العامة.² وهدفه أيضا إعداد الإنسان السياسي للمسؤوليات والتحديات بمختلف وجوهها الفردية والقومية والدولية.³ وتتضمن دراسة علم السياسة: التاريخ السياسي و الفلسفة السياسية لمحاولة وصف وتحليل و تفسير النشاط والقيم والقواعد التي تتمخض عنها القرارات السياسية⁴ والفكر

¹ الدكتور حسن صعب ، علم السياسة ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، الطبعة 5 ، 1977 ، ص 34 .
² اسماعيل علي سعد ، د . حسن محمد حسن ، النظريات و المذاهب و النظم - دراسات في العلوم السياسية ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، مصر ، ط 2 ، سنة 2005 ، ص 48 .
³ الدكتور حسن صعب ، علم السياسة ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، الطبعة 5 ، 1977 ، ص 35 .
⁴ د.اسماعيل علي سعد ، د . حسن محمد حسن ، النظريات و المذاهب و النظم - دراسات في العلوم السياسية ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، مصر ، ط 2 ، سنة 2005 ، ص 50 .

الفصل الأول: تاريخية مفهوم الجيوسياسة التعريف و التأسيس

السياسي ، ومن المفكرين من يعرفونها بأنها " علم الدولة " و آخرين يعرفونها "علوم السلطة " .

ويرى الجنرال البروسي كلاوزفيتز 1780-1831 أن الحرب هي إمتداد للسياسة بينما يرى ماوتسي تونغ أن السياسة هي إمتداد للحرب بصورة أخرى، ويمكن القول أن السياسة و الحرب يكملان بعضهما كما تنطبق عليهما قواعد الإستراتيجية والتكتيك¹ فالدول تمارس السياسة مع التحضير للحرب .

كما تتصل السياسة بالتاريخ إتصالا مباشرا لأن جذور الحاضر نجدها في أحداث الماضي و هكذا لا بد أن ننظر للتاريخ باعتباره ينطوي على الدروس المستخلصة من حركة القوى الإقتصادية و الإجتماعية و السياسية و تصادمها ، و يقول الأستاذ سد جويك : " ما التاريخ إلا دراسة للسياسة في عصر مضى كما أن السياسة ما هي إلا التاريخ المعاصر " ²

3 - الإستمولوجيا :

تعريف الإستمولوجيا لغة **Epistémologie**

صيغ من كلمتين يونانيتين :

¹ - جمال عبد الملك (ابن خلدون) ، السياسة و الاستراتيجية في الحربين العالميتين الأولى و الثانية ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، 1988 ، ط1 ، ص 13 .
² - نفس المرجع ، ص 25 .

إبستيمي **Epistémé** ومعناها علم ، و لوجو **Logos** ومن معانيها: علم ، نقد، نظرية، دراسة ... فالإبستمولوجيا إذن من حيث الإشتقاق اللغوي هي علم العلوم أو الدراسة النقدية للعلوم ... وهذا ما لا يختلف كثيرا عن معناه الإصطلاحي .¹

تعريف الإبستمولوجيا إصطلاحا :

في موسوعة أندري لالاند مترجمة للعربية بكلمة معلوميّة أي إبستمولوجيا و تدل الكلمة على فلسفة العلوم و لكن بمعنى أدق ، فهي ليست حقا دراسة المناهج العلمية التي هي موضوع الطرائقية و تنتمي إلى المنطق ، كما أنها ليست توليفا أو إرھاصا ظنيا بالقوانين العلمية ، بل جوهريا المعلوميّة (الإبستمولوجيا) هي الدرس النقدي لمبادئ مختلف العلوم و فرضياتها و نتائجها، الرامي إلى تحديد أصلها المنطقي ، قيمتها و مداها الموضوعي .²

ويرى لالاند أنه علينا التفريق بين المعلوميّة و نظرية المعرفة على الرغم من كون المعلوميّة مدخلا لها ، فهي تمتاز عن نظرية المعرفة ، بأنها تدرس المعرفة بالتفصيل و بشكل بعدي في مختلف العلوم و الأغراض أكثر مما تدرسها على صعيد وحدة الفكر.³

كما أن أندري لالاند يتطرق إلى الإبستمولوجيا عند شرحه لكلمة **Gnoséologie** علم العرفان أو نظرية المعرفة و يرى أن الإبستمولوجيا تدل بالمعنى الحقيقي على دراسة

¹ - محمد عابد الجابري ، مدخل الى فلسفة العلوم : العقلانية المعاصرة و تطور الفكر العلمي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، 2002 الطبعة 5 ، ص 18 .

² - أندري لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية ، تعريب خليل أحمد خليل ، المجلد الأول A - G ، منشورات عويدات، بيروت - باريس ، الطبعة الثانية 2001 ، ص 356 .

³ - أندري لالاند ، موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب خليل أحمد خليل ، المجلد الأول A - G ، منشورات عويدات، بيروت - باريس ، الطبعة الثانية 2001 ، ص 357 .

الفصل الأول: تاريخية مفهوم الجيوسياسة التعريف و التأسيس

العلوم باعتبارها حقائق ، وقائع تشاهد ، توصف و تحلل، و لو رغبتنا في تحديد أدق لمعنى الكلمة ، لتراءى لنا أنه من الأحسن إستعمال مناهج ، أصول ، فرضيات العلوم ، للدلالة على الدراسة البعديّة للمفاهيم و حتى للدلالة على دراسة تطورها الواقعي و التاريخي ، بكلمة على كل ما يجمع تحت اسم غامض قليلا هو **فلسفة العلوم**.¹

واضح أن لالاند يميز بين الإستيمولوجيا من جهة و بين الميثودولوجيا و فلسفة العلوم من جهة أخرى ، و إن التداخل و التقارب بين هذه المفاهيم يجعل من احتمالية الخلط بينهما كبيرة، رغم أنه اليوم قد إستقلت الميثودولوجيا بنفسها مشكلة علم المناهج منفصل عن العلوم الأخرى .

فعلم المنهج أو الميثودولوجيا هو ذلك العلم الذي يهتم بدراسة إجراءات الوصول إلى المعرفة ، بينما الإستيمولوجي يهتم أساسا بمبادئ المعرفة و إفتراضاتها و نتائجها . ويتم الخلط بين الإستيمولوجيا و بين تاريخ العلم الذي يهتم بالتأريخ لتطور العلوم و يبحث في التكوينات الجينية للأفكار و الإرهاصات الأولى للعلوم المعاصرة، بينما الإستيمولوجي يهتم بالكيفية التي تتحول بها هذه الأفكار الجينية إلى أنساق معرفية أو أجزاء من الأنساق.²

وكثيرا ما يتم الخلط بين الإستيمولوجيا ونظرية المعرفة غير أنه إذا كانت نظرية المعرفة تهتم بدراسة جميع أنواع المعارف ، فإن الإستيمولوجي يهتم فقط بالمعرفة العلمية وحدها.³

¹ - نفس المرجع ، ص 468 .

² - نصر محمد عارف ، إستيمولوجيا السياسة المقارنة - النموذج المعرفي . النظرية . المنهج ، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 2002 ، ص 23 .

³ - نفس المرجع ، ص 22 .

الفصل الأول: تاريخية مفهوم الجيوسياسة التعريف و التأسيس

وقد أرجع كارل مانهايم دواعي إثارة الإهتمام بالإبستمولوجيا إلى أنه منذ أن تم تحطيم الرؤية الدينية الأحادية للعالم، وجب علينا أن نعطي إهتماما بالمعرفة و كيفية وصولها إلينا أو إلى الوجود.¹ هذا وقد تعددت التعاريف للإبستمولوجيا خاصة في الولايات المتحدة الأمريكية مع البحث عن إمكانية الوصول إلى الحقيقة الواقعية من خلال الحركة الأميركية التي تعتمد على التجربة للوصول إلى الحقائق ، و تركز على المفاهيم الإجرائية مثل القطيعة و الهدم و البناء .

كما نجد كتابات الفرنسي ميشال فوكو الذي أكد على مفهوم الإبستمية أي المنظومة الفكرية و نظام الفكر و هذا ما يظهر في مؤلفاته التي ساهمت في تقدم الإبستمولوجيا كحقل معرفي مثل : "الكلمات و الأشياء" و "أركيولوجيا المعرفة".²

تعريف الإبستمولوجيا فلسفيا :

يرى بياجيه ثلاث أنواع من الإبستمولوجيا :

أولا : الإبستمولوجيات مابعد العلمية : **Les épistémologies**

Metascientifiques

يعرفها بياجيه "إنها نظريات المعرفة التي إذ تنطلق من تفكير في العلوم فتميل إلى أن تجعل هذا التفكير يتسع لكي يصبح نظرية عامة في المعرفة " . إذاً فنظرية المعرفة العامة، ذات الطابع الفلسفي ، و التي شكلت دوما جزءا من الأنساق الفلسفية الكبرى ، هي إذاً

¹ - نفس المرجع ، ص 24

Karl mannheim , ideologie and utopia , new york , Harvest 1936 , p 42.

² - محمد أمين بن جيلالي مشكلة بناء الدولة دراسة إبستمولوجية وفق أدبيات السياسة المقارنة ، مذكرة ماجستير في العلوم السياسية تخصص السياسات المقارنة قسم العلوم السياسية كلية الحقوق و العلوم السياسية جامعة ابي بكر بلقايد ، تلمسان ، الجزائر 2014/2013 ، ص 27 .

الصيغة الأولى للإبستمولوجيا . و بهذا فقد كانت الأسماء الكبرى في تاريخ الفلسفة هي التي ساهمت في الوقت ذاته في الإكتشافات العلمية و في محاولة تأسيس نظريات حول العالم.¹

لكن الفلاسفة و هم يبنون نظرتهم حول العلم و المعرفة كأرسطو و سقراط ، بقي هذا التقدم العلمي متمسك بالميتافيزيقيا التي طبعت الإبستمولوجيا ما بعد العلمية و يعزو بياجي ذلك إلى إهمال دور الذات الفاعلة في عملية المعرفة . لكن لا يمكن إنكار التقدم العلمي التي حققتها هذه النظريات حول العلم ، و دامت زمنا طويلا من تاريخ العلوم والفلسفة معا بحيث شمل زمن سيادتها الحضارة اليونانية القديمة و العصر الوسيط والعصر الحديث أي حتى القرن الثامن عشر.² و شملت كل من أفلاطون أرسطو ديكارت ليبنتز و كانط .

ثانيا : الإبستمولوجيات الموازية للعلم : **Les parascientifiques épistémologies**

يعرفها بياجييه " أنها لا تقوم أبدا على أساس التفكير في شروط الفكر العلمي، بهدف الوصول إلى نظرية عامة في المعرفة ، بل إنها تجتهد إنطلاقا من نقد يضع حدودا للعلم لكي تؤسس خارج حدود العلم صورة أخرى من المعرفة المختلفة عنه "³.

¹ - محمد وقيدي ، الإبستمولوجيا التكوينية عند جان بياجييه ، مطبعة أفريقيا الشرق ، الدار البيضاء - المغرب 2007 ، د ط ، ص 66 .

² - نفس المرجع ، ص 67 .

³ - محمد وقيدي ، الإبستمولوجيا التكوينية عند جان بياجييه ، مطبعة أفريقيا الشرق ، الدار البيضاء - المغرب 2007 ، د ط ، ص 72 .

و تختلف الإستمولوجيا الموازية للعلم عن سابقتها في كونها تضع نفسها في موازاة العلم هادفة إلى إبراز حدوده و نسبية الحقيقة التي يصل إليها و قصور مناهجه في ذلك، إذ بنقدها للعلم يجعلها تتميز بكونها منفتحة على اللامعقول و الرمزي و الميتافيزيقي.¹ لكن ينتقدها بياجيه هي الأخرى بأنها تصل إلى بناء نظرية ميتافيزيقية حول العلم ، و إلى محاولة إحتواء النتائج العلمية و تأويلها وفقا لمقتضيات المذاهب الفلسفية .

ثالثا : الإستمولوجيات العلمية : *Les épistémologies scientifiques*

يعرفها بياجيه بأنها " الإستمولوجيات التي تحصر هدفها الخاص في تفسير المعرفة العلمية، و لا تهدف أبدا إلى دراسة المعرفة بصفة عامة ، إما لأنها تعتبر أن المعرفة العلمية هي المعرفة الممكنة الوحيدة ، أو لأنها تجعل من إختصاصها تأويل هذه المعرفة في ذاتها ."²

إذا فالإستمولوجيات العلمية لا تتناول بالبحث في المعرفة بصفة عامة ، و تحصر بحثها في المعرفة العلمية . و أنه إذا كانت الإستمولوجيات السابقة تنطلق من علم تم إنتاجه خارجها و يعتبر بالنسبة إليها واقعا قائما في تمامه ، فإن الإستمولوجيات العلمية تنبثق عن تفكير في العلوم من حيث هي متصفة بالتطور ، و هذا معناه إدراك هذه العلوم من حيث هي أكثر فأكثر إنفتاحا، لا بوصفها معطى نهائيا و تاما. و عند متابعتها للعلوم في تطورها ، فإن هذه الإستمولوجيات العلمية ذاتها تصبح منبثقة من داخل العلوم ومرتبطة بممارسة المعرفة العلمية .

¹ - نفس المرجع ، ص 72 .

² - محمد وقيددي ، الإستمولوجيا التكوينية عند جان بياجيه ، مطبعة أفريقيا الشرق ، الدار البيضاء - المغرب 2007 ، د ط ، ص 77 .

- و إنطلاقا مما سلف فإن الإستيمولوجيا تعنى بدراسة مبادئ العلوم و فرضياتها و مناهجها و نتائجها دراسة نقدية ترمي إلى إبراز بُناها و منطقتها و قيمتها الموضوعية، ومن أهم المفاهيم التي تمخضت عنها الإستيمولوجيا مفهوم القطيعة الإستيمولوجية **la rupture (coupure) épistémologique** ومفهوم العائق الإستيمولوجي **L'Obstacle épistémologique**.¹ و هذا له إرتباط وثيق مع تاريخ العلم الذي يقدم موضوعه بوصفه معرفة عقلانية متكاملة ، و بالتالي لن يكتمل بحثه إلا باللجوء للإستيمولوجيا ، و العلاقة بينهما تجعلنا نشير إلى ثلاث مفاهيم أساسية هي :

1- التراجع الزمني **la récurrence épistémologique** :

مفهوم التراجع الزمني هو من أوائل المفاهيم الإستيمولوجية التي أدخلها جاستون باشلار إلى ميدان فلسفة العلوم.

هذا المفهوم يجعل تطور تاريخ العلوم بوصفه معرفة نظرية أو تاريخا نظريا أمرا ممكنا، فتاريخ العلم لا يصبح تاريخا إلا بمقدار ما تشهد له بذلك المعرفة العلمية النسقية الحالية، ولن يتحقق هذا بدون الإحتكاك المستمر بالعلم في آخر مراحل تطوره ، و هذا ما عناه باشلار حينما أكد على ضرورة أن يكون تاريخ العلم برمته تاريخا تراجميا ، ترشده أهداف العلم في الحاضر و الإنجازات العلمية الأخيرة ، وغايته الكشف عن الخطوات التدريجية التي تكونت وفقها الحقائق العلمية ، ولن يتم لمؤرخ العلم كل هذا بدون الإستيمولوجيا.²

¹ - جلال الدين سعيد ، معجم المصطلحات و الشواهد الفلسفية ، دار الجنوب للنشر ، تونس ، ب ط ، 2004 ، ص 13 .
² - روبير بلانشيه ، نظرية المعرفة العلمية - الإستيمولوجيا ، ترجمة حسن عبد الحميد ، مطبوعات الجامعة الكويتية ، الكويت ، 1986 ، ص 24 .

و بالتالي هي عملية مستمرة فمثلا لا يمكن تعريف الجيوسياسة قبل أن توجد الجيوسياسة، أي قبل أن يتأسس التلاحق و التطور المستمر للنظريات حتى تتكون الجيوسياسة.

2 - العائق الإبستمولوجي L'Obstacle épistémologique :

يجب علينا أن نذكر أولا أن إبتكار جاستون باشلار لهذا المفهوم الفلسفي قد جعل منه مفكرا أصيلا في تاريخ العلوم و فلسفتها، فباشلار لم يتقبل التاريخ على أنه تراكم متدرج ومعقد للأفكار ، و رأى أن التاريخ يتقدم بالتغلب على الجهل و الأخطاء و يحاول العقل التغلب عليها.¹

ومفهوم العقبة الإبستمولوجية: " هي أنه إذا ما أردنا فهم المعرفة العلمية فإنه يجب علينا أن ندرسها في صورة عقبات معرفية ، و لا نعني بها العقبات الخارجية التي تتمثل في تعقد الظواهر و تلاشيها السريع بل نعني بها العقبات التي ترتبط إرتباطا عضويا داخليا بفعل المعرفة نفسه ، و بالتالي معرفة الأسباب التي تؤدي تارة إلى ركود المعرفة، و تارة أخرى على إنتكاسها و هذا ما نطلق عليه لفظ العقبة الإبستمولوجية"² و قد كرس لها باشلار كتاب أسماء تكوين الروح العلمية.

¹ - روبير بلانشيه ، نظرية المعرفة العلمية - الإبستمولوجيا ، ترجمة حسن عبد الحميد ، مطبوعات الجامعة الكويتية ، الكويت ، 1986 ، ص 25 .
² - نفس المرجع ، ص 26 .

فالمؤرخ للثقافة العلمية يبدأ في البحث فيها من بدايتها ، أما الإستمولوجي أو فيلسوف العلم فإنه ينطلق في دراسته للعلم من حاضره و ينتقل إلى بداياته بحيث لا يتوقف إلا على الجزء الذي يشهد حاضره العلم بعلميته .

فالعائق هو الذي يعرقل تقدم العلم ، و هي عوائق نفسية قبل كل شيء لأن أهم ما يجمد تطور العلم هو التشبث بالأفكار المسبقة و الآراء الشخصية و رفض كل جديد مخالف لما تم التعود عليه .

3 – القطيعة الإستمولوجية *la rupture épitémologique* :

هي عبارة عن مسار معقد و متشابك الأطراف تنتج عنه مرحلة جديدة و متميزة في تاريخ العلم.¹

فهي القطيعة التي تحدث عن طريق العلم فتغير إتجاهه و مجراه تغييرا جذريا من حيث مبادئه و قوانينه ، و قد أورد هذه العبارة جاستون باشلار ليشير إلى نقطة التحول التاريخية في حياة نظرية علمية معينة تصبح بعدها هذه النظرية باطلة أو غير قادرة على تفسير كل ما يعترضها من ظواهر الواقع، فيصبح من الضروري تأسيس نظرية أخرى أكثر

¹ - روبير بلانشيه ، نظرية المعرفة العلمية – الإستمولوجيا ، ترجمة حسن عبد الحميد ، مطبوعات الجامعة الكويتية ، الكويت ، 1986 ، ص 28 .

الفصل الأول: تاريخية مفهوم الجيوسياسة التعريف و التأسيس

إماما بالواقع ، و من مثال ذلك : القطيعة التي وسّعت من نطاق الهندسة الإقليدية بإبتكار هندسات لا إقليدية طورت مفهوم الفضاء عموما .¹

و يقول فيشان M. Fichan " لئن كان لا بد من القول، مع كنفيلام، بأن الإبستمولوجيا لا تعدو أن تكون لو فصلت عن تاريخ العلوم إلا زوجا نافلا للعلم الذي تريد أن تقول فيه شيء ما ، فلا بد أن نضيف أيضا أن تاريخ العلوم لو فصل عن الإبستمولوجيا لن يدرك بآتم معنى الكلمة أي تاريخ هو " .²

إن إبستمولوجيا الجيوسياسة تسعى لفهم مدى إمكانية معرفة العالم الجيوسياسي الذي نعيش فيه و القواعد و النظريات التي يتبعها الباحثون في معرفة هذا العالم و قدرات الإدراك و المعرفة و تطورها و نموها و تقاطعها مع العلوم الأخرى .

4 - الدولة :

تعريف الدولة : بفتح الدال ، جماعة من الناس منظمة سياسيا تبسط سيطرتها على إقليم محدد يتمتع بالسيادة .. و دولتية : مقابل statism نظرية سياسية تؤله الدولة وتجعلها كيانا مطلقا فوق الأشخاص و الأحزاب و تدعو إلى وضع جميع الوظائف الإجتماعية إلى تحت إدارتها .³

و تعرفها موسوعة أندري لالاند بأن :

¹ - نفس المرجع ، ص 27-28 .

² - جلال الدين سعيد ، معجم المصطلحات و الشواهد الفلسفية ، دار الجنوب للنشر ، تونس ، ب ط ، 2004 ، ص 14 .

³ - هادي العلوي ، قاموس الدولة و الاقتصاد ، سلسلة المعجم العربي المعاصر 2 ، دار الكنوز الأدبية ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى 1997 ، صفحة 11 .

الفصل الأول: تاريخية مفهوم الجيوسياسة التعريف و التأسيس

الدولة : أ - مجتمع منظم ذو حكومة مستقلة ، و يضطلع بدور شخص معنوي ،
إعتباري مميز، إتجاه المجتمعات المماثلة الأخرى التي يقيم معها علاقات .
ب - مجموعة الخدمات العامة لأمة من الأمم. بهذا المعنى الدولة تقابل المقاطعة،
المحافظة، الولاية... الخ - صناعة الدولة تقابل الصناعة الخاصة.¹

تدويل :

جعل الشيء دوليا، أو وضع إقليم تحت إدارة دولية مقابل
internationalisation².

الدولة : قانونا

يجمع الفقه الدولي عند دراسته للدولة على ضرورة توفر ثلاث أركان أساسية هي :
السكان، الإقليم ، السلطة العامة أو بعبارة أدق السيادة، و هي العناصر الأساسية في
تشكيل الدولة فإن نقص أحد منها زالت الدولة من الوجود.³ و يضاف إليها الإعتراف
بها من قبل المجتمع الدولي .

¹ - أندري لالاند ، موسوعة لالاند الفلسفية ، تعريب خليل أحمد خليل ، المجلد الأول A - G ، منشورات عويدات ، بيروت - باريس ، الطبعة الأولى 1996 ، ص 368 .

² - هادي العلوي ، قاموس الدولة و الاقتصاد ، سلسلة المعجم العربي المعاصر 2 ، دار الكنوز الأدبية ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى 1997 ، صفحة 11 .

³ . بن عامر تونسي ، قانون المجتمع الدولي المعاصر ، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون الجزائر، الطبعة الخامسة، سنة 2004 ، ص 59 .

الفصل الأول: تاريخية مفهوم الجيوسياسة التعريف و التأسيس

أ. السكان : يقصد به مجموع الأفراد أو المواطنين الذين يقطنون على إقليم الدولة بشكل دائم ، و يخضعون لسلطة الدولة و سيادتها و قوانينها و أعرافها، والذين تربطهم رابطة فعلية بين الفرد و الدولة هي الجنسية و التي تحدد الدولة قانون تنظيمها، وبهذا يطلق اسم الشعب على سكان الدولة الحاملين لجنسيتها .

كما أنه يمكن تسمية سكان الدولة بالشعب و مفهومه قد إرتبط تاريخيا بظاهرة الإستعمار و بالكفاح المسلح الذي تخوضه الشعوب المستعمرة من أجل القضاء على الدول الإستعمارية ، و حقه في تقرير المصير ، غير أنه يجب عدم الخلط بين مفهوم الشعب و بين الأقليات الإثنية أو الدينية أو العرقية و الذين يجب إشراكهم مع الجماعات الآخرين في إعلان ديانتهم و إستعمال لغتهم و التمتع بثقافتهم و إحترام معتقداتهم و تقاليدهم .

يجب القول أنه ليس كل من يناضل أو يحمل السلاح يعتبر شعب و يقول شارل شومون : "أنّ قيام جماعة تخوض النضال لا يعني بالضرورة أنها تكون شعبا . فالنضال ليس مرادفا دائما لعبارة شعب و هذا حتى لو كانت هذه الجماعة حسنة النية و تعتقد أنها شعب و مثال ذلك حركة تحرير الكرس"¹.

إذا فليس كل من يناضل هو بالضرورة شعب ، و ليس كل من لا يناضل ليس بشعب، لكن كلما زاد النضال زادت إمكانية إعتراف الدول الأخرى بهذا الشعب و هو ما ينطبق على الصحراء الغربية .

¹ . بن عامر تونسي ، قانون المجتمع الدولي المعاصر ، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون الجزائر، الطبعة الخامسة، سنة ، ص 62 .

الفصل الأول: تاريخية مفهوم الجيوسياسة التعريف و التأسيس

كما أنه يميلنا البحث في مفهوم السكان إلى البحث في مفهوم الأمة التي أثارت إختلافا بين العديد من المفكرين و شكّلت حوارا واسعا في العديد من الدول كالصراع الذي دار بين فرنسا و ألمانيا حول منطقتي الألزاس و اللورين أو مسألة الصحراء الغربية أو القضية الفلسطينية أو منطقة كردستان العراق و غيرها من القضايا التي ظهر على إثرها عديد النظريات حول فكرة الأمة و الشعب و العديد من المبادئ كحق الشعوب في تقرير المصير و حق الشعوب في توحيد الدول من خلال الفدراليات مثلا أو كتوحيد الألمانيتين بعد سقوط جدار برلين، و لعل الروابط التي تجتمع داخل الأمة عديدة فقد تجتمع كلها أو البعض منها كالتاريخ المشترك أو الدين أو اللغة أو العرق أو العادات و التقاليد أو الإثنيات أو النضال المشترك .

و الخلاصة هي أنه من النادر أن تجد تجانسا تاما في سكان أي دولة إذ لا بد من وجود بعض العوامل المشتركة و بعض الإختلافات و التنوع و التعدد ، و مهما يكن فإنّ المبدأ الأساسي هو إحترام حقوق مختلف القوميات و الأقليات مرتكزين على مبدئين أساسيين من مبادئ القانون الدولي العام أولهما مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها ، و مبدأ وحدة الإقليم، أي مبدأ المحافظة على سلامة أراضي الدول من التجزئة و التفتت.¹ ورغم أن المبدئين متناقضين إلا أنه يفترض إستعمال أحدهما لحل النزاعات و حماية مصالح الشعوب و الدول .

¹ . بن عامر تونسي ، قانون المجتمع الدولي المعاصر ، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون الجزائر، الطبعة الخامسة، سنة ، ص 69 .

الفصل الأول: تاريخية مفهوم الجيوسياسة التعريف و التأسيس

ب. الإقليم : هو النطاق الجغرافي الذي تتمتع الدولة داخله بكامل السلطات ، فالإقليم هو الجزء اليابس من الأرض الذي تضمه حدود الدولة و هو عنصر أساسي من عناصر الدولة فلا يمكن تصور دولة بدون إقليم ، و هو الذي يميز الدولة عن المنظمات الدولية ، ولا عبرة لحجم مساحة الإقليم جغرافيا لتكوين الدولة صغيرة كانت أو شاسعة¹ . و إنّ تطوّر مفهوم الدولة أدى إلى عصرنة القوانين الدولية لتواكب كل التطورات التي شهدتها العالم و من تم فقد تحددت مكونات الإقليم و هي:

أولا المجال البري أو اليابس وفق حدود الدولة المعترف بها دوليا و الذي يضم كل ما هو فوق سطح الأرض و باطنها من تضاريس و الأنهار و كل الثروات الطبيعية و المادية كالأثار .

ثانيا المجال البحري و الذي يضم المياه الداخلية من البحيرات و الأنهار والقنوات البحرية والمياه المواجهة للأرض و البحر الإقليمي الذي ينحصر بين المياه الداخلية وأعالي البحار والذي يخضع لسيادة الدولة بكل ثرواته الباطنية و البيولوجية و البحرية. كما أنه يوجد معاهدات دولية تحمي حق مرور السفن عبر المضائق و القنوات البحرية بإحترام قوانين الدولة و الإتفاقيات و المعاهدات المبرمة .

ثالثا المجال الجوي و يشمل المجال الذي يغطي المجال البري و البحري لإقليم الدولة .

ج - السلطة :

و يقصد بها أن تكون هيئة سياسية تمارس وظائف الدولة بسلطانها إتجاه الشعب و إتجاه الدول الأخرى و أن تكون هذه السلطة تبسط نفوذها على كل حدود الدولة.

¹ . نفس المرجع ، ص 70 .

د - السيادة :

أي سيادة الدولة على كامل إقليمها و من مميزات السيادة الدولية :¹
أنها لا تقبل التجزئة أي لا يكون في الدولة أكثر من سيادة .
لا يمكن التصرف في سيادة الدولة و لا التنازل عنها .
سيادة الدولة تشمل جميع إقليمها و على سكانها و رعاياها خارج إقليمها .
سيادة الدولة تشمل حقها بالدخول في تحالفات و عقد معاهدات و إتفاقيات
و الانضمام إلى المنظمات الدولية و الاعتراف بالدول و إدارة شؤونها الخارجية .

هـ - الاعتراف : و يقصد بها اعتراف الدول الأخرى بهذه الدولة الحديثة أو بالسلطة
السياسية التي تترأسها في حالة تغيير النظام أو عقب الثورات الشعبية أو عقب إستقلال
الدولة و قد برزت عدة نظريات في هذا الشأن كالنظرية المنشأة و النظرية الكاشفة أو
المقررة .

و يجدر القول أنّ اعتراف الدول من عدمه يتأسس حول مشروعية قيام هذه الدول
الجديدة و طريقة إنشائها و مدى وحدة إقليمها و سيادتها ، و رغم أنه يوجد من لا يقر
بشرط الاعتراف لقيام الدولة إلا أنه يجعل من هذه الدولة الجديدة نقص في علاقاتها
الدولية و محدوديتها .

كما أنه قد يكون عدم الاعتراف مبني على إتجاهات إيديولوجية أو إقتصادية أو سياسية
أو جيوسياسية .

¹ - بن عامر تونسي، قانون المجتمع الدولي المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون الجزائر، الطبعة الخامسة، سنة ، ص 92 .

الفصل الأول: تاريخية مفهوم الجيوسياسة التعريف و التأسيس

ولكن لا يفوتنا أن ننوه بأن سيادة الدولة و إستقلالها تتعزز بعناصر أخرى كإنشاء علمها الخاص، ونشيدها الوطني و عملتها الخاصة و أن تتوفر الدولة على جيشها النظامي و سلطتها الشرعية حسب دستورها و قوانينها الخاصة بها، و تمثيلها الدبلوماسي من سفارات وقنصليات في الدول الأخرى و إستقبالها لسفراء الدول الأجنبية لديها، و علاقات التعاون الدولية و العلاقات الإقتصادية و التجارية و الثقافية و السياحية مع الدول الأخرى و فرقها الرياضية التي تشارك بها في البطولات العالمية ككرة القدم و الألعاب الأولمبية ، و أن تُبرز الدولة فُنونها و أدوات القوة الناعمة من الإعلام و الأفلام والمسلسلات و الأغاني و الماركات التجارية العالمية و قوتها المعرفية و التكنولوجية و تحقيق الإكتفاء الذاتي، هذا وغيره من المجالات ذات التعاون و التبادل الدوليين التي ترسخ وجود الدولة بكامل إقليمها وإستقلالها و سيادتها و قوتها داخل المجتمع الدولي بإنضمامها إلى الهيئات و المنظمات الدولية .

5 - الدبلوماسية

يطلعنا التاريخ إلى أنّ الدبلوماسية تضرب جذورها منذ نشوء الإتصال و التلاقي بين المجتمعات البشرية ، فمنذ المجتمعات القديمة قامت العلاقات الدبلوماسية سواء في زمن الحرب أو السلم .

تعريف الدبلوماسية :

الفصل الأول: تاريخية مفهوم الجيوسياسة التعريف و التأسيس

الدبلوماسية هي العلاقات السياسية القائمة بين الدول و تستند إلى التمثيل الدبلوماسي و يعني وجود أشخاص و هيئات يقيمون في البلد الأجنبي لتمثيل بلادهم فيه. و هي كلمة من أصل يوناني هي **DIPLOMA** و يعني ورقة مطوية إستعملت في اللاتينية بمعنى جواز السفر ثم استعملت في العصر الحديث لعلاقات التمثيل السياسي و **الدبلوماسية**: هي المفاهيم و القواعد و الإجراءات و المراسيم و المؤسسات و الأعراف الدولية التي تنظم العلاقات بين الدول .¹

وهي تعني في الأساس فن تمثيل الدولة و الناطق الرسمي بإسمها ، و الدبلوماسي لا يمتلك شيئاً من السلطة لكنه يمثلها بالكامل .²

و يعرفها المحامي الفرنسي **جوزيف فوشي** في كتابه **القانون الدولي العام** بأنها حسب تعبيره " **الدبلوماسية** يمكن أن تحدد كعلم أو كفن حيث هدفها كعلم : يقوم على معرفة العلاقات القانونية و السياسية لمختلف الدول و مصالحها المتبادلة و التقاليد التاريخية والشروط المتضمنة في المعاهدات ، و هدفها كفن يقوم على إدارة الشؤون الدولية حيث تتضمن أهلية التنسيق و قيادة و متابعة أسباب المفاوضات السياسية بمعرفة... " .³

و بحسب الأعراف فإنّ الدبلوماسية هي فن إدارة العلاقات بين الدول ذات السيادة . وبما أن العنف مرفوض فليس أمامها إلا الكلام الشفوي في الحديث أو الخطاب

¹ - هادي العلوي ، قاموس الدولة و الاقتصاد ، دار الكنوز الأدبية ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى 1996 ، ص 51 .

² - تيري دي مونبريال و جان كلين ، ترجمة الدكتور علي محمد مقلد ، موسوعة الاستراتيجية ، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى 2011 ، ص 674 .

³ - علي حسين الشامي ، الدبلوماسية نشأتها و تطورها و قواعدها و نظام الحصانات و الامتيازات الدبلوماسية ، دار الثقافة للنشر و التوزيع ، عمان ، الأردن ، ط 3 ، 2007 ، ص 35 .

الفصل الأول: تاريخية مفهوم الجيوسياسة التعريف و التأسيس

أو الكلام المكتوب في الرسائل أو في المنشورات أو المحاضر، في الإتفاقيات أو المعاهدات أو الصفقات، لهذا تحرص على العناية بالكتابة و وزن الكلمات و الرسمية في الخطاب لإعطاء الكلام الدبلوماسي مصداقيته و دقته و موثوقيته.¹

فالدبلوماسية هي علم و فن و مهنة و منهج يتطور باستمرار حسب تطوّر العلاقات الدولية و هو يسعى إلى توجيه العلاقات الدولية للشعوب بما يخدم مصالحها و لهذا فقد تندلع الحروب حينما تفشل الدبلوماسية .

و في عصرنا الحالي مع التطور التكنولوجي و الإعلامي و وسائل التواصل الاجتماعي فإن الدبلوماسية قد تتجلى في أشخاص غير السفير أو القنصل بحيث يمثلها الفنانون والشعراء و الرسامون و الممثلون و الرياضيون فيجسدون التمثيل الدبلوماسي لبلدهم و قد يؤثرون في عديد القضايا الدولية بما يخدم مصالح دولتهم أو يسيء إليها ، و لعل عدم مشاركة بعض الرياضيين في تنافس مع رياضيين آخرين لا تجمع البلدين علاقات سياسية ولا دبلوماسية خير دليل على المسؤولية الدبلوماسية للرياضيين لأن قبول الرياضي المنافسة معه يعتبر إعتراف ضمني للبلد الآخر .

فالدبلوماسية هي علم و فن إدارة العلاقات بين الأشخاص الدوليين.²

6 - المجتمع الدولي :

¹ - تيري دي مونبريال و جان كلين ، ترجمة الدكتور علي محمد مقلد ، موسوعة الاستراتيجية ، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، بيروت لبنان ، الطبعة الاولى 2011 ، ص 675 .

² - علي حسين الشامي ، الدبلوماسية نشأتها و تطورها و قواعدها و نظام الحصانات و الامتيازات الدبلوماسية ، دار الثقافة للنشر و التوزيع ، عمان ، الأردن ، ط 3 ، 2007 ، ص 37 .

تعريف المجتمع الدولي : مقابل INTERNATIONAL COMMUNITY

إسم يشير إلى منظمة الأمم المتحدة و ملحقاتها . و يُوسَّع فيطلق على المحفل الدولي الذي تعمل فيه العلاقات الدولية بحيث يصبح المصطلح أشبه بتعبير عن شخصية إعتبارية لها أحكام و أصول تتصرف بموجبها .¹

7 - الحدود

تعد الحدود ذات أهمية بالغة في العصر الحالي حيث أصبحت هذه حدود الدول ثابتة وهي النقاط التي تحدد إقليم الدولة التي تبسط سيادتها و سلطتها عليه و تتوقف عند المجال الذي تحدده هذه النقاط و قد أولى القانون الدولي العام أهمية بالغة لحدود الدول وعدم تحديدها قد يؤدي في أغلب الأحيان إلى نزاعات مسلحة بين الدول .

هذا لا ينفي وجود بعض النزاعات في تحديد الحدود بين بعض الدول ، إلا أن العالم اليوم يشهد في غالبته تحديد الحدود الفاصلة بين الدول والمعترف بها دولياً في غالبيتها، ولعل الإهتمام الكبير حول الحدود هو لإعتباره عنصر هام بالدرجة الأولى حتى و لو ألغته بعض الدول في بعض المجالات كحرية التنقل مثلاً بناءً على إتفاقيات مشتركة بينهم كالإتحاد الأوروبي ، لأنه يحدد مسؤوليات الدول إتجاه ما يحدث داخل إقليمها و حقها في الإستفادة من الثروات الذي يتضمنها و مسؤولية حماية أمنها القومي .

¹ - هادي العلوي ، قاموس الدولة و الاقتصاد ، دار الكنوز الأدبية ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى 1996 ، ص

الفصل الأول: تاريخية مفهوم الجيوسياسة التعريف و التأسيس

و يتم تحديد الحدود إما بشكل إتفاق، أي بموجب معاهدة الحدود أو بقرار تحكيمي أو قضاء دولي كما تجدر الإشارة أنه تكتسب الدول الأقاليم غالبا إما عن طريق الحروب أو الإستلاء على الأقاليم التي لا مالك لها أو عن طريق تنازل دولة عن جزء من أراضيها لدولة أخرى أو عن طريق التقادم المكسب أي أن تضع دولة ما سلطتها على إقليم معين و لا تقوم الدولة التي تملكه بالاحتجاج، أو إنضمام عدة دول في دولة واحدة أو إنقسام أو تفكك الدول أو إلحاق إقليم دولة بدولة أخرى.¹ أو عن طريق بيع دولة جزء من أراضيها إلى دولة أخرى كبيع روسيا إقليم ألاسكا للولايات المتحدة الأمريكية .

إنّ الحدود بالمعنى الذي يُعطى اليوم تقسيما سياسيا للمساحة البرية و كذلك البحرية و الجوية، على الصعيدين المادي و الفكري ، و كما قدمها ميشيل فوشيه فإنّ الحدود هي إنقطاع جيوسياسي في وظيفة ذات سمة فعلية و رمزية و تخيلية :

فالوظيفة الفعلية للحدود أنّها تُعيّن الحيز المكاني لممارسة سيادة الدولة ، كما تحدد فيها ممارسات موظفيها الذين كلفتهم بإحترام سيادتها السياسية و الإقتصادية بإستعمال الجيش أو الشرطة أو الجمارك . أما الوظيفة الرمزية للحدود فهي تترجم مدى الترابط السياسي و الإداري للجماعات التي تغطيها ، أما الوظيفة التخيلية للحدود فمعنية بالغيرية المعتبرة أنّها تجسدها و ذلك بتصنيفها بلاد حليفة صديقة أو أعداء، و غالبا ما

¹ - بن عامر تونسي ، قانون المجتمع الدولي المعاصر ، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون الجزائر، الطبعة الخامسة، سنة 2004 ص 76 ... 82 .

الفصل الأول: تاريخية مفهوم الجيوسياسة التعريف و التأسيس

تكون مبنية على أسس إجتماعية أو ثقافية أو دينية أو إيديولوجية فترى أحيانا هذه الحدود أكثر صحة من الطبيعية.¹

8 - السلطة :

تعريف السلطة : بضم السين أصلها التحكم و الغلبة و القهر . و معناها المعاصر ينشطر إلى فرعين : الأول هو المعروف في السياسات بأنها " المرجع الأعلى المسلم له بالنفوذ أو الهيئة الإجتماعية القادرة على فرض إدارتها بحيث تعترف لها الهيئات الأخرى بالقيادة و الفصل و الهيمنة على شؤون المجتمع و هذا التعريف يماهياها مع الحكومة كمرجع أعلى إلا أنها تنسحب أيضا على الهيئات الأخرى فيقال السلطة الصحية والسلطة المالية ، و هذه تجمع على سلطات فيقال سلطات البلد و يراد بها مجموع هيئاته المخولة . **المعنى الثاني للسلطة** هو صلاحية الأمر و النهي يقال للوزير سلطة على وزارته و للدولة سلطة على رعاياها و تستعمل في صيغة الجمع فيقال خوّل للوزير سلطات واسعة.²

¹ - ألكسندر دوفاي ، الجغرافيا السياسية . الجيوبوليتيك ، ترجمة حسين حيدر ، عويدات للنشر و الطباعة ، بيروت لبنان ، الطبعة الاولى 2007 ص 105 ، 106 .

² - هادي العلوي ، قاموس الدولة و الاقتصاد ، دار الكنوز الأدبية ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى 1996 ، ص 14 .

و تمثل الدولة السلطة التي لا تعلوها سلطة في الكيان السياسي و يتجسد ذلك من خلال إمتلاك الدولة لسمة السيادة ، لأنها مصدر القانون في المجتمع و بالإمكان تعريف السياسة بأنها علم السلطة .¹

9 - السيادة :

هي تمتع الدولة بسلطات كاملة لإدارة نشاطها الداخلي و الخارجي دون أن تُنتَقَص بتدخل أو نفوذ أجنبي، و في تعريف آخر هي السُّلطة العليا التي لا تعلوها سُلطة و ميزة الدولة الأساسية الملازمة لها و التي تتميز بها عن كل ما عاداها من تنظيمات داخل المجتمع السياسي ، و مركز إصدار القوانين و الجهة الوحيدة المخوّلة بحفظ الأمن و النظام وبالتالي المحتكر الشديد لوسائل القوة و الحق في إستعمالها لتطبيق القانون مقابل sovereignty.²

وهي المخوّل الوحيد لإبرام الصفقات و المعاهدات و الإتفاقيات الدولية و هي المعبر الرسمي لمواقف الدولة إتجاه القضايا الوطنية و العالمية .
ويندرج ضمنها مفاهيم أخرى كالسلطة الفعلية و السلطة الشرعية و السلطة الموازية والسلطة الخفية .

¹ - معهد البحرين للتنمية السياسية ، معجم المصطلحات السياسية ، معهد البحرين للتنمية السياسية ، البحرين سلسلة كتب 2014 ، ص 41 .

² - هادي العلوي ، قاموس الدولة و الاقتصاد ، دار الكنوز الأدبية ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى 1996 ، ص 57 .

10 - النظرية :

تعريف النظرية : **Théorie**

لغة هي : رؤية مشهد ، نظرة عقلية ، تنظير بالمعنى الحقيقي .

إصطلاحا : إنشاء تنظيري للعقل ، يربط النتائج بالمبادئ .

التعريف الفلسفي :

يغلب على هذه الكلمة في أي من مفاهيمها إستعمالها بمعنى ازدرائي ، فتطلق صفة نظرية إما على نظرة فكرية مبسطة تبسيطا مصطنعا ، تتمثلُ الوقائع بكيفية مفرطة في التعميم ، فلا يمكن إستخلاص نتائج منها قابلة للتطبيق على الواقع ، وإما على تصور فردي و عشوائي ناجم عن الخيال أو عن التحزّب أكثر مما هو ناجم عن العقل . لكن كلود برنار ذهب في ذلك مذهبا مختلفا ، فأعطى للكلمة معنى تقريظيا " بأن النظرية هي الفرضية المحققة بعدما جرى إخضاعها لرقابة المحكمة العقلية و النقد الإختباري ... لكن على أية نظرية لكي تظلّ صالحة أن تتطور دائما مع تقدّم العلم و أن تبقى خاضعة بإستمرار للتحقق و لنقد الوقائع الجديدة التي تظهر . و إذا اعتُبرت نظرية ما على أنها كاملة و جرى التوقف عن التحقق منها بالإختبار العلمي ، أصبحت مذهبا " ¹

¹ - أندري لالاند ، موسوعة لالاند الفلسفية ، تعريب خليل أحمد خليل ، المجلد الثالث R - Z ، منشورات عويدات ، بيروت - باريس ، الطبعة الثانية 2001 ، ص 1455 .

الفصل الأول: تاريخية مفهوم الجيوسياسة التعريف و التأسيس

هكذا يتعارض المذهب و المنظومة مع النظرية ، فاللفظان الأول و الثاني يمثلان مواقف مشوهة للعقل العلمي ، و اللفظ الأخير يمثل موقفه السويّ ، و هذا المعنى خاص بكلود برنارد .

كما أنه أحيانا يتم الخلط بين النظرية و مفاهيم أخرى تتقاطع معها في تعريفاتها بمعاني و دلالات متشابهة و متداخلة ، و هناك محاولات عديدة و متواصلة للتفرقة بينهم خاصة بين النظرية و المنهج و النموذج و الإقتراب و الإفتراض و التعميمات و القوانين .

و كانت محاولات للتفرقة بين النظرية و المنهج على إعتبار أنهما من أهم المفاهيم في البحث العلمي ، و كثيرا ما يختلطان ، فتم إعتبار أن النظرية تشير إلى مجموعة من التعميمات المرتبطة بصورة منظمة ، و المنهج هو الإجراء أو العملية التي تتضمن تقنيات و أدوات تستخدم في فحص و إختبار و تقويم النظرية، وأن المنهجية تتكون من المناهج و الإجراءات و مفاهيم العمل و قواعده التي تستخدم في بناء و إختبار النظرية.¹ وبما أنه لا يوجد إجماع أو إتفاق حول تعريف نهائي للنظرية و مدلولها إلا أنها تلتقي معظم التعريفات على أن النظرية هي :

" نسق من المقولات المترابطة منطقيا ، و شبكة من التعميمات الإستدلالية من خلالها يمكن اشتقاق تفسيرات أو تنبؤات عن أنماط معينة من الأحداث المعروفة جيدا " أو هي " مجموعة من الإفتراضات المجردة و العلاقات المنطقية التي تحاول

¹ - د.نصر محمد عارف ، ابستمولوجيا السياسة المقارنة ، النموذج المعرفي - النظرية - المنهج ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الاولى ، 2002 ، ص 70 .

شرح و تفسير كيفية حدوث ظاهرة معينة " و عرفت كذلك بأنها " مجموعة من الفروض التي تشبه القوانين مرتبطة بصورة منظمة"¹

. ونستطيع تعريف النظرية بأنها: مجموعة من الفرضيات، ثبتت صحتها عن طريق التجريب المادي العلمي الميداني فهي " نظرية علمية " أو عن طريق التحليل العلمي النظري فهي بذلك تعتبر " نظرية فلسفية أو اجتماعية " .

وتعتبر الفرضية تفسير وتخمين مؤقت وغير نهائي أما النظرية فهي تفسير ثابت ونهائي نسبيا.

أما الإيديولوجية : فهي مجموعة النظريات والقيم والمفاهيم الدينية والاجتماعية والاقتصادية والقانونية العامة، المتناسقة ، المترابطة ، المتكاملة والمتداخلة في تركيب وتكوين كيان عقائدي كلي وعام. وتستند إلى أسس ومفاهيم السمو والقداسة في سيادتها على المجتمع.

و النظرية كما يراها الجنرال كارل فون كلاوزفيتز 1780 - 1831 في مؤلفه الموسوم عن الحرب : أنها تلقي الضوء على مجموعة المواضيع و تعطي القدرة على معرفة الطريق، و تبين العلاقات المتبادلة بين الأشياء و تفصل بين ما هو هام و ما هو ثانوي . فالنظرية هامة لتكوين المنفذين و لتسهّل عملية إتخاذ القرار.

المطلب الثاني : المفاهيم المحايثة للجيوسياسة :

¹ - د.نصر محمد عارف ، ابستمولوجيا السياسة المقارنة ، النموذج المعرفي - النظرية - المنهج ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الاولى ، 2002 ، ص 72 .

المجال الحيوي أو اللينسروم **Lebensraum**: بشكل عام هو المساحة اللازمة لنمو و إستقرار الكائن الحي و قد إستعمل هذا المصطلح في المجال الجيوسياسي للإشارة للمجال الذي تحتاجه الدول لوجودها و إستمرارها . و قد إستعمله فريدريك راتزل في 1897 بمعنى مساحة المعيشة للدولة التي تكبر و تتقلص حسب قوتها . كما إستعمله رودلف كيلين الذي فسره بأنه قانون طبيعي جيوسياسي و الذي يوحي بمفهوم توسعي إستعماري إمبريالي .

و إستعملها هاوش هوفر التي تصادف ولادة ألمانيا النازية الهتلرية و منها **المجال الحيوي Lebensraum** التي تدعو أن يكون لألمانيا مجال تمتد فيه جذورها الإقتصادية و السياسية.

فالمجال الحيوي هو المساحة اللازمة لنمو و إستمرار الكائن الحي حيث نقل هذا المصطلح و أسقط على الدولة التي تم إعتبارها كالكائن الحي بحيث يحتاج إلى مساحة أوسع من الأراضي لتنمو إضطرادا مع قوتها العسكرية و الإقتصادية لتأمين وجودها و حاجات شعبها و تطلعاته.

قلب الأرض أو قلب العالم أو الهيرتلاند :

مصطلح أتى به هالفورد ماكندر في 1904 باحثا عبر التاريخ و في ضوء حركة القوى المتصارعة الكبرى عبر التاريخ سؤاله الجريء أين كانت أكثر المناطق حصانة عبر التاريخ ؟ و يصل إلى أنها المنطقة الممتدة عبر روسيا و حدود الصين و أوروبا الشرقية ويسميتها منطقة الإرتكاز الجغرافي للتاريخ و هي أوروبا الشرقية و غرب روسيا و يحيط

الفصل الأول: تاريخية مفهوم الجيوسياسة التعريف و التأسيس

بها هلال داخلي الذي هو الدول المطلة على البحار من أوروبا الغربية و الدول المطلة على البحر الأبيض المتوسط و الشرق الأوسط و جنوب آسيا و الشرق الأقصى ثم يتبعه هلال خارجي المتمثل في الجزر المحيطة بالجزيرة العالمية و هم الأمريكيتين وبريطانيا و جنوب أفريقيا و أستراليا و اليابان .

ويطلق على منطقة الإرتكاز لقب " قلب العالم " الذي يعتبر جغرافيا مستعصي و أنه من يتحكم فيه سيتحكم في الهلال الداخلي و من يتحكم في الهلال الداخلي سيتحكم في الجزيرة العالمية و من يتحكم في الجزيرة العالمية سيتحكم في الهلال الخارجي و بالتالي يتحكم في العالم .

وقد يستعمل هذا المصطلح في تحديد مناطق ذات أهمية إستراتيجية بالنسبة لبعض الدول خاصة مع التطورات التي شهدتها العالم في المجال العسكري و التكنولوجي و إنتشار العولمة فقد نعتبر أن بحر الصين الجنوبي هو قلب الأرض بالنسبة للصين و بدونه لا يمكن أن تكون الصين قوة عالمية .

حافة الأرض أو الريميلاند أو الإطار :

هو مصطلح أتى به نيكولا سبيكمان يخالف به مصطلح قلب الأرض، إذ يرى سبيكمان أن تاريخ الصراعات كان يدور أغلبها في البحار و المحيطات و بين الدول المطلة عليها وتضم أوروبا الغربية البحرية والدول العربية في شمال أفريقيا و الشرق الأوسط و إيران والهند وأفغانستان و جنوب شرق آسيا و الصين و كوريا و شرق سيبيريا و بالتالي

الفصل الأول: تاريخية مفهوم الجيوسياسة التعريف و التأسيس

من يتحكم في دول الهلال الداخلي للجزيرة العالمية و التي يسميها الريملاند أو حافة الأرض فإنه من يسيطر عليها يسيطر على الجزيرة العالمية و من يسطر على هذه الأخيرة يسيطر على العالم .

المجال الجوي : و يقصد به المجال الذي يعلو حدود الدولة الجغرافي الأرضي و البحري ومع التطور التكنولوجي أصبحت تتحرك فيه مجموعة من الآلات الإستراتيجية من الطائرات العسكرية و المدنية و الطائرات بدون طيار إضافة للصواريخ العابرة للقارات و حتى قصيرة المدى و يشمل أيضا الفضاء .

المجال البحري : و يقصد به المياه الإقليمية للدولة و المياه ذات الملاحة الدولية التي تسمى أعالي البحار إضافة إلى الأنهار و البحار و المحيطات و القنوات و المضائق البحرية و التي تتحرك من خلالها اليوم معظم التجارة العالمية و السفن العسكرية و حاملات الطائرات و الغواصات .

القوة الصلبة : تعني القوة المادية العضوية للدول و يسميها البعض القوة التقليدية أو القوة الكلاسيكية و تشمل القوة العسكرية للدولة إضافة القوة الاقتصادية و التجارية.

القوة الناعمة : عكس القوة الصلبة فهي تشمل وسائل التأثير الثقافية و الفنية من الأفلام و المسلسلات و الصورة و الإعلام و الموسيقى و الرسم و الرياضة و التعليم واللغة و التكنولوجيا و الماركات العالمية و المؤسسات الفكرية و المعرفية و هي ذات تأثير غير مباشر على الجهات المستهدفة فتحمل قوة خفية لكن مؤثرة .

الفصل الأول: تاريخية مفهوم الجيوسياسة التعريف و التأسيس

الدولة الفاشلة : و يقصد بها الدولة التي لا تستطيع بسط سيطرتها على كامل إقليمها فتنشأ داخلها جماعات مسلحة ذات سلطة و نفوذ و تكون هي المسيطر التام على بعض المناطق في مواجهة الدولة و جيشها النظامي .

الدول الافتراضية : يشير المصطلح إلى الجماعات المسلحة أو التنظيمات الإرهابية التي تبسط سيطرتها على إقليم معين و تحتكر وسائل العنف فيه، فهي تماهي الدولة في بسط سلطتها على مساحة ما، لكن لا تملك تمثيل شرعي للسلطة و لا إعراف دولي و لا حدود ثابتة و تنشط داخل الدول الفاشلة .

الحروب اللامتماثلة : هي الحرب غير التقليدية الكلاسيكية التي يتواجه فيها جيشان نظاميان ، بل هي الحروب التي يتقابل فيها جيش نظامي لدولة معينة ضد جماعات مسلحة لا تملك جيش نظامي تكتسي طابع حرب العصابات أو الحرب ضد الإرهاب، فالجيش النظامي للدولة لا يواجه جيش نظامي آخر محدد المعالم و يملك منطقة معينة بل يواجه مجموعات متفرقة لا تملك إقليم محدد و لا قوة عسكرية قائمة بل مجموعات مسلحة قد تكون في الزي المدني و متواجدة في الأحياء المدنية و تقوم بالحروب الخاطفة و التفجيرات الفدائية .

أجيال الحروب : تطورت أجيال الحروب عبر التاريخ من الحروب البدائية إلى الحروب التقليدية ثم الحروب التقنية و حروب الإستنزاف و غيرها، و قد تم تصنيفها إلى عدة أجيال من الحروب :

حروب الجيل الأول : هي الحروب التي تستعمل فيها البنادق البدائية و التي تعتبر محدودة المجال و تتسم بالإنضباط العسكري المنظم .

الفصل الأول: تاريخية مفهوم الجيوسياسة التعريف و التأسيس

حروب الجيل الثاني : بدأت ملامحه مع التطور في المعدات العسكرية من البنادق الآلية والمدرعات الثقيلة و هي حروب إستنزاف تفرض الإنضباط العسكري للتنسيق بين مختلف الأسلحة وفق التكتيكات و الإستراتيجيات المحددة .

حروب الجيل الثالث : ظهر مع الحرب العالمية الثانية مع التطور الصناعي في المجال اللوجستيكي و المعدات العسكرية الثقيلة كالمطائرات و المدفعية و وسائل التواصل بين القادة و الوحدات القتالية ، و هي تمتاز بأنها حروب خاطفة و تمتاز بالمانورة مع ترك مجال المبادرة لقادة الجيوش لتحقيق نتائج أكثر فعالية فتتسم باللامركزية في إتخاذ القرار عكس الجيلين السابقين .

حروب الجيل الرابع : هي مختلفة عن الأجيال السابقة إلا أنها قديمة من حيث الممارسة فهي تتسم بحشد حركات التمرد و الإغتيالات السياسية و الحملات الدعائية و التحكم في المناطق المسيطر عليها و بسط عليها سلطة فعلية و السعي لتكوين جيش نظامي بداخلها . و قد كان ماو سي تونغ أول من رأى أن الحصول على القوة السياسية يعد أمرا ضروريا من أجل نجاح حركة التمرد، و تعتمد توظيف حرب العصابات و تنظيم حملات إعلامية مكثفة .¹

قد تمتد هذه الحروب لسنين طويلة كالحرب الفيتنامية مع الولايات المتحدة الأمريكية .

¹ - شادي عبد الوهاب منصور ، حروب الجيل الخامس أساليب التفجير من الداخل على الساحة الدولية ، العربي للنشر و التوزيع ، القاهرة ، مصر ، ط 1 ، 2019 ، ص 28 .

الفصل الأول: تاريخية مفهوم الجيوسياسة التعريف و التأسيس

الهدف من حروب الجيل الرابع ليست عسكرية فلا تسعى للهزيمة التقليدية لجيش الخصم، بل تحقيق نصر سياسي عليه من خلال كسر إرادته و رفع تكلفة إستمرار الحرب وتعد هذه الحروب بمثابة ثقب أسود مالي يمثل استنزافا ماليا حتى لأكبر الإقتصادات.¹ كما تستهدف المدنيين و تجعل من المدنيين دروعا لها و يكون منفذي العمليات مدنيين بحيث لا يمكن إكتشافهم و تعدد أماكن القتال، بحيث كل الأماكن متاحة لتنفيذ العمليات لأنها عادة تكون ذات معدات خفيفة و يتم تنفيذها بسرعة ، كما تستعمل أدوات الإعلام للتأثير على الرأي العام العالمي و كذلك تستعين بالدول و الأطراف الأجنبية للتأثير على الخصم داخليا و خارجيا .

حروب الجيل الخامس : تميزت بتوسع مجالاتها بإقامة تحالفات بين الدول و الكيانات من غير الدول و الأفراد و يتمثل هدفها في تحقيق الإنهيار الداخلي للدولة نتيجة للقصور الذاتي ، فوفقا للرائد شانوب ييب مسؤول الإستخبارات الأمريكية في أفريقيا فإن حروب الجيل الخامس لا تستخدم القوة المسلحة أو الأفكار وحدها و لكنها بمثابة دوامة عنف و تدمير مبالغ و غير متوقع يكون محركه الأساسي الإحباط أكثر من تكامل خطط لإسقاط العدو.²

و إنّ مركز ثقل هذه الحروب غير معلوم و غير ثابت عكس حروب الجيل الرابع التي تحدد مركز ثقل القوة ومحركها بينما حروب الجيل الخامس غير موجود مركز ثقلها و يبقى مبهم بين شبكة من التفاعلات و التحالفات تعطي إنطباعا بعدم وجودها، فهي حروب

¹ - شادي عبد الوهاب منصور ، حروب الجيل الخامس أساليب التفجير من الداخل على الساحة الدولية ، العربي للنشر و التوزيع ، القاهرة ، مصر ، ط 1 ، 2019 ، ص 29 .

² - شادي عبد الوهاب منصور ، حروب الجيل الخامس أساليب التفجير من الداخل على الساحة الدولية ، العربي للنشر و التوزيع ، القاهرة ، مصر ، ط 1 ، 2019 ، ص 36 .

الفصل الأول: تاريخية مفهوم الجيوسياسة التعريف و التأسيس

سياسية و ليست عسكرية يمكن إخفاء مركزها أو حتى يكون بعيد عن أماكن العدو و قد يكون المركز هو فكرة أو منهج أو معتقد أو إيديولوجيا يعمل تحتها هذا التنظيم و الذي قد يكون لا عقلانيا أو عدما و فعل أشياء غير منطقية كقتل المنتمين إليهم . و المثال الواضح حول هذه الحروب هي التنظيمات الإرهابية التي قد تسعى لتدمير دولة و بناء دولة أخرى .

والجدير بالذكر أن علم الجيوسياسة يتضمن عديد المصطلحات التي تفسر مجالاته وأبعاده و نذكر منها :

التيلوروكراتيا : كلمة يونانية و تعني القوى البرية أو السلطة عن طريق البر .

التالاسوكراتيا : كلمة يونانية و تعني قوى البحر أو السلطة عن طريق البحر .

الأيروكراتيا : كلمة يونانية و تعني قوى الجو أو السلطة عن طريق الجو .

الأيثيروكراتيا : كلمة يونانية و تعني قوى الفضاء .

المبحث الثاني : تعريف الجيوسياسة و علاقتها بالعلوم الأخرى

من المعروف أن البيئة الجغرافية من العوامل المؤثرة في نشأة الدولة و تطورها و يعتبر "ابن خلدون " من الأوائل المفكرين الذين أكدوا على أهمية العوامل الجغرافية و البيئية في بيان الدولة و درجة قوتها ، فهناك فرق بين دولة و مجتمع سياسي يقوم على جغرافيا إستراتيجية كإحتوائها على المضائق البحرية الهامة أو مواد طبيعية أساسية من بترول وغاز وغيرها من المواد ، و بين دولة أو مجتمع سياسي يقوم على منطقة منعزلة و لا تملك

الفصل الأول: تاريخية مفهوم الجيوسياسية التعريف و التأسيس

موارد طبيعية إستراتيجية ، و قد تفرع عن الجغرافيا مع نهاية القرن التاسع عشر علم جديد هو الجيوسياسية و هو الذي يهتم بدراسة تأثير الموقع الجغرافي على سياسة الدولة والعكس كما يهتم بدراسة تأثير الجغرافيا على العلاقات السياسية بين الدول بعضها بالبعض الآخر .¹

المطلب الأول : تعريف الجيوسياسية

إن الجيوسياسية أو الجغرافيا السياسية كما كانت تسمى عند نشأتها من طرف فريدريك راتزل في 1897 و قبل أن يتم دمج و إختزال المصطلحين في مصطلح واحد هو الجيوبوليتيك من طرف السويدي رودلف كيلين في 1905 الذي أعاد بذلك إحياء المصطلح الذي أتى به لينتز في 1679، فتعتبر الجيوسياسية فرعاً من فروع الجغرافيا البشرية ، و هي حديثة النشأة بالنسبة للفكر الجغرافي الذي قطع أشواطاً طويلة عبر مر التاريخ في التطور و تأسيسه كعلم قائم بذاته و متاح للجميع بعد أن كان حكراً في المجال العسكري فقط ، و لم يكن للجغرافيا السياسية الظهور كعلم إلا بعد ترسيخ القواعد الجغرافية و التمييز بينها ، خاصة بين الظواهر الطبيعية الجغرافية و الظواهر البشرية الجغرافية .

وتهتم الجغرافيا السياسية بدراسة الوحدات السياسية في جغرافيات متعددة و من الوحدات السياسية الأساسية التي تدرسها هي الدولة إضافة إلى الظواهر البشرية بكل

¹ - شادي عبد الوهاب منصور ، حروب الجيل الخامس أساليب التفجير من الداخل على الساحة الدولية ، العربي للنشر و التوزيع ،

القاهرة ، مصر ، ط 1 ، 2019 ، ص 67 .

الفصل الأول: تاريخية مفهوم الجيوسياسة التعريف و التأسيس

تنوعها ومدى تأثير و تأثر كل منهما بالآخر كما تدرس النظم السياسية بكل أنواعها. و بذلك فهي تستعين بالعديد من العلوم الأخرى إضافة لعلمي الجغرافيا و السياسة كعلم التاريخ و علم العلاقات الدولية و علم الأثرولوجيا و الإقتصاد و غيرها .

الجيوسياسة :

هي المفهوم الذي يدرس تأثير البيئة الجغرافية، الإقتصادية ، الإجتماعية، الثقافية على سياسة أمة أو دولة و طبيعة هذه العلاقات مع الدول الأخرى . و الجيوسياسة تهدف إلى التحليل الأكثر دقة للمحيط الذي تتخذ منه القرارات السياسية، و تأخذ بعين الإعتبار جميع إهتمامات الجهات الفاعلة الموجودة على الساحة الدولية سواء كانت لرجال الدولة أو الدبلوماسية، الجيش، المنظمات غير الحكومية، الرأي العام . كما تمس الجغرافيا السياسية البعد المزدوج الداخلي و الخارجي لسياسات الدول .¹

و إنّ تعريف الجيوسياسة ليس بالأمر الهين للعديد من الأسباب نذكر منها :

أولاً : لإختلاف التوجهات الفكرية و العقائدية لمؤسسي هذا العلم .

ثانياً : لكون الممارسات تسبق المفهوم ، فالجغرافيا السياسية نشأت كعلم مستقل عن الجغرافيا البشرية مع نهاية القرن التاسع عشر لكنها قديمة قدم علم السياسية و العلوم الإستراتيجية و العسكرية و الإجتماعية و غيرها ، إلا أنها لم تكن محل علم مستقل بل ممارسات تطبيقية و تخطيطية بدون عنوان خاص بها، حيث أنه لا يوجد سياسة تمارس على فراغ بل دائما تقترن بجغرافيا معينة، كما أنه لا توجد جغرافيا غير منظمة و غير

¹ – dictionnaire encarta 2002 – 2008 , microsoft corporation (traduction personnelle) .

الفصل الأول: تاريخية مفهوم الجيوستياسة التعريف و التأسيس

مؤطرة من طرف الإنسان بل كانت دائما محل تأثير و تأثر بالممارسات المطبقة عليها من طرف السياسيين و قادة تلك الجغرافيا .

ثالثا : إن ما شهده العالم من حروب و على رأسها الحربين العالميتين لم تترك مواطن و لا مفكر و لا سياسي و لا عسكري إلا و ألبسته منهاجها و عقيدتها و توجهها مما جعل مؤسسي الجغرافيا السياسية رغم سعيهم للموضوعية إلا و تلمس الظروف التي كانت محيطها بهم أثرت على أعمالهم و بالتالي على تفسيراتهم للجيوستياسة.

رابعا : إن التطور الفكري و التكنولوجي و المعلوماتي عبر مر الفترات الزمنية جعل ممارسات الجغرافيا السياسية تختلف من زمن لآخر و من جغرافيا لأخرى، و لعل أبرز هذه التطورات و أسرعها ما شهده العالم خلال القرنين الأخيرين من تطور كبير في مجال المواصلات السلوكية و اللاسلوكية و الرقمنة و الأقمار الصناعية و السيبرنتيقا و الأسلحة العسكرية خاصة النووية و الطائرات العسكرية و الطائرات بدون طيار و الحاجات الماسة للموارد الطبيعية و غيرها، مما كوّن إختلافات في مفاهيم الجغرافيا السياسية و تعريفاتها لكن يتفق الجميع على مدى أهميتها الكبيرة .

خامسا : حتى العلوم الأخرى تشهد إختلافات في تعاريفها فلا يستغرب عن الجغرافيا السياسية أن تعيش هذه الإختلافات و تتغير و تتطور بتطور نظرياتها لهذا جل تعاريفها نجدها متقاربة في الغاية والمضمون العام رغم إختلافها في الصياغة و الشكل والتوجه .

و تعددت تعاريف الجغرافيا السياسية نظرا لظروف نشأتها و المتغيرات التي حدثت في بدايات تأسيسها و في هذا الصدد يقول جيرارد أوتواتيل O tuathail في 1998 :

" كل المفاهيم لها تاريخ ولها جغرافيا ، ولا يمثل مصطلح "الجيوبوليتيكا" إستثناء من ذلك ، و قد كان لكلمة "الجيوبوليتيكا" تاريخ طويل و متنوع في القرن العشرين ، وذلك بما يتخطى معانيها الأصلية ... و هكذا يعتبر الوصول إلى تعريف محدد أمرا شديدا الصعوبة ، وذلك لأن معنى مثل هذه المفاهيم يميل إلى التغير مع تغير الفترات التاريخية و هياكل النظام العالمي ، ولا يمكن فهم الجيوبوليتيكا إلا في سياق إستخدامها التاريخي و المتغير ."¹

و من بين التعاريف التي قدمها مفكري الجغرافيا السياسية نذكر منها :

- فان فالكنبرج **van valkenberg** الذي يعرف الجغرافيا السياسية : بأنها الدول أو الوحدات السياسية التي تتناول دراسة الدول كوحدة تتميز بظروف خاصة في الإنتاج و الاستهلاك ، و المساهمة في تحقيق متطلبات السكان ، كما تتناول مقومات تقدم الدول و قوتها و علاقتها بغيرها من الدول .²

في هذا التعريف يركز على الدولة في حين نرى أن الجغرافيا السياسية أشمل من ذلك بحيث تشمل حتى التقسيمات الجغرافية داخل الدول و كذلك تدرس مجموعة من الدول على أساس رقعة جغرافية واحدة كدراسة أوروبا أو الشرق الأوسط و دراسة وحدات أخرى

¹ - كلاوس دودز ، و ديدفيد أتكسون ، الجغرافيا السياسية في مائة عام (التطور الجيوبوليتيكي العالمي) الجزء الأول ، ترجمة عاطف معتمد ، و عزت زيان ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، مصر ، الطبعة الاولى ، 2010 ، ص 26 .

² - الدكتور علي أحمد هارون ، أسس الجغرافيا السياسية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، مصر ، الطبعة الأولى ، 1998 ، صفحة 28 .

الفصل الأول: تاريخية مفهوم الجيوستياسة التعريف و التأسيس

مؤثرة في الساحة العالمية كالشركات متعددة الجنسيات أو المنظمات الإرهابية أو صدام الحضارات أو الأديان و المعتقدات أو المجالات الافتراضية .

- يعرف كريسي **cressey** الجغرافيا السياسية بأنها " تطبيق المبادئ الجغرافية على مشكلات السياسة الداخلية و الخارجية ، وهي بذلك تبحث في الحقائق المتعلقة بالموقع و الحدود السياسية و المساحة و مدى التماسك أو التجانس الداخلي للدولة"¹.

نرى أن هذا التعريف يركز كثيرا على الجغرافيا في حين أن الجغرافيا السياسية علم يجمع ثمثي الجغرافيا و السياسية ليشكل مجسم واحد لا يطغى أحدهما على الآخر .

- و يعرف لويس ألكسندر **Alexander, L. M** الجغرافيا السياسية في كتابه **world political patterns** بأنها " دراسة الأقاليم السياسية التي ينقسم إليها سطح الأرض كظاهرة من ظواهر سطحها، و أن طبيعة و كينونة هذه الأقاليم السياسية مرهون بالاختلافات للظواهر السياسية الموجودة في العالم ، كما يرى أن الجغرافيا السياسية لا تهتم بشكل و تركيب الحكومة ذاتها أو بتقسيم الوظائف بين السلطات التنفيذية والتشريعية و القضائية أو ما إذا كانت الحكومة ديمقراطية أو دكتاتورية "².

¹ - نفس المرجع ص 28 .

² - الدكتور علي أحمد هارون ، أسس الجغرافيا السياسية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، مصر ، الطبعة الأولى ، 1998 ، ص 29 .

- أما نورمن بوندر norman pounds فيعرّف الجغرافيا السياسية في كتابه بعنوان « political geographiy » بأنها " العلم الذي يهتم بالدولة أو بالإقليم المنظم تنظيما سياسيا من حيث الوظيفة و الموارد و المساحة و عوامل وأسباب تكوينها، وأن الدولة تسعى لتوفّر لشعبها خير ما يصبو إليه من رفاهية و إستقلال وحرية " ¹ لكن الجغرافيا السياسية تدرس حتى الأقاليم الجغرافية غير المنظمة سياسيا أو التي تعيش حالة فوضى، و الجغرافيا التي تستقر على سلطة سياسية فعلية تتحكم في جغرافيتها كحالة ليبيا بعد اغتيال رئيسها معمر القذافي فتدرس الجيوسياسة حتى الكيانات المسلحة والحروب اللامتماثلة و الدول الفاشلة .

- و يرى جاكسون jackson في كتابه « political and geography relation » أن الجغرافيا السياسية هي : علم دراسة الظواهر السياسية في ضوء إطارها المكاني سواء أكان ذلك يتضمن تحليل الحدود السياسية و الأنماط الجغرافية الناجمة عن تطبيق سلطة الحكومة أم مدى إستقرار الوحدات السياسية الجديدة .

- و يرى كسبرسن kasperson في كتابه the structure of political geography أن الجغرافيا السياسية هي : التحليل المكاني للظاهرة السياسية²

- و يعرف بومان bowman الجغرافيا السياسية بأنها العلم الذي يساعد على تحديد الأسباب الجغرافية المؤثرة في السلوك السياسي للإنسان .³

¹ - نفس المرجع ص 29 .

² - الدكتور علي أحمد هارون ، أسس الجغرافيا السياسية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، مصر ، الطبعة الأولى ، 1998 ، ص 29 .

³ - نفس المرجع ص 28 .

الفصل الأول: تاريخية مفهوم الجيوسياسة التعريف و التأسيس

ويعرفها بيرسي وألكساندر فيقولان : الجغرافيا السياسية هي عبارة عن الوصف والتحليل لمنطقة أو مساحة من الأرض فيها تنظيم سياسي أو وحدة سياسية وعلاقتها بمثلاتها من الكيانات السياسية¹ .

و يعرفها رودلف كيلين : " الجيوسياسة هي علم الدولة بصفاتها تنظيم جغرافي متجلي في إقليمها"²

ويعرفها فريديريك راتزل : " بأنها العلم الذي يحدد الصفات و الشروط الجغرافية، وبالأخص في الأقاليم الكبرى التي تلعب دور حاسم في حياة الدول ، بحيث الفرد والمجتمع مرهون بالأرض التي يعيش عليها و التي تحدد مصيره بقانون الجغرافيا "³ .

يبرز جيدا في تعريف راتزل للجيوسياسة الحتمية الجغرافية و تأثيرها الغالب على السياسة و يجعل الفرد مرهون بجغرافيته .

أما بالنسبة لجاك أنسل فإن "الجيوسياسة هي قبل كل شيء الملاحظة و التحليل لعلاقة الإنسان مع الأرض التي يعيش عليها و يطورها عسكريا و سياسيا و تجاريا من خلال التنوع الجغرافي "⁴ . و هنا يتضح التوجه المختلف للجيوسياسة عند أنسل التي لا يجعلها خاضعة للحتمية الجغرافية بل يمنح صانع القرار فيها سلطة الملاحظة

¹ - د . عبد المنعم عبد الوهاب :جغرافيا العلاقات السياسية . الكويت، مؤسسة الوحدة للنشر والتوزيع، 1977 ، ص 1

² - pascal boniface, La Geopolitique , 50 fiches pour comprendre l'actualité, éditions Eyrolles , paris, France, 6eme édition, 2019, p 13.

³ - pascal boniface, La Geopolitique , 50 fiches pour comprendre l'actualité, éditions Eyrolles , paris, France, 6eme édition, 2019, p 13 .

⁴ - pascal boniface, La Geopolitique , 50 fiches pour comprendre l'actualité, éditions Eyrolles , paris, France, 6eme édition, 2019, p 13 .

الفصل الأول: تاريخية مفهوم الجيوسياسة التعريف و التأسيس

والتحليل لتطوير الجغرافيا و منحها قيمة إضافية من القوة و التطور في شتى المجالات أو بمفهوم المخالفة حيث ضعف صانع القرار سيؤدي إلى تهميش الجغرافيا .

كما نشير إلى تعريف إيف لاکوست لهذا المفهوم : " الجيوسياسة هي دراسة مختلف أنماط و أشكال التنافس على السلطة في الأقاليم ... القوة تقاس حسب إمكانية وأهمية الإقليم الداخلي و القدرة على إبراز الذات خارج هذا الإقليم و على مسافات أكبر بشكر متزايد ."¹

و يؤكد إيف لاکوست أن مصطلح الجيوسياسة الذي يستعمل اليوم في عدة مجالات فإنّه " يُعنى بكل تنافس على السلطة و النفوذ على الأقاليم و الشعوب التي تعيش عليها : التنافس بين القوى السياسية على اختلاف أنواعها، و ليس فقط بين الدول و لكن أيضا بين الحركات السياسية و الجماعات المسلحة حتى السرية غير الشرعية ، الحقيقة من أجل التحكم أو السيطرة على الإقليم سواء كبير أو صغير الحجم . " فبالنسبة له الجيوسياسة هي التناغم و المزج بين العلوم السياسية والجغرافيا.²

و فضلا عن ذلك فإن بيار ماري غالوا **Pierre Marie Gallois** يعرفها بأنها " دراسة العلاقات الموجودة بين تطبيق سياسة القوة على المستوى الدولي و الإطار الجغرافي الذي تمارسها عليه " .³

¹ - Ibid , p 13 .

² - pascal boniface, La Geopolitique , 50 fiches pour comprendre l'actualité, éditions Eyrolles , paris, France, 6eme édition, 2019, p 14 .

³ - Ibid p 14 .

وعلاوة على ذلك فإن روبرت كابن **Robert Kaplan** يعرفها بأنها " دراسة السياق الذي تواجهه كل دولة لتحديد إستراتيجيتها الخاصة ، و تأثير الجغرافيا على النضالات البشرية . " ¹

و بما أن علم الجغرافيا السياسية مبني على علمي الجغرافيا و السياسة و حيث لكل علم منهما كم هائل من المعلومات و النظريات و التجارب و التطبيقات و الممارسات و كما لهما من محاسن و مزايا و فضل على التطور الحضاري و الإنساني للمجتمعات فلهما كذلك تأثيرات سلبية على المجتمعات و الدول و على البيئة، و إن آثارها أحيانا ما كان جرحه عميق للعديد من الشعوب و الأمم . ذلك أن وقتا طويلا قد إنقضى قبل أن تصبح الجغرافيا في وضع يؤهلها لأن تلتقي بالسياسة و أن تستحوذ على الإهتمام بالمشكلات بين الدول كما كان من الضروري أن ينقضي الوقت الطويل أيضا قبل أن تتزايد أعداد الدول و تتوالد المشكلات و تتعقد الأمور السياسية ليصل إلى حد الإلحاح الذي يدعو لأن يقتحم الجغرافي و يؤسس لعلم الجغرافيا السياسية .² ويمكن القول أن النصف الثاني من القرن التاسع عشر هو الذي شهد كل العمل الحقيقي والجهد الصادق و الدراسات الأصلية التي أرست القواعد الراسخة للجغرافيا السياسية و ثبتت ملامحها كفرع من فروع الجغرافيا البشرية .³

¹ - Ibid p 14 .

² الدكتور صلاح الدين الشامي ، دراسات في الجغرافيا السياسية ، منشأة المعارف ، الاسكندرية ، مصر ، الطبعة الثانية ، 1999 ص 22 .

³ نفس المرجع ص 23 .

الفصل الأول: تاريخية مفهوم الجيوسياسة التعريف و التأسيس

- وإننا إذ نعرّف الجيوسياسة فنرى بأنها : العلم الذي يدرس القوى السياسية وتفاعلها مع الجغرافيا ، و يحدد إستراتيجيات و أهداف الوحدات السياسية ، ويبرز الأهمية الجغرافية للأقاليم السياسية ، و يرسم مناهج و طرق تحقيق الأهداف ومواجهة التحديات في الإطار الزمني و المكاني للوحدات السياسية داخل وخارج إقليمها ، و هي التأثير و التّأثر المتبادل بين الجغرافيا و السياسة .

تأسيس علم الجيوسياسة :

تعتبر الجغرافيا السياسية من أبرز فروع الجغرافيا البشرية الذي عرف نقاشات واسعة في الأوساط العلمية و السياسية أكثر من غيره من الفروع ، ولا يوجد فرع من فروع الجغرافيا البشرية يدور حوله الجدل والنقد مثل الجيوسياسة و الذي كان أيضا محل إهتمام جميع الطبقات السياسية وصولا إلى أعلى مراكز القرار في الدول ، وكذلك لم يحصل جدل ونقد حول أحد كبار الجغرافيين مثل ما حدث للألماني فريدريك راتزل 1844 - 1904 مؤسس الجغرافيا السياسية و الذي سنتطرق إليه لاحقا .

و لم يأتي إهتمام الألمان و البريطانيين و الفرنسيين و الأمريكيين وغيرهم من الذين نظّروا للجغرافيا السياسية صدفة أو إبتكار من العدم بل قد أسس لهذا الفكر الفلسفي من قبل ومهّد الطريق لتأسيسه العديد من الفلاسفة و الجغرافيين و الإستراتيجيين العسكريين (القادة العسكريين) و السياسيين وغيرهم ، و ساعد ذلك تطور العلوم ، خاصة العلوم الجغرافية و تزامنا مع الثورة الصناعية ، فتكونت القاعدة العلمية التي سيستند إليها علم الجغرافيا السياسية و هذا النوع من المعارف يعود إنتاجه إلى التاريخ القديم .

الفصل الأول: تاريخية مفهوم الجيوستراتيجية والتأسيس

حيث أن الصيني صن تزو 544 - 496 ق.م من خلال كتابه " فن الحرب " وضع العناصر الأساسية لما ستكون عليه الجغرافيا السياسية بعد عدة قرون فوضح قدرات السلطة السياسية في التحكم في فضاء معين و في الزمن خلال حالات السلام و الحرب فيقول صن تزو " الحرب خاضعة لخمسة عوامل يجب أن تدرس بدقة لتحديد موازين القوة و هي : الأولى الفعالية هو ما يضمنه التماسك بين الرئيس (القائد) و المرؤوس، ثانيا المناخ ، ثالثا الطبوغرافيا ، رابعا القيادة ، خامسا التنظيم ... و في الفصل العاشر ينصح السلطة السياسية والعسكرية بأن تكون ملمة بمعرفة دقيقة لجغرافيا المواجهات المسلحة و أي جهل للعوامل الجغرافية يؤدي للهزيمة¹ و أصبحت رؤيته للجغرافيا وترابطها بالسياسة محل إلهام و إستنباط العديد من الأساسيات للجغرافيا السياسية المعاصرة.

ويضع مفهوم الجغرافيا السياسية للعالم الكاتب كوتيليا Kautilya الوزير الهندي الرئيسي للملك شندراجيبتا chandragupta 321 - 297 ق.م فيبني المؤلف مفهوم الجغرافيا السياسية بطريقة متحدة المركز " دائرة الملك" أو "دائرة الدول " و في نظره أن " الدول منقسمة داخل دائرة مركزية ، و العلاقات المتبادلة بينها تقوم في آن واحد على أساس الحدود والقرب الجغرافي وقوة هذه الدول"² . فأولويات الدولة هي التحكم في محيطها الجغرافي ثم التوسع على المناطق المجاورة بعد إكتسابها سياسة رشيدة و قوة عسكرية .

¹ Abdelaziz Djerad , la géopolitique repères et enjeux , edition chihab , Alger, 2016 , p 36.

² Abdelaziz Djerad , la géopolitique repères et enjeux , edition chihab, Alger, 2016 p 37.

الفصل الأول: تاريخية مفهوم الجيوسياسة التعريف و التأسيس

كتب مؤلفه دائرة الدول في تصور للدول أو للمناطق ذات سيطرة من سلطات سياسية منظمة تتحكم في مجالها الجغرافي و التي تتوسع على محيطها تدريجيا .

وساهم في الجغرافيا السياسية العديد من الفلاسفة كأفلاطون 427 . 347 ق.م في كتابه الجمهورية الذي ربط فيه بين الدولة و السياسية و النظام الأمثل لإستقرارها و وحدة الشعب من خلال تجمعهم في تكوين نظام سياسي مناسب للسكان و أرسطو 384 . 322 ق.م من خلال كتابه السياسة الذي ناقش وظائف الدولة و حدودها السياسية و ابن خلدون و ابن بطوطة و كانط و هيغل .

كما ساهم في الجغرافيا السياسية العديد من كتابات الأتراك خلال إنتعاش الإمبراطورية العثمانية كالأميرال سيدي علي ريس ابن الحسين 1498 – 1562 كتاب المحيط وكتاب ميراث الممالك الذي يصف فيه الشعوب المجاورة للمحيط الهندي، و المؤلف كتيب سليلي مصطفى بن عبد الله 1609 – 1657 في كتاب رؤية العالم يصف فيه شمال البحر الأبيض المتوسط من الأندلس إلى الإمبراطورية العثمانية¹ .

و لم يتم الإقتراب من مقومات الجغرافيا السياسية إلا بعد القرن الخامس عشر حيث إزداد التنافس على التقسيمات الجغرافية تزامنا مع الإكتشافات الكبيرة كإكتشاف القارة الأمريكية سنة 1492 من طرف كريستوف كولومب ، و كذلك الطرق البحرية مع إكتشافات البرتغالي فاسكو دي جاما 1469. 1524 الذي قاد أول أسطول بحري من أوروبا إلى الهند مروراً برأس الرجاء الصالح في 1497 و فتحت رحلته هذه الطرق البحرية بين أوروبا و آسيا .

¹ - ibid , p 43 .

و في التاريخ الحديث و خلال العقود التي سبقت الثورة الفرنسية لمع شارل منتسكيو 1674 – 1755 في كتابه "روح الشرائع" عام 1748 الذي يولي فيه أهمية قصوى لمعالجة العلاقة بين القوانين و النظم القضائية من جهة و الجغرافيا من مناخ و تضاريس ... و تعداد السكان من جهة أخرى¹.

ولقد كان راتزل من رواد المدرسة الحتمية الجغرافية، و عبء الجغرافيا السياسية تحمله هو وكان له الفضل في إنشائها و إرساء قواعدها و تبيان أهميتها فيعتبر مؤسس القاعدة الأساسية لهذا العلم و الحامل على كاهله النقد الناجم على التوسع الألماني الإستعماري. إن الإطار الوظيفي للجغرافيا السياسية هو تحليل الواقع بناء على العلم و الإدراك لكل العوامل الطبيعية و البشرية لجغرافيا معينة بغية تطويرها و نموها و حصانتها.

علاقة العلوم الجيوسياسية بالعلوم الأخرى :

1 – الجغرافيا السياسية و الجغرافيا البشرية

تختلف الجغرافيا السياسية عن الجغرافيا البشرية في كون هذه الأخيرة تدرس البيئة الطبيعية بمكوناتها و علاقتها بالمجتمع و الوحدة الأساسية للجغرافيا البشرية تتمثل في الإقليم الجغرافي بجميع عناصره الطبيعية و البشرية ، و دراسة الإنسان في البيئة الجغرافية التي يعيش فيها و تفاعله معها . بينما تتناول الجغرافيا السياسية دراسة المجتمعات ضمن نظامه السياسي و تتضمن عدة وحدات أساسية لها هي الدولة و الأقاليم المكونة لها و

¹ – معين حداد ، الجيوبوليتيكا – قضايا الهوية و الإنتماء بين الجغرافيا و السياسة ، شركة المطبوعات للتوزيع و النشر ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى 2006 ص 11 .

الفصل الأول: تاريخية مفهوم الجيوسياسة التعريف و التأسيس

التي بدورها تدرس الحدود المكونة لها و الكيانات السياسية الموازية و المنظمات الدولية الشركات العالمية ، كما تدرس التفاعل بين الإقليم الجغرافي و المكونات السياسية له و لا تكتفي بدراسة الدول فقط بل حتى الفدراليات و المنظمات الدولية و الأحلاف العسكرية و السياسية و الإقتصادية ، و الأقاليم المستعمرة المتنازع عليها . كما تدرس المناطق الإستراتيجية و الموارد المائية من أنهار و بحار و محيطات و الجزر و الموارد الطبيعية و غيرها، و تأثيرها و تأثرها بالسياسة .

2 - الجيوسياسة و الجغرافيا :

يرى إيف لاکوست أن الأهمية الكبيرة اليوم لمصطلح الجيوسياسة الذي أصبح مودا في جميع الأوساط السياسية و الإعلامية ينبعنا إلى أن أساتذة الجغرافيا في الثانوية أو الجامعة يتكلمون قليلا عن المسائل السياسية التي ربما تركوها لأساتذة التاريخ رغم أنه في فرنسا وفي العديد من الدول فإن أساتذة التعليم في المتوسط أو الثانوي نفس أساتذة الجغرافيا هم أساتذة التاريخ رغم أن هذين العلمين مختلفين .¹

وفيما يخص المسائل السياسية فيجمعهما التاريخ و الجغرافيا فالأولى تدرس الزمن و الثانية تدرس الفضاء الجغرافي، مكونين مجال معرفي هو السياسية و هذا ما يؤكد الفيلسوف إيمانويل كانط و يجب عدم الفصل بينهما .²

يجعل هذا التجانس المكون للعلوم السياسية يتحد مع العلوم الجغرافية ليؤسس علم جديد يضم الجغرافيا و التاريخ و السياسة هو الجيوسياسة فإن كان اليوم يتم تدريسه في كليات

¹ - Yves Lacoste , Geopolitique – la longue histoire d'aujourd'hui , Graficas Estella, Espagne, Larousse 2012, p 21 .

² - Ibid , p 21 .

الفصل الأول: تاريخية مفهوم الجيوسياسة التعريف و التأسيس

العلوم السياسية إلا أنه فرع من فروع الجغرافيا و بالأخص الجغرافيا البشرية، و هذا راجع للتطور الجينيولوجي لهذا العلم و إرتباطه مع العلوم الأخرى كالإقتصادية و العسكرية والتكنولوجية و تطور نظرياته أدت لبروز أهميته في الأوساط الإعلامية و صانعي القرار داخل الدول و الشركات التجارية و حتى داخل مختلف شرائح المجتمع .

3 - الجيوسياسة و الجيواستراتيجية :

يشمل علم الجيواستراتيجية الجمع بين علمين عميقين هما الجغرافيا بكل فروعها و التي تطرقنا إليها سابقا ، إضافة لعلم الإستراتيجية .

الإستراتيجية : **strategie** مصطلح الإستراتيجية مشتق من الكلمة اليونانية **strato** بمعنى جيش أو حشد ومن مشتقات الكلمة **stratego** و التي تعني فن قيادة القوات .

و الملاحظ أن كلمة إستراتيجية لم تكن مستخدمة حتى نهاية القرن الثامن عشر و كان مدلول اللفظ المستخدم قبله هو فن الفروسية ففي هذا القرن بدأ الاتجاه إلى إعتبار إدارة الحرب علما له مبادئه يمكن إكتشافها و تدريسها في الأكاديميات العسكرية .

ليدل هارت يعرف الإستراتيجية بأنها: " هي فن توزيع و إستخدام الوسائط العسكرية لتحقيق هدف السياسة " ¹.

و يعرفها الجنرال أندري بوفر : " هي فن إستخدام القوة للوصول إلى أهداف السياسة

2،

¹ - ليديل هارت ، الإستراتيجية و تاريخها في العالم ، ترجمة الهيثم الأيوبي ، دار الطليعة ، بيروت، 1967 ، ط 1 ، ص 399 .
² - الجنرال بوفر ، مدخل إلى الإستراتيجية العسكرية ، ترجمة أكرم ديري و الهيثم الأيوبي، دار الطليعة ، بيروت ، 1970 ، ط 2 ، ص 28.

الفصل الأول: تاريخية مفهوم الجيوسياسة التعريف و التأسيس

وهنا قصد بالقوة جميع العناصر التي تتشكل منها سياسة إقتصادية إقتصادية.... إلخ وغيرها.

والواقع أن مجمل هذه التعاريف يغلب عليها الطابع العسكري فتعرفها بدلالة النشاط العسكري في الميدان . في حين أن إستراتيجية الدولة بمعناها العريض والشامل لا يمكن أن تتفقد أو تتحقق بالحرب فقط و إن كانت الوسيلة العسكرية هي واحدة من جملة الوسائل التي تعين على تحقيق إستراتيجية الدولة .

فالإستراتيجية : هي علم و فن توظيف و إستخدام القدرات و الإمكانيات المتاحة لدى الدولة لخلق هامش من حرية العمل يعينها على تحقيق أهداف سياستها العليا في أوقات السلم والحرب¹.

و الجيوسياسة التي تتضمن علمي الجغرافيا و السياسة و التي تهتم أساسا بوضع الرؤية والأهداف الأسمى للدولة و الفواعل العالمين تبحث في غايات الدولة و توضح التحديات التي تواجهها بينما الجيواستراتيجية فهي ترسم التكتيكات و التخطيطات والوسائل المثلى لتحقيق الأهداف المحددة من طرف الجيوسياسيين ، فهي بذلك تحدد الإستراتيجيات و كيفية تطبيقها على أرض الواقع من لوجستيك و علوم تقنية و تحالفات دولية و إقليمية إي كيفية إستثمار كل الإمكانيات المتاحة لتحقيق الأهداف الجيوسياسية ، هذا التكامل بين العلمين الهامين يؤثر كل واحد من هما في الآخر حتى يتسنى تحقيق النتائج الإيجابية للغايات و الأهداف المسطرة ، و هما ليسوا علمين

¹ - political encyclopedia, الموسوعة السياسية / الإستراتيجية / www.political-encyclopedia.org

جامدين بل مرنين للتأقلم مع كل الأحداث و المتغيرات الدولية و الإقليمية سواء المعلنة الواضحة أو السرية أو المفاجئة.

4 - الجيوسياسة و الجيوإيكونوميك الجيوإقتصاد :

يذكر البعض أن مصطلح الجيوإقتصاد ولد من رحم إنتهاء الحرب الباردة ، و التي أدت إلى إستخدام الأدوات الإقتصادية بدلا من القوة العسكرية في التنافس العالمي، و أصبح الإقتصاد المحرك الأول للعلاقات الدولية و الصراعات على المصادر الإقتصادية و الأسواق التجارية .¹

لقد كان دائما الإقتصاد حاضرا في جميع الصراعات الدولية ثم إن نهاية الحرب العالمية الثانية و تطور الأسلحة النووية قلل من الصراعات العسكرية إلا في حالات محددة، و إنعدمت الصراعات العسكرية بين القوى العظمى، في حين أخذ الإقتصاد مجالا واسعا للتنافس بين الدول ، ثم إن إنتهاء الحرب الباردة و ما شهده العالم من عولمة و تطور تكنولوجي وصناعي أدى إلى صعود التنافس بين الدول خاصة مع صعود الصين كقوة جيواقتصادية كبيرة على المستوى العالمي و هو أحد أهم أسباب إزدياد التنافس بين الدول الغربية و الصين التي أضحت تستخدم الإقتصاد الحر للتوسع الجيوسياسي ، كما أن التطور في النظريات الجيوسياسية خاصة مع جوزيف ناي من خلال القوة الناعمة منح العامل الجيوإقتصادي قدرا كبيرا من الأهمية .

و إستنادا إلى ما سبق فإن الجيوإقتصاد أضحي عامل هام من عوامل التأثير الجيوسياسي.

¹ - البدر الشاطري ، العالم بين الجيوإقتصادية و الجيوسياسية ، البيان ، مؤسسة دبي للإعلام ، 11 فيفري 2022 ، www.albayan.ae

الفصل الأول: تاريخية مفهوم الجيوسياسة التعريف و التأسيس

- وبهذا تستمد الجيوسياسة قوتها بتركيبه معقدة من عديد العلوم الإقتصادية والإجتماعية والسياسية والتاريخية و التكنولوجيا والجغرافية والعسكرية والإستراتيجيا، ولا تقصي أي علم قد تستفيد منه بطريقة مباشرة أو غير مباشرة في رسم النظريات والتوجهات الجديدة للجيوسياسة .

المطلب الثاني : الإطار التاريخي للجيوسياسة

يعتبر فريديريك راتزل مؤسس علم الجغرافيا السياسية كعلم مستقل عن الجغرافيا البشرية وبما أن هذا العلم يهتم بالدرجة الأولى بمصير الدول و الشعوب فقد لقي إهتماما و إنتشارا كبيرا رغم حدائه .

ومن المعروف أن أوروبا قد شهدت خلال عصر الأنوار موجة من النشاط الفكري والإكتشافات تشمل الحياة بمختلف جوانبها ما ساهم في تراكم معرفي خاصة في العلوم الطبيعية و الجغرافية و السياسية و التاريخية و الفلسفية .

و تجدر بنا الإشارة إلى الفيلسوف الألماني فريديريك هيغل 1770 . 1831 الذي كان لفلسفته الأثر العميق في المجتمع الألماني على مدى القرن التاسع عشرة خاصة في مفهوم الدولة بشكل عام .

جاءت نظرية هيغل في الدولة داخل نظام فلسفي متناسق يكشف فيه عن حركة التاريخ الكوني التي تفضي إلى إقامة الدولة المثلى ، دولة الحرية ، التي هي دولة الملكية الدستورية ذلك أن ما يجري في التاريخ وفق الفلسفة الهيجيلية خاضع لمبدأ الضرورة و هو ما كان له

الفصل الأول: تاريخية مفهوم الجيوسياسة التعريف و التأسيس

دور كبير فيما بعد في شيوع مفهوم التاريخانية ، و قمة التقدم في فلسفة هيغل تتمثل في البناء السياسي الأكمل أي في الدولة .¹

فيرى هيغل أن تاريخ وعي الإنسان بذاته المنبثق من روح المطلق يتمظهر في ثلاث مراحل رئيسية جرت في ثلاث عوالم : 1. العالم الشرقي ، 2. العالم اليوناني الروماني ، 3. العالم الجرمني، ويحدد نوع الدولة لكل مرحلة: الأولى الإستبداد الثانية الديمقراطية والأرستقراطية والثالثة الملكية الدستورية حيث يستجيب العقل الجرمني لأرقى أنواع تجسيد روح المطلق.² هذا لرؤيته بأن العنصر الجرمني في إستعداد حقيقي لبناء دولة الأمة الألمانية .

و بما أن الدولة تتطلب مساحة جغرافية تبسط فيها سلطتها و تعكس قوتها و قوة شعبها كان لزاما على الجغرافيين أن يدرسوا حدود الجغرافيا التي تلزم الدولة الألمانية و الأراضي التي تطمح إليها كدولة قوية ذات طموحات عسكرية ، خاصة الأراضي ما وراء البحار، شأنها شأن الدول الأوروبية الأخرى. فالدولة القوية في القرن التاسع عشر لابد أن تكون دولة إستعمارية لكسب الموارد الطبيعية و الأسواق التجارية مما أعطى إهتمام كبير للجغرافيين في دراسة المناطق الجغرافية على مختلف الأصعدة .

هذا الأمر سيؤهل راتزل لأن يؤدي دورا أساسيا على الصعيد الأكاديمي و على الصعيد السياسي كما سنرى ، ذلك أنه في هذا الإطار بات على يقين من ضرورة الجمع بين

¹ معين حداد ، الجيوبوليتيكا - قضايا الهوية و الإنتماء بين الجغرافيا و السياسة ، شركة المطبوعات للتوزيع و النشر ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الاولى 2006 ، ص 12 .

² - معين حداد ، الجيوبوليتيكا - قضايا الهوية و الإنتماء بين الجغرافيا و السياسة ، شركة المطبوعات للتوزيع و النشر ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الاولى 2006 ، ص 13 .

الفصل الأول: تاريخية مفهوم الجيوسياسة التعريف و التأسيس

الجغرافيا و السياسة ، و وضع منهج علمي لمقاربة العلاقة بين الدولة و أراضيها :
الأراضي القومية و الأراضي المستعمرة .¹

ليأتي بعد ذلك الألماني كارل ماكس 1818 . 1883 عالم إجتماع و فيلسوف مؤسس
الماركسية الذي إتخذ بشأن مفهوم الدولة منحى خاص بها و معاكسا للفكرة الهيجيلية
عنها ، فالدولة الماركسية تعبر عن سيطرة طبقة إجتماعية على سائر الطبقات و وجود
الدولة ذاته هو نتاج إستغلال الإنسان للإنسان . و تحريره لا يتحقق إلا بإنهاء الدولة و
تلاشيها ، بما يفضي إلى بلوغ النظام الشيوعي حيث تنتفي الملكية الفردية لصالح الخير
العام ، فتعاملت الماركسية مع مشروع إقامة الدولة القومية في ألمانيا تعاملًا سلبيًا باعتبار
أن الدولة القومية تحمل في طياتها تحرر العمال من الإستغلال و بالتالي تحرير الإنسان من
إستغلال الإنسان² فلا تتحقق الإشتراكية ، لكن الماركسية أبقت على التاريخانية معتبرة
أن حركة التاريخ التي بدأت مع نظام الرق ثم النظام الإقطاعي ثم النظام الرأسمالي الذي
سيتم تجاوزه بنضال الطبقات العمالية عبر حركة التاريخ إلى الدولة الإشتراكية .

كما ظهرت الداروينية " شارل داروين 1809 . 1883 " في بريطانيا و كان لتلك
النظرية في التطور و الإرتقاء وقع هائل في الأوساط العلمية و الأكاديمية و معها إنتشرت
مفاهيم " الصراع من أجل البقاء " أو " البقاء للأصلح " و دور المحيط الطبيعي في
التطور و الإرتقاء ، و إنتقلت الداروينية من عالم الحيوان إلى عالم الإنسان بتراتب الأعراق
والسلالات ما سمي بالداروينية الإجتماعية . وهكذا إتخذت الداروينية الإجتماعية منحى

¹ - نفس المرجع ص 14 .

² معين حداد ، الجيوبوليتيكا - قضايا الهوية و الإنتماء بين الجغرافيا و السياسة ، شركة المطبوعات للتوزيع و النشر ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الاولى 2006 ، ص 15 .

الفصل الأول: تاريخية مفهوم الجيوسياسة التعريف و التأسيس

سياسي معاكس لمنحى الماركسية من حيث أن الإنسانية تتوزع على دول وأمم ذات أعراق و سلالات متفاوتة و تتصارع على مجالاتها الحيوية في الطبيعة، أي على الأرض فيفوز الأقوى.¹

و يرى ألكسندر دوغين في نهاية القرن العشرين أن الجيوسياسة هذا العلم الجديد هي وجهة نظر السلطة، علم السلطة و من أجل السلطة، و يكشف تاريخها بطوله على أن من عكفو على دراستها كانوا ممن شاركوا في حكم الدول و الأمم، أو ممن يهيؤون أنفسهم للقيام بتلك الأدوار، فهي تمثل في العالم المعاصر " دليل رجل السلطة " فهي كتاب السلطة ينبغي وضعه في الحساب عند إتخاذ القرارات المصيرية، خاصة عند عقد التحالفات أو شن الحروب أو القيام بإصلاحات سياسية أو إقتصادية ، فيعرف دوغين الجيوسياسة بأنها فن الحكم.²

الجغرافيا السياسية – الجيوسياسة – الجيوبوليتيك :

لقد تطرقنا لتعاريف الجغرافيا السياسية منذ نشأتها و قد تباينت التعاريف من منظر لآخر ومن فترة لأخرى إلا أنها تشترك في تركيزها على العامل الجغرافي و السياسي و السلطة والقوة والأمن والتنافس بين الدول والصراعات الإقليمية و العالمية .

كما أن التطور التاريخي لهذا العلم بدأ بتسميته الجغرافيا السياسية من قبل الجغرافي الألماني فريدريك راتزل، ثم إختزال المصطلحين من قبل السويدي رودلف كيلين سنة 1905

¹ نفس المرجع ص 17 .

² ألكسندر دوغين ، أسس الجيوبوليتيكا – مستقبل روسيا الجيوبوليتيكي ، ترجمة عماد حاتم ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 2004 ، ص 8 .

الفصل الأول: تاريخية مفهوم الجيوسياسة التعريف و التأسيس

إلى مصطلح الجيوبوليتيك أي الجيوسياسة ، و رغم أن العديد من المفكرين و الباحثين يفرقون بين الجغرافيا السياسية و الجيوبوليتيك إلا أن كلاهما يستندان لنفس النظريات التأسيسية التي ينسب عليها هذا العلم، و لعل الإختلاف ظهر بعد أن تم إتهام الجيوبوليتيك بأنها سبب إندلاع الحرب العالمية الثانية نظرا لكون نظرياتها كانت تعتبر الدولة كالكائن الحي من خلال المجال الحيوي ، و مقاطعتها في الأوساط الأكاديمية و الساحة السياسية و الإعلامية بعد الحرب العالمية الثانية ، إلا أنه خلال الحرب الباردة و مع رجوع الجيوبوليتيك إلى الساحة الإعلامية أراد الجيوسياسيون أن يمنحوها إسم أول من أسسها قبل إختزال المصطلحين أي الجغرافيا السياسية ، هنا وضع الباحثين في الجيوبوليتيك تفرقة بين الجيوبوليتيك و بين الجغرافيا السياسية لتفادي أي إتهام لهذا العلم الهام بحيث فسروها على أن :

الجغرافيا السياسية بأنها العلم الذي يهتم بدراسة الوحدات أو الأقاليم السياسية كظواهر على سطح الأرض و ما تشتمل عليه هذه الوحدات من شعوب و إقتصاد و تضاريس و إمتداد هذه الأقاليم و طبيعتها على تباين الظواهر السياسية و إرتباطها بالظواهر على سطح الأرض الأخرى و المسطحات المائية و الأنماط السياسية المختلفة عليها و تهتم بدراسة السكان و تباينهم اللغوي و الديني و العرقي و دراسة مقومات الدولة و حتى المقاطعات الإدارية داخلها و دراسة مواردها الطبيعية و الإقتصادية و التجارية و علاقاتها مع المجتمع الدولي .

الفصل الأول: تاريخية مفهوم الجيوسياسة التعريف و التأسيس

أما الجيوبوليتيك فعرفوها على أنها النظرية التي تبحث عن قوة الدولة بالنسبة للأرض وهي نظرية التطورات السياسية من حيث علاقاتها بالأرض ، و هي العلم الذي يبحث عن المنظمات السياسية للمجال الأرضي وتكوينها .

على أنت الفرق بينهما هو أن الجغرافيا السياسية هي دراسة ما هو كائن و موجود ، بينما الجيوبوليتيك تدرس ما يجب أن يكون .

إلا أننا نعتبر أن المصطلحين وجهين لعملة واحدة ، لكون الدراسة الإستيمولوجية توضح جليا أنهما يستندان لنفس النظريات التأسيسية لكلاهما ، و نفس مناهج التحليل و نفس مجالات الدراسة ، و ما التفرقة إلا لرفع حالة المقاطعة التي شهدها علم الجيوسياسة غداة نهاية الحرب العالمية الثانية بتحميلها مسؤولية التنظير للحروب التوسعية ، و هذه المقاطعة كانت لعدة أسباب منها عدم رغبة دول الحلفاء المنتصرين في الحرب من إعادة ألمانيا مجدها بنظريات جيوسياسية جديدة خاصة وأن عديد علماء الجيوسياسة و مبتكروها هم ألمان ، و من جهة أخرى فقد كان ستالين الرئيس السوفياتي مقاطعا للجيوسياسة حتى لا يكتشف الغرب خططه الجيوسياسية المستقبلية، كما أن الولايات المتحدة هي الأخرى قاطعة الجيوسياسة حتى لا يكتشف الأوروبيون خاصة إستراتيجياتها الجيوسياسية كقوة عالمية ذات نفوذ على أوروبا خاصة، كما أن الدول الأوروبية قاطعت الجيوسياسة حتى تتفرغ لإعادة إعمارها و عدم إكتشاف ضعفها.

ولهذا فما إن زالت آثار الحرب العالمية الثانية حتى أعاد إيف لاكوست مصطلح الجيوبوليتيك لتفسيره الصراعات والظواهر الجيوسياسية العالمية .

الفصل الأول: تاريخية مفهوم الجيوسياسة التعريف و التأسيس

لهذا فلقد إرتأينا أنه من المفيد من الناحية المنهجية أن نوحّد المصطلح فنستعمل مصطلح الجيوسياسة لتفادي أي غموض أو إبهام أو خلط في المفاهيم .

الفصل الثاني:

نشأة الجيوسياسة قبل الحرب العالمية الثانية

المبحث الأول : تطور الجيوسياسة قبل الحرب العالمية الثانية

المطلب الأول : المدرسة الألمانية

المطلب الثاني : المدرسة الأنجلوساكسونية

المطلب الثالث : المدرسة الفرنسية

المطلب الرابع : المدرسة الروسية

المبحث الثاني : إبستمولوجيا الجيوسياسة قبل الحرب العالمية الأولى

المطلب الأول : تجليات الجيوسياسة قبل الحرب العالمية الثانية

المطلب الثاني : إبستمولوجيا الجيوسياسة قبل الحرب العالمية الثانية

الفصل الثاني : نشأة الجيوسياسة قبل الحرب العالمية الثانية

إن تطبيقات الجغرافيا السياسية و التفكير الجيوسياسي قد سبق المفهوم لكن لم يؤسس له كعلم مستقل بذاته إلا بعد ظهور النظريات التي تُعتبر أعمدة قيام هذا العلم و أبرزها هي المدرسة الألمانية و المدرسة البريطانية و المدرسة الأمريكية و المدرسة الفرنسية و اختلفت بينها في المنظور و مناهج التحليل و القراءة لهذا العلم ، و قد أعطى هذا الإختلاف مكانة أكثر أهمية للجيوسياسة عن الممارسات السابقة غير المنظّر لها .

كما أنها تأثرت بالتجديد الفكري الذي عاشه الغرب على المستوى الإقتصادي و الإجتماعي و السياسي و العسكري و الصناعي و التكنولوجي مما أضاف مناهج تحليلية جديدة و أطر تقوم عليها، تعتبر أكثر دقة خاصة لكون الجيوسياسة تتعلق مباشرة بمستقبل البشرية و مصيرها.

المبحث الأول : تطور الجيوسياسة قبل الحرب العالمية الثانية

تعتبر الجغرافيا السياسية أو الجيوسياسة في بداية نشأتها إحدى العلوم الحديثة التي كان لها دور هام في وسط القادة السياسيين و العسكريين و في بناء برامجهم و تحديد مناهج و خطط عملهم ، و تعتبر من الأنساق العليا في صنع القرارات السياسية بشكل خاص و القرارات و التوجهات العالمية بشكل عام . بما يتلاءم مع الظروف سواء الطبيعية أو الإستثنائية للأحداث الدولية و الإقليمية و الإمكانيات المتاحة لإستخدامها سواء المادية أو المعنوية أو البشرية في إطارها المحلي و الإقليمي و العالمي .

المطلب الأول : المدرسة الالمانية

كوتفريد فون ليبنتز 1716 – 1646 Gottfried Von Leibniz

لاحظ أندري روبينييه في بداية سنة 2000 في كتاب " قضاء و ذعر ليبنتز و مبادئ المنطق " صدر في 2001 ، شرح فيه أن كلمة جيوسياسة تعود في الأساس إلى كتابات ليبنتز الذي يعتبر أول من إستخدمها و ذلك في جوان 1679 في إطار التصنيف الجديد للعلوم حيث تطور تصوره لموسوعة علمية مستقبلية، و هي العلم السادس عشر في قائمته ، مصنفة بين علم اللاهوت و بين علوم المنطق.¹

لقد استعمل ليبنتز المفهوم لأول مرة تحت اسم كوسموبوليتيك أي النظام السياسي ليشطبه فيما بعد و يغيره تحت اسم الجيوبوليتيك أي الجيوسياسة و يعرف موضوعها بأنها دراسة الأرض في علاقتها بالطابع البشري ، و يدمج داخلها دراسة التاريخ العالمي و الجغرافيا البشرية.²

فريدريك راتزل 1904 – 1844 Frédéric Ratzel

يعتبر الألماني فريدريك راتزل مؤسس الجغرافيا السياسية، الذي نشر خلاصة أفكاره عام 1897 في كتابه المسمى الجغرافيا السياسية Politische Geographie³ حيث درس راتزل في هايدلبرج سنة 1868م علم الحيوان والجيولوجيا والتشريح، وقام برحلات كثيرة في كل أوروبا سنة 1869 و إلى كوبا و المكسيك و الولايات المتحدة الأمريكية

¹ Olivier Zajec , INTRODUCTION A L'ANALYSE GEOPOLITIQUE , histoire , outils , methodes , Edition du rocher , Monaco , France , 2018 , 4eme édition augmentée et mis a jour , p28 .

² Ibid p 28 .

³ - محمد رياض ، الأصول العامة في الجغرافيا السياسية و الجيوبوليتيك ، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة ، القاهرة ، مصر 2014 ، د ط ، ص 15 .

الفصل الثاني : نشأة الجيوسياسة قبل الحرب العالمية الثانية

وكان أستاذ للجغرافيا في جامعة ميونخ سنة 1876 ثم في جامعة ليزيغ سنة 1886 و اكتسب شهرة كبيرة بكتابه جغرافية الإنسان سنة 1882¹ و تأثر كثيرا بداروين و نظريته .

إهتم في بداية حياته بالصحافة و قام بعدة رحلات خاصة أمريكا بين 1873 – 1875 ، أهتمه العديد من الإيحاءات حول أهمية الأرض و الجغرافيا كعامل قوة ، حيث وظّفها خلال محاضراته في الجامعة سنة 1876.²

لقد كان راتزل قوميا متحمسا و ملتزما في الحرب الفرنسية - الألمانية في عامي 1870 . 1871 و عضوا مؤسسا في الرابطة القومية الجرمانية و راغبا في التوفيق بين العلم والسياسة بشكل علمي³ أكاديمي .

وفي هذه الحقبة سنوات السبعينات من القرن التاسع عشر تأمل و إستشرف للقوة الناشئة الأمريكية المحمية بالمحيطين الهادي و الأطلسي ، و إعتبرها واعدة بالنجاح بمنطق المجال الجغرافي الضخم الذي تمتلكه و الذي يمنحها دفع قوي لتطلعاتها الرائدة .⁴

وفي أعمال راتزل الأنثروبوجغرافية و الجغرافيا البشرية يستخرج نتائج قوية ملائمة تدفع للتوسع الجغرافي لبلده ألمانيا ، لعدة عوامل يراها متطابقة مع نظريته: منها كون الشعب الألماني عريق و يكتسب طاقة شبانية كبيرة ، و كون ألمانيا مندفعة بقوتها العسكرية التي

¹ - الموسوعة العربية العالمية أونسيكلوبيديا global arabic encyclopedia 2004

² Olivier Zajec , INTRODUCTION A L'ANALYSE GEOPOLITIQUE , histoire , outils , methodes , Edition du rocher , Monaco , France , 2018 , p 30 .

³ ألكسندر دوقاي ، الجغرافيا السياسية . الجيوبوليتيك ، ترجمة حسين حيدر ، عويدات للنشر و الطباعة ، بيروت لبنان ، الطبعة الاولى 2007 ص 20 .

⁴ Olivier Zajec , INTRODUCTION A L'ANALYSE GEOPOLITIQUE , histoire , outils , methodes , p 30 .

الفصل الثاني : نشأة الجيوسياسة قبل الحرب العالمية الثانية

أصبحت في تحسن ملحوظ بزيادة التقنيين و وسائل الإتصال جعل منها قوة كبيرة بارزة، خاصة وأن فرنسا وبريطانيا اللذان يمتلكان تاريخ عريق و إستقرار و مقبلين على تكوين إمبراطوريات إستعمارية لاحقة، وكون ألمانيا حديثة العهد بإتحادها سنة 1870 بانتصارها في حربها ضد فرنسا، فإنها تريد بذلك التقدم على جميع الأصعدة الصناعية إضافة إلى قوتها البشرية، بذلك يرى فيهم راتزل عوامل تفرض على ألمانيا توسيع إقليمها.¹

فلقد كان المشهد العالمي يفرض على ألمانيا أن تواكب دول الجوار لها من حيث القوة والتطور، هذا ما جعل من أفكار راتزل تأخذ مجال واسع للدراسة و النقاش على أعلى مستويات الدولة خاصة وأن تحديات الجوار التنافسية كانت في تطور و توسع مستمر في كل من إفريقيا و آسيا ما جعل من فرنسا وبريطانيا تمتلك المواد الأولية التي تمنحهما الريادة كقوى عالمية، ما إستوجب على ألمانيا أن تبحث هي الأخرى على مناطق توسعية و على مواد أولية لإنعاش إقتصادها و لإبراز كيانها كقوة لا تقل أهمية عن جيرانها حماية لنفسها وإستشرافا لمستقبلها و هي ما كانت نظرة راتزل لألمانيا .

و ترسخت العلاقة العضوية بين الأرض و الدولة عند راتزل بقوة في كتابه "الأرض و المجتمع و الدولة" في سنة 1900 يقول فيه " لا بد أن يعيش الشعب على الأرض التي أوجده عليها مصيره ، و لا بد أن يموت عليها ، و أن يخضع لقانونها وعلى هذه الأرض تتغذى أنانيته السياسية التي تجعل الأرض الهدف الرئيسي للحياة العامة ،

¹ Olivier Zajec, INTRODUCTION A L'ANALYSE GEOPOLITIQUE, histoire, outils, methodes, p30

الفصل الثاني : نشأة الجيوسياسة قبل الحرب العالمية الثانية

وتكمن في الواقع في الإحتفاظ الدائم بالأرض الوطنية و البقاء عليها و التمتع بها رغم أن الروابط و العواطف الإثنية تستميل القلوب نحو أشخاص و أشياء تقع خارج الحدود " ¹.

ويرى راتزل أن " المجتمعات البشرية التي تتطور داخل مجالها و تعمل في إقليمها فإنها تحتاج إلى مجال أكبر فتبحث عن حدود أوسع " وهذا لتأثر راتزل كثيرا بنظرية داروين فيقول " الدولة هي العضو الحي الذي يجمع الشعب فوق أرض معينة ، و طابع الدولة يتكون بنشاط هذا الشعب و بهذا الإقليم " ².

كما يرى راتزل أن الدولة هي توحيد بين مجتمع و إقليم، لكن ليس فقط بمجرد أن يشغل الشعب إقليم معين ينشئ دولة، بل لوجود رابطة تقوي علاقتهما ببعض إلى درجة تكوين عضو واحد و بذلك يستحيل التفكير في أحدهما دون الآخر. ³

ومن خلال أفكاره هذه أبرَزَ مقومات الدولة و أسباب وجودها و بقائها ، و أنّ الدول إن لم تتوسع بشكل منسجم مع قوتها و قدراتها فإنها ستتقلص و بذلك تتوسع دول أخرى على حسابها .

في كتابه الجغرافيا السياسية سنة 1897 يكشف راتزل على إستراتيجية عامة لإقليم ألمانيا مبررا ذلك بعدم التجانس بين الشعب الألماني النشط و الفعال و الفاتح و المندفع وبين إقليم جد محدود ، هي إستراتيجية التوسعة التي عليها أن لا تتجاهل قوتها و حدود

¹ ألكسندر دوفاي ، الجغرافيا السياسية . الجيوبوليتيك ، ترجمة حسين حيدر ، عويدات للنشر و الطباعة ، بيروت لبنان، الطبعة الاولى 2007 ص 22

² Olivier Zajec , INTRODUCTION A L'ANALYSE GEOPOLITIQUE , histoire , outils , methodes, p 31

³ Ibid p 31

الفصل الثاني : نشأة الجيوسياسة قبل الحرب العالمية الثانية

التوسعة و التي على ألمانيا بالدرجة الأولى تطوير قوتها البحرية و أن تكون عصرية ، وهو بهذا يعمل كمحامي للجيواستراتيجيا البحرية الألمانية من خلال كتابه " البحر كمصدر للشعوب الكبيرة " في 1901 ، و كتب العديد من المقالات حول السياسة العالمية للإنجليز .

كما وجّه راتزل بلاده إلى آسيا لإبراز مكانتها كقوة علمية لتكون لها قوة تجارية في المستقبل .

كما أنّ ألمانيا ببسمارك بدأت بحروب إستعمارية متّبعة بذلك ورقة طريق راتزلية واضحة في إفريقيا كغانا و التوغو و الكامبيرون و أفريقيا الشرقية كرواندا و بورندي و تنزانيا و جنوب المحيط الهادئ .

توفي فريديريك راتزل في 1904 مقتحما الساحة الثقافية الأوروبية بقوة حيث علّق عليه كثيرا عالم الاجتماع الفرنسي إميل دوركايم 1858 - 1917 و آخرون كالأمريكية الين سومبل التي تابعت محاضراته في جامعة ليبزيغ و نقلتها إلى أمريكا في كتاب تأثير البيئة الجغرافية سنة 1911 مركزة على الجغرافيا السياسية .¹

ونظرية راتزل التي كونها من خلال أبحاثه هي :

نظرية المجال الحيوي :

¹ Olivier Zajec , INTRODUCTION A L'ANALYSE GEOPOLITIQUE , histoire , outils , methodes , p 33 .

الفصل الثاني : نشأة الجيوسياسية قبل الحرب العالمية الثانية

نظرية المجال الحيوي هي النظرية التي ترى الدولة على أنها مثل الكائن الحي لديه حاجاته ومتطلباته للعيش، لذلك عليها إن كانت قدراتها أكبر من مساحتها الجغرافية أن تتوسع لتؤمن احتياجات سكانها.

وبذلك فقد وظّف فريدريك راتزل مصطلح المجال الحيوي في كتابه الجغرافيا السياسية في 1897 حيث نقل المصطلح من علم الأحياء و الذي يدخل ضمن نظرية داروين عن القوانين البيولوجية للانتخاب الطبيعي و البقاء للأصلح إلى علم جديد هو الجغرافيا السياسية كما تأثر راتزل بهيغل و فلسفته و رؤيته للتاريخ السياسي .

و قد نشر راتزل مقال بعنوان " القوانين السبعة للنمو الأرضي " و هي :

1 - أن رقعة الدول تنمو بنمو الحضارة الخاصة بالدولة، فكلما إنتشر السكان وحملوا معهم طابع خاص للحضارة فإن الأرض الجديدة التي يحتلها هؤلاء تزيد مساحة الدولة.¹ (كغزو البلدان الأوروبية القارة الأمريكية بعد القضاء على الهنود الحمر و تعمير الأرض ونقل الحضارة إليها).

2 - أن نمو الدولة عملية لاحقة لمختلف المظاهر الخاصة بنمو السكان ذلك النمو الذي يجب أن يتم قبل أن تبدأ الدولة بالتوسع . و هو بهذا يسلّم بصحة نظرية أنّ العلم - الراية- يتبع التوسع التجاري .²

¹ - محمد رياض، الاصول العامة في الجغرافيا السياسية و الجيوبوليتيك ، مؤسسة هنداي للتعليم و الثقافة ، القاهرة ، مصر ، 2014 ، د ط ، ص 45 ،

² - محمد رياض، الاصول العامة في الجغرافيا السياسية و الجيوبوليتيك ، مؤسسة هنداي للتعليم و الثقافة ، القاهرة ، مصر ، 2014 ، د ط ، ص 46 .

الفصل الثاني : نشأة الجيوسياسة قبل الحرب العالمية الثانية

3 - يستمر نمو الدولة حتى يصل إلى مرحلة الضم وذلك بإضافة وحدات صغرى إليها¹.

(وإنّ هذا الضم هو الإحتلال للأراضي بعد أن يتم نقل الحضارة و الثقافة إليهم فتصبح أرض من أراضيها و لا تكون مقاومة معادية، و يتم إعمار هذه الأرض) .

4 - أن حدود أي دولة هي العضو الحي المغلف لها و الذي يحميها (و أي تجاوز لهذه الحدود هو تعدي على الدولة الوطنية و المركزية) - الحدود لا توضح سلامة الدول فحسب بل إنّها توضح مراحل نموها .

5 - تسعى الدولة في نموها إلى إمتصاص الأقاليم ذات القيمة السياسية ، بمعنى أن تكون هذه الأقاليم إما سهولا أو مناطق ساحلية أو مناطق تعدينية أو ذات قيمة في إنتاج الغذاء . (خاصة الأراضي ذات الموارد الطبيعية و الأراضي الزراعية الخصبة والأراضي ذات الموقع الإستراتيجي و الأراضي المطلة على البحار و الغنية بالمواد الأولية والطاقوية و غيرها من المواد ذات قيمة نفعية ...)

6 - أنّ الدافع الأول للتوسع يأتي للدولة البدائية من الخارج معنى هذا أن الدولة الكبرى ذات الحضارة تحمل أفكارها إلى الجماعات البدائية التي تدفعها زيادة عدد السكان إلى الشعور بالحاجة إلى التوسع (فالتوسع يأتي لما تملك الدولة حضارة قوية بشعب قويّ متحضّر يحمل فكرة نقل الحضارة إلى الأراضي المستعمرة) .

7 - أنّ الميل العام للتوسع و الضم ينتقل من دولة إلى أخرى ثم يتزايد و يشتد ، فتاريخ التوسع يدل على أن الشهية تزداد نتيجة لتناول الطعام (أي إن إحتلال الأراضي يؤدي

¹ نفس المرجع ص 46 .

الفصل الثاني : نشأة الجيوسياسة قبل الحرب العالمية الثانية

بعد زمن معين إلى ضمها مما يؤدي لتوحيد الدولة، فتسعى إلى ضم مناطق أخرى وهكذا).

. إنّ تأثر راتزل بالنظريات الحيوية إضافة لكونه باحث في تاريخ الدول، و تحليله لتأثير الإنسان في الجغرافيا و تأثيره بها نظرا لإرتباطهما ببعض، جعله يُسقط هذه النظريات على وحدة أساسية في تحليل الجغرافيا السياسية و هي الدولة ممّا جعله يصفها بأنّ الدولة كائن عضوي . (الدولة كائن عضوي هي كينونة بيولوجية جذورها في الأرض، و كينونة معنوية و حُلُقِيّة مُستمدّة من إرتباط الإنسان بالأرض يعمل فيها ويتغذى من مصادرها و يحتاج إلى حمايتها و حماية حياته ¹).

و إعتبر راتزل حدود الدولة بمثابة جلد الكائن الحي الذي ينمو و يكبر بنمو هذا الكائن وهو ما تكون عليه الدولة في حالة توسع، و في حالة ضعف الدولة تتقلص كالكائن الحي الذي يضعف بمرض أو بعامل طبيعي آخر . ولقد رأى راتزل أن ألمانيا تستوفي الشروط والإمكانات التي تجعلها دولة عظيمة من خلال التميّز البشري لشعبها و هو العنصر الآري وأنها تملك الإمكانات و القوة التي تجعلها في مصاف الدول الأوروبية الإستعمارية الأخرى .

إنّ رؤية راتزل لهذه النظرية لم يأتي من العدم بل لكونه كان يرى التطور في العديد من المجالات داخل ألمانيا خاصة الصناعة و بذلك حاجتها للموارد الطبيعية و الأراضي على

¹ - محمد رياض، الاصول العامة في الجغرافيا السياسية و الجيوبوليتيك ، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة ، القاهرة ، مصر ، 2014 ، د ط ، ص 47 .

الفصل الثاني : نشأة الجيوسياسة قبل الحرب العالمية الثانية

قدر حجم قوتها و هو ما أعطى مبررا وحجة لألمانيا النازية أن تجتاح أوروبا وإعادة إحياء للرايخ الألماني .

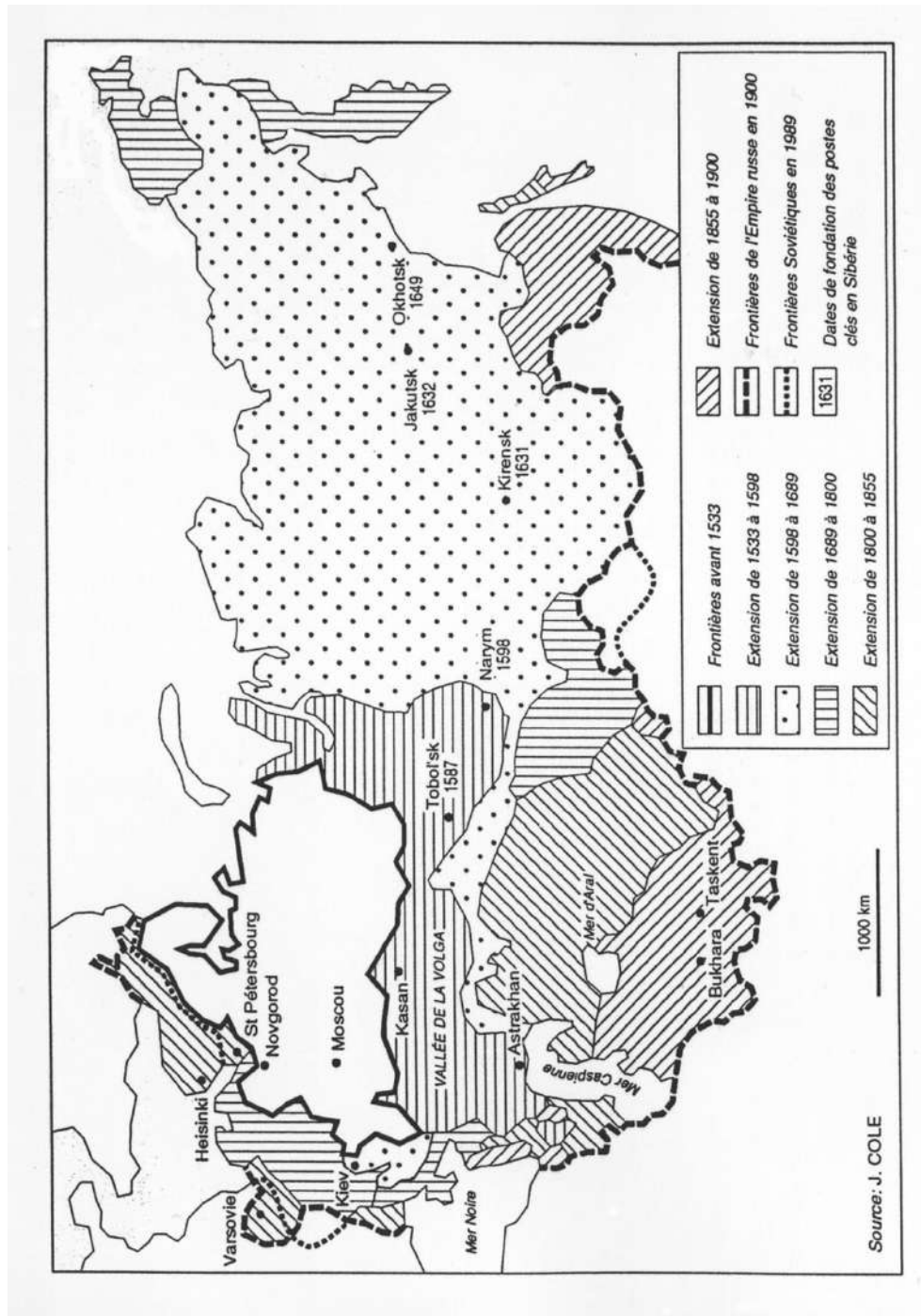
ويقول الجغرافي الفرنسي ديمانجيون A.Demangeon مقدرًا جهود راتزل العلمية : لقد كان راتزل أول من أدرك تعقيد حياة الدول و وظائفها و أعطى لدراساتها الطابع العلمي، و إلى جانب ذلك يتفق كل الدارسين على أن فريدريك راتزل حمل عبء القيام بأول دراسة أصولية في الجغرافيا السياسية.¹

لكن إنتقد راتزل في نظريته من طرف العديد من الجيوسياسيين خاصة رواد المدرسة الفرنسية كبول فيدال دولابلاش والذي سنتطرق إليه لاحقا كما إنتقده العديد من الأكاديميين على أن هذا الطرح الإستعماري لا يجب أن يُدرّس في الأوساط الأكاديمية.

خريطة توضح التوسع الجغرافي الروسي من 1533 – 1945

¹ - محمد رياض، الاصول العامة في الجغرافيا السياسية و الجيوبوليتيك ، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة ، القاهرة ، مصر ، 2014 ، د ط ، ص 49

الفصل الثاني : نشأة الجيوسياسة قبل الحرب العالمية الثانية



1

1922 . 1864 R.Kjellin رودلف كيلين

¹ - Gérard Dussouy, Les théories géopolitiques, Traité de relations internationales. Tome 1 Paris : Éditions L'Harmattan, 2006, 368 pg. Collection "Pouvoirs comparés", dirigée par Michel Bergès. Édition numérique réalisée le 21 août 2011, revue le 3 novembre 2011 à Chicoutimi, Ville de Saguenay, Québec .Page 136

الفصل الثاني : نشأة الجيوسياسة قبل الحرب العالمية الثانية

ولد السويدي رودلف كيلين في 1864 و هو جامعي سويدي و يعتبر أول من إستخدم مصطلح الجيوبوليتيك أي الجيوسياسة فهو يقسم حمل إنشاء هذا العلم مع الألماني راتزل الذي أسماه الجغرافيا السياسية بدون إختزال للمصطلحين .

وبالرغم من جنسية كيلين السويدية إلا أنه دائما ما يصنّف ضمن المدرسة الألمانية ، كما صنّفه لار ويدان Lars Wedin، كما أن دراسة السياسات الدولية التي شرع فيها كيلين تحققت قبل الوقت : " هدفه الأسمى هو توسّعت العلوم السياسية إلى جانب العلوم القانونية"¹.

وهو أول من إستخدم مصطلح الجيوبوليتيك فكتب سنة 1905 كتاب " القوى الكبرى".

و قد ألف كتابين هامين أولهما نُشر في ليبزيغ 1917 بعنوان « الدولة كمظهر من مظاهر الحياة » و الثاني نُشر عام 1920 بإسم " الأسس اللازمة لقيام نظام سياسي " و نجده يستعمل في هذين الكتابين خلفية كبيرة من الفلسفة العضوية و فلسفة هيغل و آراء راتزل و ماكندر.²

و يرى من خلال الجيوسياسة أنه علينا أن نلاحظ العالم من خلال أننا ساكنين في هذه المجتمعات البشرية ، فهو يتفرد بإدخال هذا المصطلح المركب من إختصار لعلمي الجغرافيا و السياسة بـ جيو- سياسة فقد أعاد إحياء المصطلح الذي بادر به ليبنتز .

¹ Olivier Zajec , INTRODUCTION A L'ANALYSE GEOPOLITIQUE , histoire , outils , methodes, p29

² . ألكسندر دوقاي ، الجغرافيا السياسية . الجيوبوليتيك ، ترجمة حسين حيدر ، عويدات للنشر و الطباعة ، بيروت لبنان ، الطبعة الاولى 2007 ص 66

الفصل الثاني : نشأة الجيوسياسة قبل الحرب العالمية الثانية

إن غاية كيلين هي تحليل المعطيات و الأهداف الممكن تحقيقها و فشل الدول في تكوين قوى و تحالفات عالمية ، و فيما يسميه كيلين " قانون الوحدة الجغرافية " يؤكد على الحدود الطبيعية في دفاع الدول عن كيانها .

كما أشاد كيلين بأنّ القوى البرية عليها أن تكون بنفس القوة البحرية حيث يتطلع لأن تكتسب بلاده السويد قوة بحرية عالمية تواجه نظيرتها الإنجليزية ، و التي كتب عنها لار ويدين كتاب " ميلاد الجيوسياسة و الفكر البحري السويدي ؛ كيلين " ¹

و قد طور كيلين أبحاثه إلى ما عُرف فيما بعد بنظرية الدولة و قد قسّم الدراسات المرتبطة بالدولة إلى الموضوعات التالية :

السياسة الأرضية الجيوبوليتيك **geopolitique** التي تدرس الدولة كجسم و ظاهرة في المجتمع ، الإقتصاد السياسي **ecopolitique** يدرس الإقتصاد و الديمغرافيا السياسية في العلاقة بين الشعب والتنظيمات السياسية ، علم الإجتماع السياسي **sociopolitique** يدرس العلاقة بين الدولة والمجتمع، و السياسة الإدارية **kratopolitique** تدرس سلطة الدولة . ² و هناك من يضيف السياسة الشعبية والإثنية : اثنوبوليتيكا **ethnopolitique** .

وقد نقل كيلين عن راتزل أفكار الدولة ككائن عضوي، و طورها: " لتكون الأرض التي يعيش عليها هي الجسد، وتكون العاصمة القلب والرئتين، وتكون الطرق والأنهار هي الأوردة والشرايين، و مناطق التعدين والإنتاج الزراعي هي بمثابة الأطراف، وأنّ

¹ Olivier Zajec , INTRODUCTION A L'ANALYSE GEOPOLITIQUE , histoire , outils , methodes, p30

² Abdelaziz Djerad, la géopolitique repères et enjeux , edition chihab , Alger, 2016 , p 46.

الفصل الثاني : نشأة الجيوسياسة قبل الحرب العالمية الثانية

أهم ما تُعنى به الدولة هو القوة، وأن حياة الدولة تعتمد على التربية والثقافة والإقتصاد والحكم وقوة السلطان"، وفي رأيه أن الجغرافيا يجب أن تُسخر لخدمة الدولة، وبذلك تتحول الجغرافيا في مجملها إلى جيوبوليتيكا، وخلاصة القول أن أفكار كيلين كلها ليست جديدة، بل عالجها آخرون من قبله، وإن كان هو أول من نادى بقوة لجعل الدّراسة موجهة توجيهاً خاصاً لخدمة الدولة، وهو ما سنجد له تطبيقاً عملياً على يد مؤسس الجيوبوليتيكا الألمانية كارل هاوش هوفر¹ الذي سنتطرق إليه لاحقاً .

توفي رودلف كيلين في 1922 لكن مقارنته لتركيبه الدول في العالم كنتيجة لظروف و تراكمات تاريخية خاصة وجدت صدى كبير في أوروبا لاسيما ألمانيا التي كانت تعمل على دراسات في الجغرافيا السياسية موازية لها .

كارل هاوش هوفر Karl Hausofer 1869 - 1946

ولد في ميونيخ بدأ حياته المهنية ضابطاً في جيش بافاريا في ظل الرايخ الثاني و تولى التدريس في الأكاديمية العسكرية ثم أرسل إلى اليابان في بعثة عسكرية بين عامي 1908 و 1910، و في عام 1911 نال الدكتوراه في الجغرافيا، و شارك في الحرب العالمية الأولى و رُقي إلى رتبة جنرال و تقاعد بعد الحرب ثم راح يفتح دورية جغرافية حملت عنوان **دفاتر من أجل الجيوبوليتيكا** شارك فيها مجموعة من الجغرافيين و الإستراتيجيين الألمان.²

¹ . محمد رياض، الاصول العامة في الجغرافيا السياسية و الجيوبوليتيك ، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة ، القاهرة ، مصر ، 2014 ، د ط ، ص 67

² . معين حداد ، الجيوبوليتيكا - قضايا الهوية و الإنتماء بين الجغرافيا و السياسة ، شركة المطبوعات للتوزيع و النشر، بيروت ، لبنان ، الطبعة الاولى 2006 ص 27 .

الفصل الثاني : نشأة الجيوسياسة قبل الحرب العالمية الثانية

لقد درس اليابان و ظهورها البارز كقوة إقليمية في آسيا و المحيط الهادي مما ألهمه العديد من المقاربات و إستشرف لتحالفات قد تضيف الفائدة الكبرى لألمانيا بإعتبارها قوة أوروبية بارزة و تسعى لأن تكون قوة عالمية .

و في عام 1924 أسس معهد ميونخ للجيوبوليتيك و قد تأثر كثيرا بآراء من سبقوه و من عاصرهم في كتابات الجغرافيا السياسية خاصة راتزل و كيلين و ماكيندر و ماهان ، و أخطر ما كان في فلسفة هاوش هوفر السياسية هو الدعوة إلى التوسع الألماني والصراع و الحرب الشاملة.¹

و بصفته رجل عسكري بإمتياز و إهتمامه الكبير بجميع المنظرين الجيوسياسيين فقد جمع بين التنظير و التطبيق و أضاف الكثير لميدان الجيوسياسة في وقت جد هام و حساس الذي كانت تعيشه أوروبا خاصة مكانة و قوة بلاده ألمانيا التي كان يراها القوة الكبرى في العالم، و بذلك فكان يرى أن الجيوسياسة هي قدر ألمانيا و أنه لا يمكن دراسة الجيوسياسة بدون التطرق إلى ألمانيا .

لقد إهتم هاوش هوفر كثيرا بالجغرافيا و السياسة و الإستراتيجيا و هو من أدخل في ألمانيا مصطلح إختصار كلمتي الجغرافيا السياسية إلى الجيوبوليتيك أي الجيوسياسة و التي إتسمت بالدعوة إلى التطبيق أكثر من التنظير و كان يسعى إلى إعادة بعث الرايخ الألماني الثالث، و آمن بالإمبراطورية الألمانية و تأثر بالنظريات السابقة خاصة المجال الحيوي و قلب الأرض .

¹ . محمد رياض، الاصول العامة في الجغرافيا السياسية و الجيوبوليتيك ، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة ، القاهرة ، مصر ، 2014 ، د ط ، ص 68 .

الفصل الثاني : نشأة الجيوسياسة قبل الحرب العالمية الثانية

ولقد أدخل هاوش هوفر مصطلحات جديدة على الجيوبوليتيك و التي تصادف ولادة ألمانيا النازية الهتلرية و منها **المجال الحيوي Lebensraum** التي تدعو أن يكون لألمانيا مجال تمتد فيه جذورها الإقتصادية و السياسية ، ومصطلح الكفاية الذاتية الإقتصادية ، و لقد رأى في جزيرة ماكندر العالمية (سنتطرق إليها بالتفصيل عند التطرق لهارفورد ماكندر) الإطار العام المكاني للسيطرة الألمانية و تكوين نظام عالمي جديد .¹ ولقد رأى هاوش هوفر في المجال الحيوي أن تستمد من خلاله ألمانيا الإكتفاء الذاتي الإقتصادي و هي النظرية التي إعتبرت خاصة بألمانيا التي شهدت سنة 1923 الأزمة الإقتصادية الكبرى في تاريخها .

لقد إستقبله أدولف هتلر وتقاسم معه الأفكار التي تدعو إلى تجديد القوة الألمانية و إعادة بعثها من جديد و بذلك عرض هاوش هوفر على هتلر نظرياته للعب دور جد فعال و على المستوى الأول ، و لشرح الإيديولوجيا التي كانت محل اللامبالاة و إنزعاج من قبل المخططين الإستراتيجيين .²

لقد برهن هاوش هوفر إرتباط كل من الألزاس و اللورين بألمانيا، لكنه أدان بشدة إجتياح ألمانيا للإتحاد السوفياتي في 1941 ، إن وطنيته و إنتماؤه لألمانيا جعلها موضوع أبحاثه لإعادة بعث ألمانيا كقوة عالمية ، و لقد كان محافظ ألمانيا أكثر منه نازيا رغم صداقته

¹ - محمد رياض، الاصول العامة في الجغرافيا السياسية و الجيوبوليتيك ، مؤسسة هندايي للتعليم و الثقافة ، القاهرة ، مصر ، 2014 ، د ط ، ص 69 .

² Olivier Zajec , INTRODUCTION A L'ANALYSE GEOPOLITIQUE , histoire , outils , methodes, p 34

الفصل الثاني : نشأة الجيوسياسة قبل الحرب العالمية الثانية

القوية لروودولف هيس¹ ، و تزوج هاوش هوفر بيهودية التي ساندته حتى آخر حياته، و لقد كان لهاوش هوفر قدر متناقض حيث أنّ ابنه ألبرخت² الذي هو كذلك كان أستاذ في الجيوسياسة في جامعة برلين قد تم إعدامه في أبريل 1945 من قبل الجيستابو³ لكونه تأمر ضد هتلر في 1944 ، و لقد فضل هاوش هوفر الإنتحار مع زوجته في 1946 بعد أن تم إتهامه بطريقة مبالغ فيها.⁴

و لقد كان لمدرسة ميونخ هدفان الأول السيطرة على روسيا لتأمين الحكم الألماني على كل أوروبا و آسيا، و الثاني تدمير الإمبراطورية البريطانية و قوتها البحرية لتأمين السيطرة الألمانية الكاملة على الجزيرة العالمية أوروبا آسيا و إفريقيا.⁵

فسعى هاوش هوفر في و وضع إستراتيجيات لتحقيق الأهداف المسطرة و التي لم تكن الحرب إلا وسيلة من الوسائل المتاحة، فرأى في إتفاق بين ألمانيا و روسيا يكون وحدة تحمي قلب الأرض إضافة إلى تحالفات أخرى كالصين و اليابان. فدعا إلى وضع تحالف بين ألمانيا و الإتحاد السوفياتي رغم أنّ الإتفاق صعب بين النازية و الشيوعية إلا أنه تم الإتفاق في أوت 1939 عرفت رسمياً باسم معاهدة عدم الاعتداء بين ألمانيا و الإتحاد

¹ رودولف هيس 1894 . 1987 رجل سياسي ألماني من القادة الأساسيين لأدولف هتلر و يعتبر الرجل الثالث في ألمانيا بعد هتلر و قورين هيرمان .

² Ses écrits géopolitiques posthumes en été publiés en 1951 : Albecht Haushofer , Allgemeine politische geographie and geopolitik , Erster band, Heidelberg, Kurt vowingel, 1951

³ الجيستابو Gestapo هي الشرطة السياسية للدولة النازية أسسها قورين هيرمان الرجل الثاني في ألمانيا بعد هتلر سنة 1933 لقد كانت في مكانة تسمو على الدستور و كل القوانين الأخرى و وظيفتها تصفية كل المعارضين للنظام الشيوعي ، و بعد الحرب العالمية الثانية أعتبر الجيستابو منظمة إجرامية .

⁴ Olivier Zajec , INTRODUCTION A L'ANALYSE GEOPOLITIQUE , histoire , outils , methodes, p35 .

⁵ . محمد رياض، الاصول العامة في الجغرافيا السياسية و الجيوبوليتيك ، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة ، القاهرة ، مصر ، 2014 ، د ط ، ص 69 .

الفصل الثاني : نشأة الجيوسياسة قبل الحرب العالمية الثانية

السوفيياتي التي نصّت على حياد الدولتين في حالة تعرض أحد الطرفين إلى هجوم من طرف ثالث و تضمنت المعاهدة بروتوكولات أخرى و بقيت المعاهدة سارية المفعول حتى جوان 1941 حينما أقدمت ألمانيا على غزو الإتحاد السوفيياتي و هو ما عارضه بشدة هاوش هوفر .

المبادئ الأساسية التي شكلت الجيوبوليتيك الألمانية هي :

مبدأ الدولة كائن حي (راتزل) حيث جاء تشخيص هاوش هوفر للأمراض التي تشكو منها الدولة مبنيًا على مشكلة الأرض التي تحتلها و الذي يدعوها إلى التوسع الأرضي من أجل إيجاد حلول لمشاكلها السكانية و الإقتصادية و العسكرية.¹

مبدأ الكفاية الإقتصادية للدولة يقوم على مقاييس رسمها هاوش هوفر و زملاؤه كشروط أساسية لمقومات الدولة القوية ، وقد أكدت النظرية على أربعة مقاييس هي :

أ . عدد وفير من السكان .

ب . نسبة مواليد مرتفعة .

ج . تماثل وتشابه تام بين دم السكان (السلالة) .

د . توازن عادل بين سكان الريف والمدن .

والمقياسان الأول والثاني مفهومان تستند إليهما الدولة لتدعيم قواها وتجديد هذه القوى بإرتفاع نسبة المواليد، ولهذا يأتي المقياس الرابع مؤيداً لهذا الإتجاه، فهاوش هوفر لا يجذب

¹ . محمد رياض، الاصول العامة في الجغرافيا السياسية و الجيوبوليتيك ، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة ، القاهرة ، مصر ، 2014 ، د ط ص 73 .

الفصل الثاني : نشأة الجيوسياسة قبل الحرب العالمية الثانية

السكن المدني كثيراً؛ لأنه بطبيعته يؤدي إلى إنقاص نسبة المواليد، كما أنّ قلة سكان الريف سوف تقلل بالضرورة مدى تحكم الناس في إنتاج التربة الزراعية بمعناها الواسع، وبذلك يشترك العاملان معاً في تقليل قوة الدولة العسكرية و تجديد هذه القوة، وفي تقليل الإنتاج الزراعي العام مما يؤدي إلى إضعاف الكفاية الذاتية للدولة، و قد كتب الأستاذ أوتو ماول قائلاً : إن التغلغل الإقتصادي الكامل، له تماماً نفس الآثار المترتبة على الإحتلال العسكري.¹

إضافة إلى قواعد في غاية الأهمية هي العواصم و التي سعت عدة دول لإستبدال العاصمة من مدينة ساحلية مكشوفة إلى مدينة داخلية محمية و التأثيرات النفسية للعاصمة لما لها من رمزية كبيرة في نفس الأمة ، فسقوط العاصمة في يد المحتل تؤدي إلى إحباط نفسية الشعب و الجيش و بالتالي الإستسلام، كسقوط باريس في يد هتلر أدى إلى إستسلام كامل فرنسا و سعي روسيا الحثيث على أن لا تسقط موسكو في يد النازيين رغم أنهم كانوا قد تقدموا كثيراً في روسيا و هذا ما كان جيداً بنقل العاصمة السوفياتية من سان بترسبورغ إلى موسكو ، إستراتيجية المواقع، و الإستراتيجية العسكرية ، و مناطق الصدام بين الدول المتنافسة و غيرها من القواعد كلها تضمنتها أفكار هاوش هوفر الجيوسياسية .

كارل شميت 1888 - 1985 Carl schmitt

يعتبر شميت مفكر جدير بالإهتمام خاصة في مجالات الفكر السياسي و القانون الدولي و الجيوسياسة و قد تأثر به العديد من المفكرين المعاصرين رغم أنه قد مُنع من التدريس

¹ - نفس المرجع ص 73 .

الفصل الثاني : نشأة الجيوسياسة قبل الحرب العالمية الثانية

ولم تترجم أعماله إلا مؤخرا نظرا لكونه ألماني نازي فقد كانت نهاية الحرب العالمية الثانية ونهاية الرايخ الثالث دعوة إلى مقاطعة الأفكار الجيوسياسية عامة و الألمانية خاصة .
ولد شميت في مدينة بليتنبيرغ بألمانيا 1888 ، درس القانون في جامعات برلين ، ميونخ و ستراسبورغ و تخرج سنة 1915 و عمل أستاذا بغريفسفالد سنة 1921 ثم بجامعة العلوم السياسية في برلين و جامعة كولون، و ألف عديد الكتب خلال مساره من **الثيولوجيا السياسية** سنة 1922 ، **النظرية الدستورية** سنة 1928 الذي عارض فيه الممارسات الشكلية و المعيارية القانونية¹ . حيث أن نهاية الحرب العالمية الأولى أسفرت عن نتائج قاسية و غرامات و شروط تعجيزية على ألمانيا في معاهدة فرساي 1919 التي أسفرت على نقاشات سياسية و قانونية كبيرة خلال جمهورية فايمر، و فلسفة شميت جاءت كرد على هزيمة ألمانيا.

كان شميت في بدايته معارضا للحركة النازية و حزبها و في نفس الوقت ليس بالمؤيد لحكومة فايمر التي تسعى لإنتهاج السياسة الليبرالية ، لكن فيما بعد أصبح مؤيد للحزب النازي و المنظر له .

كما ألف كتاب **مفهوم السياسة** الذي كتبه سنة 1927 و نشر سنة 1932 وأسماه **السياسية** و ذلك لأنه في نظره السياسة عبارة عن صراع سياسي و نزاعات سياسية وحروب سياسية فقول سياسية أي أنه تسبقها دائما كلمة هي إما صراع أو نزاع أو جغرافيا و هو يستلهم أفكاره من توماس هوبز صراع الفرد ضد الفرد و صراع الجميع ضد الجميع فشملت طورها إلى أنها صراع جماعة ضد أمة ضد أمة و صراع دولة ضد دولة

¹ - لويزا أوديسيوس و فابيو بيتيتو ، الفكر السياسي عند كارل شميت ، ترجمة جلال خشيب ، المعهد المصري للدراسات ، ترجمات المعهد 11 أكتوبر 2019 ، اسطنبول ، تركيا ، ص1 .

الفصل الثاني : نشأة الجيوسياسة قبل الحرب العالمية الثانية

وهذا سوف يطوره فيما بعد صامويل هنتغتون في نظريته صدام الحضارات ، فسميت وكأنه يقول أن جوهر السياسة هي الحرب و هذا قد يعتبر تبرير لقيام هتلر بالحرب لأنها حالة طبيعية فيقول أن **اللا حرب تعني اللا سياسة**، و ألف كتاب الليفيانن نظرية الدولة عند توماس هوبز لاسيما فيما يتعلق بالسلطة المطلقة للدولة و طبيعة الصراعات .

إنضم شميت للحزب النازي في 1933 لكن لأسباب تبقى مبهمة سنة 1936 تم تجريده من مناصبه ليحتفظ فقط بمنصبه أستاذ في جامعة برلين .

يرى شميت أن السياسة هي قبل كل شيء القدرة على إستكشاف العدو أي التفريق بين الصديق و العدو . و هو يعني أنه لا يمكن فهم السياسة إلا على أساس الصراع بين القوميات المختلفة التي قد تؤدي إلى الحرب ، و المعروف أن الحرب هي التحدي الخطير، فهي مسألة حياة أو موت و هذا ما تتناساه الليبرالية و لهذا السبب ينتقدها شميت، فالليبرالية في نظره هي حرية الإنسان في أن يجي حياة رديئة و هي إديولوجية المساومة و تمبيع المواقف و المحافظة على السلام بأي ثمن ¹.

في كتابه أرض و بحر 1942 كتاب تنظيري في مجال الجغرافيا السياسية و طبيعة العلاقات بين الجغرافيا و السياسة و أثرها على العلاقات الدولية و النظام الدولي ².

و في نظريته للسيادة يرى على أنها القدرة على الحسم في الحالة الإستثنائية التي يمر بها المجتمع أو الدولة فالقائد السياسي لا تعرف أهميته و قدرته إلا في حالة الخطر أي الحالة الإستثنائية التي يراها شميت أكبر من حالة الطوارئ التي قد تكون مدتها أقصر و بالتالي

¹ - <https://p.dw.com/p/6VJJ> 25/02/2021 _ 10:00

رشيد بوطيب ، لؤي المدهون ، الفيلسوف كارل شميت : ديناميت الفكر المعادي لليبرالية

² - carl schmitt, land and sea, translated by simona Traghici, 1édition, plutrach press, washington, 1997

الفصل الثاني : نشأة الجيوسياسة قبل الحرب العالمية الثانية

يجب إعطاء الصلاحيات الأكبر للحاكم و من هنا ينتقد نظام البرلمانات التي تؤدي فقط إلى الصراعات داخل قبتها في حين الحاكم يوحد الأمة و قراراته تجعل لحمة المجتمع متماسكة و غير منقسمة و لهذا تجدر الإشارة إلى أنه في الدولة فإن من يمتلك القرار في الحالة الإستثنائية هو من يمتلك السلطة ، و هو نوعا ما تبرير للدكتاتورية نظرا للضعف الذي شهدته حكومة فايمر و التعددية ستؤدي إلى تمزيق السيادة و هذا ما يحيلنا إلى الفيلسوف هيغل و تأكيداته على الدولة الكليانية .

في كتابه نوموس الأرض 1950 و الذي ناقش فيه آفاق النظام العالمي و الذي هو أكثر أعمال شميت التاريخية و الجيوسياسة أهمية حيث آمن فيه بنظام وستفاليا الذي إعتبره النظام القانوني و السياسي العالمي بمثابة قانون الأرض أي قانون جيوسياسي مجتمع من الكيانات السياسية بقواعد مشتركة الذي تجسّد في القواعد القانونية الأوروبية العامة من 1648 إلى الحرب العالمية الأولى 1914 .

كانت وستفاليا بمثابة قانون دولي يحول دون حروب الإبادة و هي الحروب الدينية والطائفية الوحشية و التي تعد بطبيعتها حروب إبادة بالمقارنة مع الحروب الأوروبية التي دلّت على إمكانية عقلنة و أنسنة الحرب ، حيث كان تطور مفهوم العدو العادل والمتساوي مفتاح لعديد الصراعات، فالحرب يراها شميت حتمية إلا أنها أصبحت غير عنصرية، و رؤية العدو كشريك مساوي يعني يمكن صنع السلام معه و لا يتم السعي إلى دماره النهائي¹ .

¹ - لويزا أوديسيوس و فايبيو بيتيتو ، الفكر السياسي عند كارل شميدت ، ترجمة جلال خشيب ، المعهد المصري للدراسات ، ترجمات المعهد 11 أكتوبر 2019 ، اسطنبول ، تركيا ، ص 9 .

الفصل الثاني : نشأة الجيوسياسة قبل الحرب العالمية الثانية

و قد إعتبر أن الولايات المتحدة الأمريكية هي الكيان السياسي الوحيد القادر على حل أزمة النظام العالمي .

وهذا ما أشار إليه أيضا جاك ديريدا في كتابه مارقون الذي لا يعترف بالغير فالآخر المختلف يظل خطرا يجب التخلص منه مهما كلف الثمن .¹

وبهذا فقد أسس كارل شميت مفهوم المجال الكبير الجروسروم **GROSSRAUM**

لهذا كان دفاعه على الأمة الجرمانية و عرقها النقي هو إيديولوجيا، على الأمة الألمانية الإلتفاف حولها لخلق المجال الكبير فعندما تريد أن تتوسع الدولة لا يكون بالغزو و إنما بالروابط الثقافية و اللغوية و القومية بين الشعوب لتشكل الدولة الأمة الألمانية من خلال العرق الجرمني ، و بذلك فإنه رأى أن اليهود خطر على الشعب الألماني لأن التناقض الديني رأى فيه مجالا للتناقض السياسي يستحيل تجاوزه على أرض الواقع .

كما يُبرز الباحث جلال خشيب أن شميت أضاف تفسيراً فلسفياً عميقاً للنظريات الجيوسياسية في تحديد الاختلاف بين قوى البر و قوى البحر من خلال النمط الحضاري المختلف لكل واحد عن الآخر : **مجتمعات قوى البر** مثل روسيا تتميز بطابعها التقليدي ، المحافظ ، الأخلاقي ، الديني ، فالأرض تتميز بالثبات فهي محافظة وغير مبادرة و غير منفتحة على الآخر و تقدّس الروح الجماعية لذلك نشأت الإشتراكية في المجتمعات التقليدية . في حين **مجتمعات قوى البحر** مثل الولايات المتحدة تبحث دائما عن ما وراء البحار و هي دائما تبحث عن التحرر و هي مجتمعا تجارية كقرطاج في السابق مجتمعات تجارية ليبرالية تطور أساسا أساطيلها البحرية و الليبرالية تدفع الفرد

¹ - <https://p.dw.com/p/6VJJ> 25/02/2021 _ 10:00

رشيد بوطيب ، لؤي المدهون ، الفيلسوف كارل شميت : ديناميت الفكر المعادي لليبرالية .

الفصل الثاني : نشأة الجيوسياسة قبل الحرب العالمية الثانية

للمبادرة و المنافسة و إلى الفردانية. لهذا فشمت يرى أن الجغرافيا تسببت في نمط تفكيرنا.

و لهذا في الحرب الباردة تماها التفكير الإشتراكي في المجتمعات البرية و تماها التفكير الليبرالي في المجتمعات البحرية .

كما يُبرز شميت أن قوى الجو تُمَيِّع الأرض و تكشفها بحيث لا تجعل الأرض مستعصية بالسلاسل الجبلية و الأنهار و تصبح الجيوش البرية منكشفة أمام الطائرات و الصواريخ، فهي محسوبة على قوى البحر ، فتصبح المعادلة الجيوسياسية هي بين (قوى البر) و بين (قوى البحر و الجو) فقوى الجو تُفقد الأرض قوتها .

و كان لكارل شميت تأثير كبير فيما بعد على الجيوسياسة ما بعد الحداثة حيث قد تأثر به كثيرا ألكسندر دوغين في نظريته عن الأوراسية الجديدة و مستقبل روسيا الجيوسياسي.

المطلب الثاني : المدرسة الأنجلوساكسونية

ألفرد تاير ماهان Alfred Thayer Mahan 1840 . 1914

الأميرال ألفرد تاير ماهان القائد البحري الأمريكي ولد سنة 1840 و لقد عاصر راتزل حيث كان ضابطا في البحرية الأمريكية و قضى حياته عسكريا محترفا، و مارس التدريس في المعاهد العسكرية الأمريكية ، و يعتبر أحد أهم المنظرين في شؤون الجغرافيا السياسية. ولقد إنشغل ماهان بالقوة البحرية الأمريكية و التاريخ و القوى العالمية، فألّف كتابه الأول سنة 1890 " تأثير القوى البحرية عبر التاريخ " ثم دَعَم كتاباته بأعمال أخرى

الفصل الثاني : نشأة الجيوسياسة قبل الحرب العالمية الثانية

فألف سنة 1897 " تأثير أمريكا في القوة البحرية في الحاضر و المستقبل " و في سنة 1898 ألف كتاب " تأثير القوة البحرية في الثورة الفرنسية " و في سنة 1900 أصدر مؤلف جديد " مشكلة آسيا و تأثيرها في السياسات الدولية " ¹ .

أسس أفكاره بناء على دراساته للتاريخ، مركزاً على الحروب البحرية و أساسا الحروب الانفصالية بين أمريكا و بريطانيا 1861 . 1865 و بالتالي كانت لأفكاره صدى واسع في الولايات المتحدة و ما تزال مهمة لحد الآن نظرا لأهمية القواعد التي أسس بها نظريته البحرية و الإستراتيجيات التي تقوم عليها .

و كان الأدميرال ماهان رائدا في إستخراج الإستراتيجية من حالة الحرب المفتوحة لكي يسند إليها القدرة على توقع الأحداث أثناء مرحلة السلم ، حيث كان مستشار الرئيس الأمريكي ثيودور روزفلت بين 1901 – 1908 عندما بدأت الولايات المتحدة الأمريكية تفرض نفسها كقوة عالمية ² .

لقد أسس نظريته بناء على الخبرة الطويلة التي إكتسبها أثناء عمله و على الدروس التي إستخلصها من تاريخ الحروب و الصراعات و بإيمانه أن تصبح الولايات المتحدة الأمريكية القوة العظمى في العالم، و من أجل ذلك فلكون أمريكا يحدّها عن أوروبا وآسيا المحيط الأطلسي و المحيط الهادي فرأى أنه لا مفر أن يكون لها أسطول بحري قوي

¹ . ألكسندر دوفاي ، الجغرافيا السياسية . الجيوبوليتيك ، ترجمة حسين حيدر ، عويدات للنشر و الطباعة ، بيروت لبنان، الطبعة الاولى 2007 ص 23 .

² - فرانسوا جيويه ، الجيوسياسية الجديدة : الحرب و السلم في عصرنا الحالي ، la rousse , la nouvelle géopolitique ترجمة هلا أمان الدين ، مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر ، الرياض ، السعودية ، الطبعة الأولى، 2014 ، ص 18 .

الفصل الثاني : نشأة الجيوسياسة قبل الحرب العالمية الثانية

لكن بإستراتيجيات تجعلها قوة عالمية فاعلة . و قد إستفاد من نظريات الجغرافيا السياسية السابقة خاصة ماكندر، إلا أنه عارضه في بعض القضايا و إستفاد من التجربة البريطانية كقوة بحرية عالمية فعالة .

ومن الجدير بالملاحظة فإنّ ماهان يرى أنّ القوة البحرية العسكرية يجب أن تواكبها تجارة بحرية عالمية ناشطة تقودها الولايات المتحدة الأمريكية لكن بشرط أن تسعى إلى التكامل الإقتصادي مع سائر بلدان القارة الأمريكية بجزأها الشمالي و الجنوبي¹.

لم يهتم ماهان فقط بأمريكا بل درس الدول الأخرى و قدراتها و مواقعها و طموحاتها كما لم يغفل على إمكانية التحالف لتحقيق المصالح المشتركة و أنّ موقع أمريكا يشكّل بين المحيطين مانعا حصينا يحميها من التدخلات الأجنبية لكن يجعلها أمام تحدي أن تفرض نفوذها على المحيطين .

و قد أوصى ماهان في كتابه " إهتمام أمريكا بالقوة البحرية " بأنّه على أمريكا لكي تصبح دولة رائدة على الصعيد العالمي أن تنجز الأمور التالية : أولا التعاون بفعالية مع الدولة البريطانية البحرية ، ثانيا قطع الطريق على الطموحات البحرية الألمانية و عرقلة مشاريعها في الهيمنة على مساحات واسعة ، ثالثا مراقبة التوسع الياباني في المحيط الهادي والتصدي له باعتبار المحيط الهادي مجالا حيويا لأمريكا ، رابعا مقاومة نهوض الشعوب الآسيوية بالتعاون مع الحليف البريطاني².

¹ . معين حداد ، الجيوبوليتيكا - قضايا الهوية و الإنتماء بين الجغرافيا و السياسة ، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت ، لبنان ، الطبعة الاولى 2006 ص 58 .

² . نفس المرجع ص 59 .

الفصل الثاني : نشأة الجيوسياسة قبل الحرب العالمية الثانية

عندما ركّز ماهان على القوة البحرية فإنه لم يركز فقط على الأسطول البحري و قوته بل كذلك على القواعد البرية خاصة المحيطة بقارتي أوروبا و آسيا و الموانئ الإستراتيجية والأراضي الخلفية لها و الطرق البحرية خاصة التجارية .

و قد وضع الخبير البحري ماهان ستة شروط لإنشاء قوة بحرية :

1 . ميزة التموضع الجغرافي

2 . شواطئ مناسبة للموانئ و موارد كبيرة و مناخ مناسب

3 . مساحة كبيرة من الأرض

4 . كثلة سكانية تسمح بالدفاع ضد الأخطار المحتملة

5 . مجتمع مولع بالبحر و التجارة

6 . حكومة راغبة بالهيمنة على البحار¹

و سيتبنى هذه النظرية الرئيس فرانكلين روزفلت الرئيس الثاني والثلاثون لأمريكا 1882.

1945.²

- لقد إتفق ماهان مع ماكندر على أهمية قلب الأرض و خطورة كل من روسيا وألمانيا في السيطرة عليها، لكنه كان يرى أن السيطرة على قلب العالم و من ثم على الجزيرة العالمية ستكون من خلال القوة البحرية حيث أن قلب العالم يعتبر منطقة داخلية محبوسة يصعب عليها فرض قوتها على العالم لكنّه إعترف بقوة كل من روسيا في آسيا وموقعها

¹ . د . جاسم سلطان ، جيوبوليتيك عندما تتحدث الجغرافيا . الجغرافيا و الحلم العربي القادم ، تمكين للأبحاث و النشر ، لبنان ، بيروت ، الطبعة الاولى 2013 ، ص 65 .

² . نفس المرجع ص 65 .

الفصل الثاني : نشأة الجيوسياسة قبل الحرب العالمية الثانية

الهام و ألمانيا في أوروبا كقوة يجب كبحها بالتحالف مع بريطانيا كما إعتبر اليابان قوة مؤثرة في آسيا و الصين كذلك .

لقد شعر ماهان أنّ قارات العالم الشمالية هي مفتاح السيطرة العالمية و أن قناتي السويس و بنما هما الحدود الجنوبية لعالم الشمال المتميز بتكاثف الحركة التجارية و السياسية العالمية، كما تنبأ بأن تحالفا بين الولايات المتحدة الأمريكية و بريطانيا و ألمانيا و اليابان قد يحدث في يوم من الأيام ضد روسيا و الصين معا .¹

فبالنسبة لألفرد مهان فإن التحكم في البحار و المحيطات في العالم من قبل أمريكا لتحقيق طموحاتها يتطلب إجراءات و شروط أساسية منها :

. تحصيل إتفاقات و معاهدات و تقاطع وجهات النظر وأعمال بين الأوروبيين والأمريكيين لكبح القوى البحرية للدول الآسيوية .

. العمل على جعل الولايات المتحدة الأمريكية قوة صناعية حقيقية قادرة على البناء و المنافسة على المدى البعيد، يقابلها إنشاء أسطول بحري عصري ، سريع و قوي .

. جعل من البحرية البريطانية شريك بإمتياز للأسطول البحري الأمريكي لمراقبة كل الفضاءات البحرية و الممرات الإستراتيجية في المحيطات .

. العمل على أن لا تخرج ألمانيا عن دورها في القارة الأوروبية و أن لا يكون لها مشروع إنشاء قوة بحرية في المحيطات .²

¹ . محمد رياض، الاصول العامة في الجغرافيا السياسية و الجيوبوليتيك ، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة ، القاهرة ، مصر ، 2014 ، د ط ، ص 77 .

² Olivier Zajec , INTRODUCTION A L'ANALYSE GEOPOLITIQUE , histoire , outils , methodes , p 36 .

الفصل الثاني : نشأة الجيوسياسة قبل الحرب العالمية الثانية

يختلف مهان مع العديد من المنظرين الجيوسياسيين كما كندر مثلا ، في نقطة أنه بالنسبة لمهان فإن السيطرة على أوروبا أي قلب الأرض لا تعني بالدرجة الأولى السيطرة على العالم بل السيطرة على البحار هي الضامن الأساسي للقوة ، و تحليل ماهان مبني أساسا على التاريخ خاصة في كتابه الأول سنة 1890 " تأثير القوى البحرية عبر التاريخ " الذي يقارن فيه بين سياسة إنجلترا عبر التاريخ و التي تعتبر سيدة البحار، مالكة بذلك عدة نقاط مركزية في العديد من ربوع العالم كقوة أولى عالميا ، و بين سياسة فرنسا التي كوّنت قوة لمدة طويلة تنافس بها إنجلترا، إلا أنها ضعفت بسبب تردددها و فشلها في تكوين قوة بحرية عالمية و بسبب الثورات الداخلية ضد ملوك فرنسا و التي أعقبها الثورة الفرنسية و إنهارها في 22 فيفري 1848 و من خلالها إنتقلت إلى الجمهورية الثانية في 4 ماي 1848 مما جعلها تسعى فقط بأن تكون قوة إقليمية و ليست عالمية، و هو ما جعل ماهان يكتب كتابه في سنة 1898 كتاب " تأثير القوة البحرية في الثورة الفرنسية " .

و في خضم الأحداث التي كانت تجوب أوروبا و إنعدام الثقة بين شعوبها جعل الدول الأوروبية تعيش ركود إقتصادي محتوم و هو ما جعل ماهان يهتم بالجانب الإقتصادي. لقد أصبحت نظرية مهان في الجيوسياسة نموذج لواشنطن طيلة القرن العشرين و جعلت من المملكة المتحدة الحلف الأساسي لأمريكا و شريكها الدائم ، و جعلت من البحرية الألمانية شبه منعدمة ، لكن آسيا أصبحت اليوم تملك قوة بحرية صاعدة تقلق أمريكا ،

الفصل الثاني : نشأة الجيوسياسة قبل الحرب العالمية الثانية

و هذه القوة البحرية هي ليست يابانية بل صينية موجهة للمحيط الهادي و تراقب نقاط العبور لجنوب آسيا و أصبحت القوة الثالثة عالميا.¹

يجدر بنا الإشارة إلى أن عدد السفن حاملات الطائرات الأمريكية سنة 2018 هي 11 ، في حين تملك الصين 2 أما فرنسا و المملكة المتحدة و الهند و روسيا فتملك كل واحدة من هذه الدول سفينة واحدة من حاملات الطائرات.² و هذا دليل على إهتمام أمريكا بالقوة البحرية و أنّ تنظيرات ماهان تم الأخذ بها بعين الإعتبار متفوقة بذلك بفارق واسع على كل القوى الصاعدة الأخرى إضافة إلى تحالفاتها مع الدول الغربية من خلال حلف الناتو . فهذا يعني 13 سفينة مقابل 4 سفن ، و القواعد العسكرية البحرية الأمريكية المنتشرة في كل أجزاء العالم مما يجعلها ذات قوة بحرية متفوقة بامتياز .

نظرية ماكندر قلب العالم 1904

هالفورد ماكندر Halford John Mackinder 1861 . 1947

ولد الجغرافي البريطاني ماكندر سنة 1861 و يعتبر من أهم مؤسسي المقاربات و النظريات الجيوسياسية نظرا لأهمية المفاهيم و الأفكار التي تضمنتها أعماله خاصة مقارنته بين القوى البرية والقوى البحرية و المحور الجغرافي للتايخ.³

¹ Olivier Zajec , INTRODUCTION A L'ANALYSE GEOPOLITIQUE , histoire , outils , methodes, p 37 .

² Ibid p 37 .

³ Hervé cCouteau-Bégarié et Martin Motte , approches de la géopolitique de l'antiquité au XXI eme siècle , Economica , paris , France , 2013 , p 483-507 .

الفصل الثاني : نشأة الجيوسياسة قبل الحرب العالمية الثانية

و كما هو الشأن في أعمال هاوش هوفر و راتزل في تنظيرهم لأن تكون ألمانيا دولة ديناميكية و عالمية ، فإنه من زاوية أخرى ينظر ماكندر لبناء قوة بريطانية من جزيرة أوروبية إلى قوة بحرية مهيمنة عالميا آخذا في الحسبان الثورة الجيوستراتيجية المتمثلة في التحالفات ، و التوزيع الديمغرافي و نموه و بروز قوى عالمية ، و بذلك كان له تأثير كبير داخل المجلثا.¹

لقد ساهم في تطوير الجغرافيا السياسية البريطاني هالفورد ماكندر وحلل العوامل الجغرافية للقوة و الذي يعتبر شخصية بارزة في وضع الإستراتيجيات مما تتوجه أعماله إلى الجغرافيا السياسية و إلى الجيوستراتيجيا و الذي تبنت أفكاره بريطانيا و العديد من الدول الأخرى .

درس ماكندر الطبيعة و الإقتصاد و التاريخ و الجغرافيا ، و درّس في جامعة أوكسفورد ، ثم عين مديرا لمعهد العلوم الإقتصادية و السياسية في لندن و في عام 1910 إنتخب عضوا في مجلس العموم و بقي فيه حتى 1922 و جال في أوروبا و درس بلدانها من النواحي التاريخية و الجغرافية و السياسية كما كان موفدا رسميا من قبل حكومته إلى روسيا بين عامي 1919 و 1920.²

¹ Olivier Zajec , INTRODUCTION A L'ANALYSE GEOPOLITIQUE , histoire , outils , methodes, p 38 .

² . معين حداد ، الجيوبوليتيكا - قضايا الهوية و الإنتماء بين الجغرافيا و السياسة ، شركة المطبوعات للتوزيع و النشر ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الاولى 2006 ، ص 51 .

الفصل الثاني : نشأة الجيوسياسة قبل الحرب العالمية الثانية

كما هو معروف فإن معالم الدولة القوية في تلك الحقبة كانت تعرف بالدولة التي تملك مستعمرات و بهذا كان ماكندر يوظف جميع معارفه لتقوية الإمبراطورية التي ينتمي إليها و هو في أعماله يلتقي في العديد من الأفكار مع راتزل .

كان أول أعمال ماكندر تقريره حول " المحور الجغرافي للتاريخ " الذي نشره عام 1904 في المجلة الجغرافية الإنجليزية يعرض فيه نظريته المبنية على رؤية خاصة لتطور العالم من الواجهة السياسية حيث يجد أن هذا التطور قد صنعته و تصنعه المواجهات العسكرية بين الدول عبر مر التاريخ ، أما مسار تلك المواجهات فتتحكم فيه مواقع الدول الجغرافية من القارات و المحيطات .¹

لقد درس ماكندر عجلة الحروب و الصراعات على مدار التاريخ و مساح العمليات و مراكز الإمبراطوريات العظمى و أماكن تركز السكان و المواقع الإستراتيجية الغنية بالموارد الطبيعية و المناخ و المناطق المحصنة جغرافيا تحميها أكثر من أن تجعلها مكشوفة لأطماع الدول الأخرى .

ويعتبر البريطاني أول من وضع نسقا تصوريا للتفكير في العالم كوحدة سياسية واحدة قابلة للتحكم و حاول أن يقدم مفاتيح اللعبة السياسية الكبرى و كيفية إدارتها.² فقد أعطى للجغرافيا نظرة عامة حيث إستنتج أنه عند رؤيتنا لخريطة العالم سنلاحظ قطعة جغرافيا متلاصقة إلى حد كبير تشمل أوروبا و آسيا و أفريقيا بإعتبارها أرض عملاقة

¹ . معين حداد ، الجيوبوليتيكا - قضايا الهوية و الإنتماء بين الجغرافيا و السياسة ، شركة المطبوعات للتوزيع و النشر ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الاولى 2006 ، ص 52 .

² . د . جاسم سلطان ، جيوبوليتيك عندما تتحدث الجغرافيا . الجغرافيا و الحلم العربي القادم ، تمكين للأبحاث و النشر، لبنان ، بيروت ، الطبعة الاولى 2013 ، ص 61 .

الفصل الثاني : نشأة الجيوسياسة قبل الحرب العالمية الثانية

تحيط بها المحيطات من كل جانب ما يجعله يسميها الجزيرة العالمية حيث يحدها كل من المحيط الشمالي المتجمد و المحيط الأطلسي و المحيط الجنوبي المتجمد و المحيط الهادي فهي تمثل ثلاث أرباع الأرض و معظم سكان الكرة الأرضية و أن هذه الجزيرة العالمية تحيط بها جزر أخرى على أطرافها مثل بريطانيا و الأمريكيتين و أستراليا و اليابان هي التي يسميها الهلال الخارجي و التي يعتبرها توجد في موقع هامشي بالنسبة للمركز السكاني و الجغرافي و الإستراتيجي العالمي .

فضلا عن ذلك يرى ماكندر أن تاريخ البشرية و بالتحديد تاريخ الصراع البشري في السيطرة على المساحات الجغرافية قد إنّخذ من القارات الثلاث مسرحه الأساسي و إن بقية أفريقيا نسبيا على هامش هذه المواجهات إلا في جزئها الشمالي، ما يعني أن مساحة اليابس التي تجمع أوروبا إلى آسيا هي المساحة المفصلية في عملية السيطرة على العالم، إذا فإن الجزء الشرقي من أوروبا و الجزء الغربي من آسيا هما اللذان يشكلان مركز الجزيرة العالمية.¹

و في 1904 يستنطق الجغرافيا عبر التاريخ و يطرح في ضوء حركة القوى الإمبراطورية عبر التاريخ سؤاله الجريء أين كانت أكثر المناطق حصانة عبر التاريخ ؟ و يصل إلى أنها المنطقة الممتدة عبر روسيا و حدود الصين و أوروبا الشرقية و يسميها منطقة الإرتكاز الجغرافي في التاريخ و يحيط بها هلال داخلي ثم يتبعه هلال خارجي و المتمثل

¹ . معين حداد ، الجيوبوليتيكا - قضايا الهوية و الإنتماء بين الجغرافيا و السياسة ، شركة المطبوعات للتوزيع و النشر، بيروت ، لبنان ، الطبعة الاولى 2006 ص 54 .

الفصل الثاني : نشأة الجيوسياسة قبل الحرب العالمية الثانية

في الجزر المحيطة بالجزيرة العالمية و يطلق على منطقة الإرتكاز لقب " قلب العالم " ¹ هارتلاند ومن هنا يضع ماكندر نظريته :

يرى أن المحيط العالمي و الذي يتشكل أساسا من المحيط الهادي و الأطلسي و الهندي وكل البحار الأخرى يشغلون من الكرة الأرضية نسبة 12/9 أي ثلاث أرباع الكرة الأرضية و بما أن هذه المحيطات متصلة فيما بينها فأطلق عليها ماكندر تسمية المحيط العالمي تتوسطهم القارات الثلاث أوروبا و آسيا و أفريقيا و اللواتي يعتبرها كتلة أرضية واحدة مشكلة بذلك مركز عالمي تتأسس عليه كل إستراتيجيات القوى العالمية الفاعلة، و هذا المركز العالمي le pivot central بالنسبة لماكندر هو الجزيرة العالمية والتي تتضمن داخلها القلب الإستراتيجي و هو قلب العالم Le Heartland يضم كل من روسيا بما فيها سيبيريا و أوروبا الشرقية ما يمنحها قوة كبرى من خلال غناها بالموارد الطبيعية و طبيعة جغرافيتها المتنوعة و موقعها الإستراتيجي .

. و قلب الأرض محمي بدرع جغرافي طبيعي فيحدها من الشمال المحيط المتجمد الشمالي ومن الحدود مع الدول المجاورة تحدها الجبال العالية كسلسلة جبال الألب.

. وحسب ماكيندر فإن جزيرة العالم تشغل 16/1 من مساحة العالم و إعتبر أمريكا الشمالية والجنوبية وأستراليا بمثابة جزر تحيط باليابس تغطي 12/1 من مساحة الكرة الأرضية، وتتكون الجزيرة العالمية من أفروأوراسيا يتوسطها البحر المتوسط، حيث أشار إلى أن 16/14 من سكان العالم يقطنون هذه الجزيرة أي 87,5 بالمئة من سكان العالم ،

¹ . د . جاسم سلطان ، جيوبوليتيك عندما تتحدث الجغرافيا . الجغرافيا و الحلم العربي القادم ، تمكين للأبحاث و النشر، لبنان ، بيروت ، الطبعة الاولى 2013 ، ص 62 .

الفصل الثاني : نشأة الجيوسياسة قبل الحرب العالمية الثانية

أما الجزر المحيطة فيسكنها 16/1 من سكان العالم، ويسكن الجزر الخارجية (أمريكا الشمالية واللاتينية وأستراليا) نحو 16/1 من سكان العالم.¹

. و يحيط بقلب الأرض حافة الأرض و تشمل كل من أوروبا الغربية و الشرق الأوسط وجنوب آسيا و الشرق الأقصى مشكلة بذلك ما يسميه ماكندر بالهلال الداخلي .

. ويحيط بالجزيرة العالمية بما فيها الهلال الداخلي و قلب الأرض الهلال الخارجي المتكون أساسا من الدولتين البحريتين القريبتين هما بريطانيا و اليابان و أبعد نوعا من الجزيرة العالمية هي الولايات المتحدة الأمريكية ثالث قطب بحري عالمي .

فيرى أنه من يسيطر على أوروبا الشرقية و (بلاروسيا و إستونيا و لاتفيا و لثوانيا ومولدافيا و أوكرانيا) و سيبيريا يستطيع السيطرة على قلب العالم و من يسيطر على قلب العالم و هي المنطقة التي كان يحتلها الإتحاد السوفياتي يسيطر على الجزيرة العالمية ومن يسيطر على الجزيرة العالمية أوروبا آسيا و أفريقيا يسيطر على العالم² و بذلك نشأ الصراع بين دول الهلال الخارجي و دول الهلال الداخلي و دول المركز حول من يسيطر على قلب العالم أي بين قوى البحر و قوى البر المتمثلة خاصة في روسيا و ألمانيا ، كما كان التخوف من طرف الهلال الخارجي من أن ينشأ تحالف بين ألمانيا و روسيا و بالتالي يسيطرون على قلب العالم.

يرى ماكندر أن إتحاد روسيا و ألمانيا هو إتحاد الجزيرة العالمية أي ضمان السيطرة على القوى القارية خاصة الأوروبية مستعملين مواردهما و وسائل الإتصال المتطورة التي تزيل

¹ د. الظاهر نعيم : الجغرافيا السياسية المعاصرة. الأردن، اليازوري للنشر والتوزيع، 2007 ، د ط ، ص 21 .

² د . جاسم سلطان ، جيوبوليتيك عندما تتحدث الجغرافيا . الجغرافيا و الحلم العربي القادم ، تمكين للأبحاث و النشر، لبنان ، بيروت ، الطبعة الاولى 2013 ، ص 63 .

الفصل الثاني : نشأة الجيوسياسة قبل الحرب العالمية الثانية

عقبات الجغرافيا الصعبة بينهما و مستندين إلى قوتهما الصناعية فبإمكانهما إنشاء أسطول بحري يضمن سيادتهما على العالم.¹

خاصة و أن قوى البحر لم تكن تستعمل أسلحة ذات تكنولوجيات عالية بل كانت جد ضعيفة مقارنة بقوى البر التي كانت تكتسي تقدم في العتاد العسكري و الإستراتيجي وجغرافيا تساعدها على جعلها مستعصية من الإختراق .

إن نظرية ماكندر تأخذنا إلى مقولة الرحالة الإنجليزي المشهور السير والتر راليخ الذي قال في القرن السادس عشر " من يملك البحر يملك التجارة العالمية ، ومن يملك التجارة العالمية يملك الثروة ، و من يملك الثروة يملك العالم بذاته "²

و في أوروبا سنوات العشرينيات من القرن العشرين و في الوقت الذي كانت فيه البحرية الإنجليزية تُبهر العالم فإن ماكندر عمل على إبعاد موسكو عن برلين من أي تحالف وبذلك دعم سياسة الكوردون سانيتار **cordon sanitaire**³ و عزل الإتحاد السوفياتي عن أوروبا و تحالف بريطانيا مع فرنسا و تحالف بريطاني أمريكي لحماية بريطانيا بحريا في العمق .

¹ Olivier Zajec , INTRODUCTION A L'ANALYSE GEOPOLITIQUE , histoire , outils , methodes, p 39 .

² Ibid p 40 .

³ **cordon sanitaire** في أوروبا الشرقية قادته فرنسا بعد الحرب العالمية الثانية، يعني تطبيقها سياسة عزل الاتحاد السوفياتي عن شرق أوروبا بمساعدة مجموعة دول الحلفاء وتكوين حزام عازل من فنلندا إلى رومانيا لعزل الاتحاد السوفياتي تماما عن شرق أوروبا . لكن بعد انضمام الاتحاد السوفياتي الى عصبة الأمم سنة 1934 ، و بالتحالف الفرنسي السوفياتي في 1935 أصبحت سياسة الكوردون سانيتار شبه ملغاة ، و مع الاتفاق بين ألمانيا و روسيا سنة 1939 أصبحت سياسة العزل ملغاة تماما .

الفصل الثاني : نشأة الجيوسياسة قبل الحرب العالمية الثانية

و بذلك فإن ماكندر كان يدعو في 1919 إلى إنشاء دول جديدة شرق أوروبا و تقوية دول مستقلة في أوروبا الشرقية كالتشيك و بولونيا هذا لخلق حاجز مانع لروسيا داخل أوروبا و لمنع أي تحالف بين ألمانيا و روسيا .

ورغم إتفاقية رابيلو Traites de Rapallo سنة 1922 بين الألمان والسوفييات و الإتفاقية الثانية بينهما سنة 1939 إلا أنهما لم يمنعا الحرب الشاملة بينهما سنة 1941.

وإعتبر ماكندر أن التهديد للسيطرة على قلب العالم لا يأتي من ألمانيا بل من الإتحاد السوفيياتي، وحسبه فإن السوفييات لو خرجوا من الحرب العالمية الثانية منتصرين لأصبحوا أكبر قوة في العالم .

و في سن 83 سنة أعاد ماكيندر صياغة أفكاره جيوبوليتيكية العالم في مقال نشره سنة 1943 إذ في هذا المقال نجد ماكندر يُخرج حوض لينا - سيبيريا الشرقية - من قلب العالم الذي أصبح يتكون من سيبيريا الوسطى و الغربية و وسط آسيا و شرق أوروبا و حوض البلطيق.¹

ولعل أهم ما يمكن أن نفسره من تغيرات آراء ماكيندر في 1943 عنها في 1904 أنه نقل الأهمية الجيوبوليتيكية للهرتلاند قلب الأرض من مجرد الإعتماد على الموقع والتكتل

¹ . محمد رياض، الاصول العامة في الجغرافيا السياسية و الجيوبوليتيك ، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة ، القاهرة ، مصر ، 2014 ، د ط ، ص 63 .

الفصل الثاني : نشأة الجيوسياسة قبل الحرب العالمية الثانية

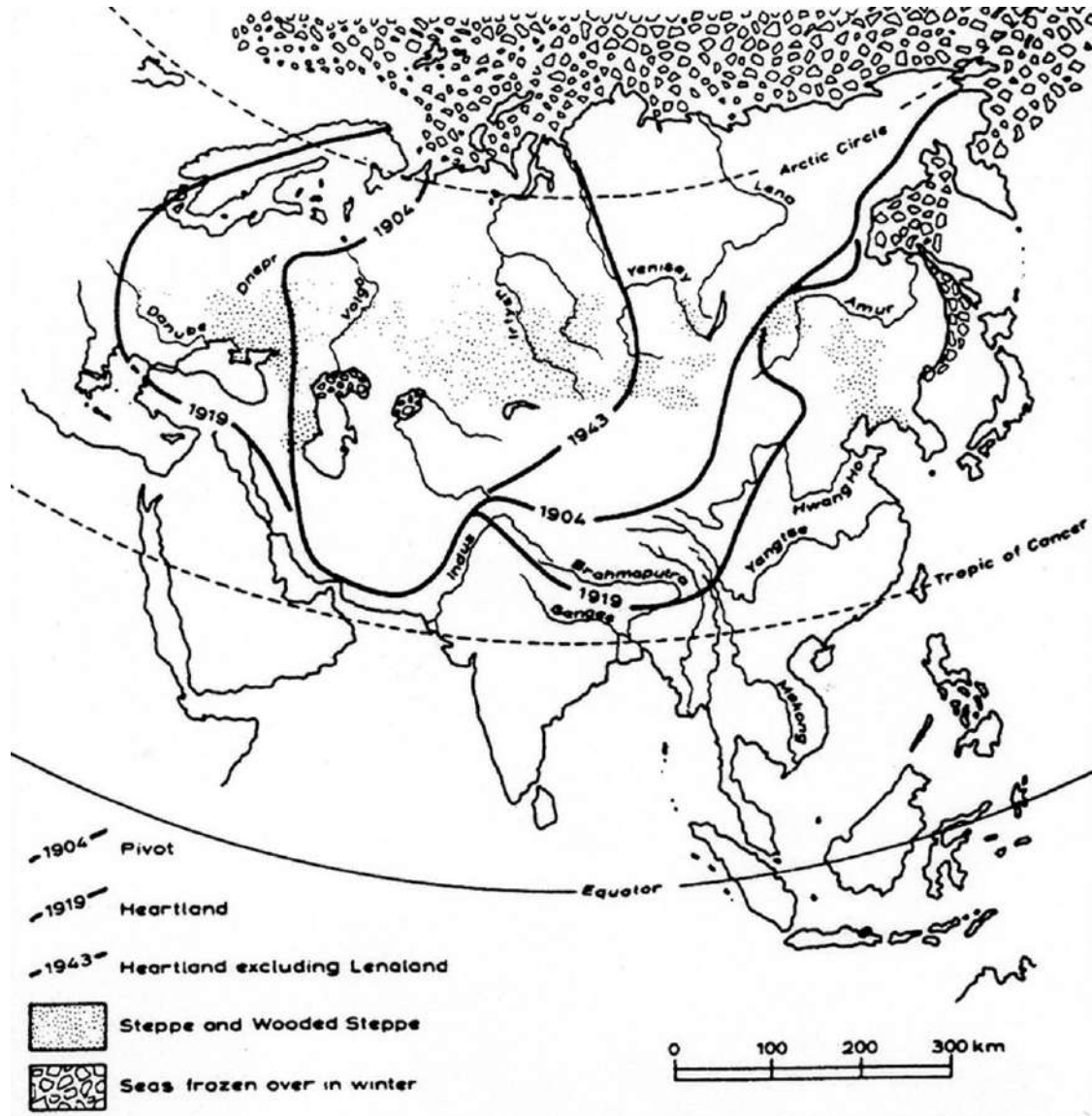
الأرضي وسهولة الحركة للقوى القارية إلى الإعتماد على الناس والعمران والموارد والخطوط الخلفية للحركة¹.

ولقد تأثرت الدول العظمى و خاصة الألمان كثيرا بنظرية ماكندر و التي لا تزال أسسها تؤخذ في الحسبان من قبل الإستراتيجيين و القوى العالمية التي تسعى إلى قيادة العالم . وقد أخذت الجيوبوليتيكا الألمانية نفسها بأفكار ماكندر و حاولت توظيفها لصالح ألمانيا و بناءا على ذلك أوصى هاوش هوفر و رفقائه بالتحالف الجرمانى السوفياتي في نهاية الثلاثينيات بهدف الوصول لوضع اليد على قلب الأرض ما يشير إلى المكانة التي تتمتع بها نظرية ماكندر الجيوسياسية و تخطيطاتها الإستراتيجية و هو ما حدث فعلا حيث تطرقنا لها عند الحديث عن هاوش هوفر.

كان ماكندر قد بنى على نظريته في محور التاريخ صيغا إستراتيجية متعددة ، حول قوى البر و قوى البحر ، و دور بريطانيا كقوة بحرية يفرض عليها موقعها الجزيري التصادم الشامل مع القوى البرية إذا ما أرادت تحقيق طموحاتها الإمبراطورية .

¹ . محمد رياض، الاصول العامة في الجغرافيا السياسية و الجيوبوليتيك ، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة ، القاهرة ، مصر ، 2014 ، د ط ، ص 65 .

الفصل الثاني : نشأة الجيوسياسة قبل الحرب العالمية الثانية



خريطة توضح تطور قلب الأرض الهيرتلاند في نظرية ماكندر¹

¹ - Gérard Dussouy, Les théories géopolitiques, Traité de relations internationales. Tome 1 Paris : Éditions L'Harmattan, 2006 page 152 .

نظرية الريملاند لسبيكمان: النطاق الهامشي

نيكولاس سبيكمان Nicholas John Spykman 1893 . 1943

الأمريكي نيكولاس سبيكمان الهولندي المولد بدأ حياته في الصحافة ، و سافر كثيرا للعديد من الدول قبل أن يتفرغ لدراسة العلوم السياسية و العلاقات الدولية ، دخل إلى أمريكا في 1920 و بعد كتابته لمؤلفه pledge of allegiance في 1928 جعل منه مواطن في العالم الجديد و بذلك تحصل على الجنسية و عمره 35 سنة ، لقد كان بروفيسور مشهور في جامعة ييل و التي كانت من أرقى الجامعات في الولايات المتحدة الأمريكية ، و في 1934 . 1935 كان رائد تأسيس معهد العلاقات الدولية في هذه الجامعة .¹

عموما يصنف سبيكمان من مؤسسي المدرسة الجيوبوليتيكية الأنجلوساكسونية مع ألفرد ماهان و هالفورد ماكندر .

تأثر كثيرا سبيكمان بالأب الروحي له و هو عالم الاجتماع و الفيلسوف الألماني جورج سيمال ، وقد منح سبيكمان أهمية كبيرة للجغرافيا كفضاء للتنافس .²
كان أكاديميا و لمع كأستاذ للعلاقات الدولية و شغل منصب مدير معهد العلاقات الدولية في جامعة ييل.³

¹ - Olivier Zajec , INTRODUCTION A L'ANALYSE GEOPOLITIQUE , histoire , outils , methodes, p 42 .

² - Ibid p 42 .

³ . معين حداد ، الجيوبوليتيكا - قضايا الهوية و الإنتماء بين الجغرافيا و السياسة ، شركة المطبوعات للتوزيع و النشر، بيروت ، لبنان ، الطبعة الاولى 2006 ، ص 60 .

الفصل الثاني : نشأة الجيوسياسة قبل الحرب العالمية الثانية

و بحكم تكوينه الأكاديمي فقد درس كل النظريات الجيوسياسية من خلال مؤسسيها كراتزل و هاوش هوفر و ماكندر كما أنه إستفاد من التجارب الحربية التي عاشها العالم وخاصة الحربين العالميتين و كتب مؤلفه بعنوان **إستراتيجية أمريكا في عالم السياسة :** **الولايات المتحدة الأمريكية و ميزان القوى 1942** حيث أنه لم يرى في الدولة الوطنية و إيمان الشعوب بأرضهم التي ينتمون إليها؛ إلا معتقدات وهمية تغرسها الدولة لتجنيد شعبها و تهيئتهم للحروب و هو بذلك ينتقد هاوش هوفر و الجغرافيا السياسية الألمانية بصفة عامة و على أن الحدود الثابتة و المتغيرة هي قضية تنافسية بين الدول القوية و التي تفرض إيديولوجيتها و عقائدها على الأراضي الأخرى أو الدول الأخرى لكنه يتفق مع ماهان و يتأثر بماكندر لكن يختلف معه في النتائج .

كتب سنة 1944 كتاب "**جغرافيا السلام**" يعلّق خلاله على الجغرافيا الكبرى لماكندر ونظريته و يعارضه في نتائج نظريته بحيث يرى أن غرب آسيا و شرق أوروبا لا يعتبران قلب الجزيرة العالمية بحيث أنه حدثت حربين عالميتين تصارعت خلالهما كل من ألمانيا وروسيا و لم يستحوذوا على الجزيرة العالمية و أن ما أتى به ماكندر يبقى فقط نظري .

فبرأي سبيكمان القومية الوطنية و الإرادة الشعبية و الديمقراطية و الحرية هي جميعها من صنع الدولة . و وجد سبيكمان في أعمال ماكندر و نظريته قلب الأرض موضوعا مهما للغاية لكن إعتبر أنه قد بالغ في تقديم الأهمية الإستراتيجية للمركز الأوراسي .¹

¹ . معين حداد ، الجيوبوليتيكا - قضايا الهوية و الإنتماء بين الجغرافيا و السياسة ، شركة المطبوعات للتوزيع و النشر، بيروت ، لبنان ، الطبعة الاولى 2006 ، ص 60 .

الفصل الثاني : نشأة الجيوسياسة قبل الحرب العالمية الثانية

فخلاصة نظرية ماكندر أنه من يسيطر على قلب الأرض **Hearth land** الذي يشمل أوروبا الشرقية و غرب آسيا يسيطر على الهلال الداخلي و من يسيطر على هذا الأخير يسيطر على الجزيرة العالمية و من يسيطر على الجزيرة العالمية يسيطر على الهلال الخارجي و بذلك يسيطر على العالم و قد إستند في نظريته خاصة على الأحداث التاريخية والمميزات الجغرافية و البشرية لهذه المنطقة .

إلا أن سبيكمان يرى أنّ هذه النظرية تحتاج إلى تصويب، تُمثل في نظره بأن من يسيطر على شواطئ القارات المتلاصقة أي شواطئ آسيا و أفريقيا و أوروبا هو الذي يسيطر على الجزيرة العالمية التي تتشكل منها تلك القارات و أسس رؤيته هذه على نظرية في التاريخ العسكري قوامها أن من كان يسيطر على البحر الأبيض المتوسط هو الذي كان يتمكن من إحكام قبضته على المساحات القارية بدءاً من هوامشها المطلّة على البحر المتوسط فكان الصراع عليه تاريخياً كبير بين القوى العظمى ، لذلك إستبدل سبيكمان فكرة ماكندر حول قلب الأرض **Hearth land** إلى فكرة **حوافي الأرض Rimland** بقوله " من يسيطر على حوافي القارات يسيطر على القارات"¹ ويسمى كذلك الهلال الهامشي كما يسمى كذلك الإطار .

لقد رأى سبيكمان في الهلال الهامشي الذي يحيط بالهتلاند عند ماكندر مفتاح السياسة العالمية و لهذا يسمى هذه الأراضي بالإطار **Rimland** أو حافة الأرض التي تضم أوروبا البحرية الغربية و الشرق الأوسط و الهند و جنوب شرق آسيا و الصين ، هذا

¹ . معين حداد ، الجيوبوليتيكا - قضايا الهوية و الإنتماء بين الجغرافيا و السياسة ، شركة المطبوعات للتوزيع و النشر، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى 2006 ، ص 61 .

الفصل الثاني : نشأة الجيوسياسة قبل الحرب العالمية الثانية

الإطار يتمتع بعدد كبير من السكان و مصادر ثروة بالإضافة إلى إستخدام البحر كخطوط حركة أساسية للتجارة و الحرب .¹

و يفسّر سبيكمان إختياره لحافة الأرض كأساس للسيطرة على العالم بقوله أن الكثافة السكانية و الموارد تقع كلها في الهلال الداخلي الذي يشمل معظم قارة أوروبا و العالم العربي و إيران و أفغانستان و الصين و جنوب شرق آسيا و كوريا وشرق سيبيريا .²

إن سبيكمان بعدما أسس نظريته و درس القوى العالمية و قدراتها كان يخشى من أن تسيطر ألمانيا على حافة الأرض و بالتالي تتزعم العالم فتعزل الولايات المتحدة على أداء دورها كقوة عالمية، خاصة و أن ألمانيا تحلم بالرايخ الثالث و موقعها سمح لها بتحقيق طموحاتها في ذلك . و لم يخشى من ألمانيا أن تسيطر على شرق أوروبا و على قلب العالم لأنه كان يرى فيه أرض لا تتمكن من خلالها على السيطرة على حافة الأرض وأنها أرض ميتة قليلة الثروات مقارنة مع الريميلاند .

ومع ظهور الولايات المتحدة كقوة كبرى، أجرى سبيكمان نوعا من الإسقاط التاريخي للبحر المتوسط على المحيط الأطلسي و طرح مفهوما جديدا هو " المحيط المتوسط " **Midland-Ocean** بمعنى أن دور المحيط الأطلسي في العالم بعد دخول القارة الأمريكية في سياق التاريخ البشري الذي شهدته القارات القديمة يماثل ما كان عليه البحر المتوسط ، أي على الولايات المتحدة أن تسيطر على الأطلسي كمقدمة للسيطرة

¹ . محمد رياض، الاصول العامة في الجغرافيا السياسية و الجيوبوليتيك ، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة ، القاهرة ، مصر ، 2014 ، د ط ، ص 78 .

² . د . جاسم سلطان ، جيوبوليتيك عندما تتحدث الجغرافيا . الجغرافيا و الحلم العربي القادم ، تمكين للأبحاث و النشر ، لبنان ، بيروت ، الطبعة الاولى 2013 ، ص 66 .

الفصل الثاني : نشأة الجيوسياسة قبل الحرب العالمية الثانية

على العالم و من هنا ينحو سبيكمان منحى ماهان و الذي يقضي بأن تملك الولايات المتحدة القوة البحرية الأولى بين الدول.¹

كما أن سبيكمان دعا إلى تحالف مع دول الإطار خاصة بريطانيا و الدول المطلة على المحيط الأطلسي و أنّ هذا التحالف يحمل أبعاد عسكرية و إقتصادية و ثقافية و حضارية و أن يصبح المحيط الأطلسي ذو حركة و نشاط لا تقل عن نشاط البحر الأبيض المتوسط وهو بذلك يجمع البحر المتوسط و المحيط الأطلسي في كلمة مختصرة هي المحيط المتوسط .

كان سبيكمان الذي إستفاد من أعمال ماكندر و إستكمل خطة ماهان سبّاقاً في التنظير لحلف شمال الأطلسي ، و هذا الحلف شكّل العمود الفقري لما عُرف بعد ذلك بالمعسكر الغربي، و حلف جنوب شرقي آسيا . فبالنسبة لسبيكمان الغرب هو القوة البحرية في مواجهة الشرق أي معسكر الإتحاد السوفياتي صاحب القوة البرية ، و من أجل إنتصار المعسكر الغربي يجب للقوة البحرية أن تسبق الأمور و تُحكّم سيطرتها على حوافي القارات خاصة أوراسيا و أن سيطرتها على حوافي كل القارات سيؤمن لها نصراً تاريخياً ، و هذا يكشف أهمية نظرية سبيكمان في إنتصار الولايات المتحدة خلال الحرب الباردة.²

¹ . معين حداد ، الجيوبوليتيكا - قضايا الهوية و الإنتماء بين الجغرافيا و السياسة ، شركة المطبوعات للتوزيع و النشر، بيروت ، لبنان ، الطبعة الاولى 2006 ص 62 .

² . نفس المرجع 66 .

الفصل الثاني : نشأة الجيوسياسة قبل الحرب العالمية الثانية

لقد توفي سبيكمان مبكرا عن عمر يناهز 50 سنة و كان لنظريته تأثير كبير في العقيدة الليبرالية الأمريكية ضد الشيوعيين و تبنتها إدارة ترومان الرئيس الأمريكي الثالث والثلاثون إبتداءا من سنة 1947.¹

ولقد إعتبرت نظريته أكثر واقعية من نظرية ماكندر ، و قد نعتبر وصاية سبيكمان هي أن تقحم أمريكا نفسها دائما و بإستمرار في نظام القوى الأوراسي بالأفعال أو بردود أفعال إزاء كل الأحداث الدولية في هذه المنطقة بطريقة دبلوماسية أو عسكرية .

و بمجرد أن تصبح الولايات المتحدة الأمريكية أكبر قوة عالمية يجب عليها أن تتصدى لأي قوة عسكرية منافسة لها ، خاصة بعد الحرب العالمية الثانية حيث إضمحلّت إلى حد كبير قوى الإتحاد السوفياتي بعد تفكيكه ، هذا تطبيقا للنظريات الجيوسياسية لكبح أي قوة عالمية في المنطقة الأوراسية ، و لهذا كل التحالفات التي قامت بها أمريكا هي مُبرّرة و منطقية في تلك المنطقة ، كالحلف الأطلسي و إتفاقية بغداد CENTO سنة 1955 في 24 فيفري و هي شراكة عسكرية و سياسية بين تركيا و العراق و هي التي دعت إليها أمريكا في بداية الحرب الباردة حسب مبادئ حلف شمال الأطلسي OTAN و حلف جنوب و شرق آسيا OTASE لبناء إتحاد دفاعي في الشرق الأوسط و مع نهاية 1955 إنضمت إلى الإتفاقية كل من بريطانيا العظمى و باكستان وإيران، و إنسحبت منه العراق في 21 أوت 1959 .

وحلف جنوب و شرق آسيا OTASE نشأ في 8 سبتمبر 1954 هو تحالف دولي دفاعي وكان غرضه هو كبح أي توغل للفكر الشيوعي في جنوب آسيا و جنوب المحيط

¹ Olivier Zajec , INTRODUCTION A L'ANALYSE GEOPOLITIQUE , histoire , outils , methodes, p 43 .

الفصل الثاني : نشأة الجيوسياسة قبل الحرب العالمية الثانية

الهادي بوضع شركات إقتصادية و ثقافية، و قد أخذ مقره بونكوك ؛ تايلاندا و إنضمت إليه كل من أستراليا، فرنسا، المملكة المتحدة ، نيوزيلندا ، باكستان ، الفيليبين، تايلندا، والولايات المتحدة الأمريكية .

ويختلف حلف OTASE عن حلف الناتو في أنه لا يتدخل عسكريا في حالة التعدي على دولة عضو فيه مباشرة بل في حالة تعدي من قبل دولة شيوعية و بعد التشاور مع جميع أعضاء الحلف ، و لقد شاركت أغلبية الدول بإرسال جنودها في حرب أمريكا في الفيتنام و لكن مع انسحاب أمريكا من الفيتنام إنحل الحلف في 30 جوان 1977.¹ كما أنه إبتداءا من سنة 1970 و بالرغم من أن الصين شيوعية إلا أن أمريكا أثرت عليها و جعلت منها حاجز ضد الإمتداد السوفياتي و قد كان مهندس هذا التحالف هنري كيسنجر من خلال نصائحه للرئيس الأمريكي نيكسون و هذا بعد دراسة معمقة لماكندر و سبيكمان و تطرق إليها كيسنجر في كتابه دبلوماسية سنة 1994 .

المطلب الثالث : المدرسة الفرنسية

لقد كان للمدارس الألمانية و الأنجلوساكسونية صدى كبير في الأوساط الأكاديمية العسكرية و السياسية و خاصة الجغرافية و لم تكن فرنسا بمعزل عن هذه النظريات العالمية و التي من شأنها أن تتأثر بها خاصة و موقعها الجغرافيا الإستراتيجي الهام و كذا لكونها متجاورة مع ألمانيا و في نزاع معها حول منطقة الأراس و اللورين التي فقدتها فرنسا لصالح ألمانيا بعد حرب بينهما سنة 1871 و إسترجعتها سنة 1918 و من 1940

¹ Encarta 2009 , Microsoft Encarta and Student Program Manager USA

الفصل الثاني : نشأة الجيوسياسية قبل الحرب العالمية الثانية

إلى 1944 أي خلال الحرب العالمية الثانية كانت تحت السيطرة الألمانية مثلها مثل باقي فرنسا و بعد إنتهاء الحرب العالمية الثانية عادت الألزاس و اللورين إلى فرنسا .
لقد تطورت المدرسة الفرنسية كثيرا من خلال تشكيل الإمبراطورية الإستعمارية خارج أوروبا ، و ليس من خلال المطالبة بالأراضي داخل القارة الأوروبية مثلما فعلت جارتها ألمانيا ، بل و على وجه الخصوص من خلال إستعمار الجزائر سنة 1830¹ و العديد من المناطق في العالم خاصة في أفريقيا .

بول فيدال دو لابلاش paul vidal de la blache 1845 . 1918

بعد أن درس فيدال التاريخ في المدرسة العليا ، إنتقل في إقامة قصيرة إلى تركيا لتحضير رسالة حول " أسماء المحرقات في آسيا الصغرى " أين يلتقي بالجغرافي كارل ريتز² ويرافقه، ومن خلاله يقرر بأن يصبح جغرافي ، و في 1875 ينصبّ أستاذ محاضر للجغرافيا في جامعة نانسي الفرنسية ثم أنشأ **حوليات الجغرافيا سنة 1882** ، ثم أصبح مدرّسا في جامعة السوربون في باريس سنة 1898³ .

يعتبر مؤسس المدرسة الفرنسية للجغرافيا بنشره كتاب " **جدول الجغرافيا لفرنسا** " و قد ضمّنه وصفا مفصلا لمعالم و أساليب الحياة الطبيعية بالأراضي الفرنسية و أولى فيدال دو لابلاش الجغرافيا الإقليمية إهتماما أكبر مقارنة بالمساحات الواسعة و طور فكرة أنه يمكن

¹ . عبد العزيز جراد، الجيوسياسية مفاهيم معالم و رهانات، منشورات شهاب، الجزائر، 2018، ط 1 ، ص 54 .

² كارل ريتز 1779 . 1859 جغرافي ألماني و من مؤسسي الجغرافيا الحديثة من أهم أعماله **جغرافيا عالمية une geographie universelle** متكونة من 19 مجلد مركزا على الحقبة بين 1817 . 1859 يحدد فيه تأثير المحيط الطبيعي على النشاط البشري .

³ L'indispensable de la géopolitique, sophie chautard, groupe studyrama-vocatis, France 2009 sans édition, p29

الفصل الثاني : نشأة الجيوسياسة قبل الحرب العالمية الثانية

للإنسان أن ينشط في بيئته و أن الطبيعة لا تمثل دائما عقبة في وجه التوسع البشري¹ عكس ما كانت تراه المدارس الجغرافية الأخرى .

لقد عمل دولابلاش كثيرا حول مصطلح **الإمكانية possibilisme** و هي ما سمحت فيما بعد للمؤرخ لوسيان فابفر في كتابه الأرض و التطور البشري سنة 1922 بأن يقترح رؤية جغرافية فرنسية باهتمام للإمكانية الإنسانية في محيطه ، و بالتالي توجه مناقض للرؤية الراتزلية، و من هنا إنضم كل من جاك أنسل ، و كامبي فالو، و جون برون إلى مجموعة **الممكن** ، و من خلال كتابه **جدول الجغرافيا الفرنسية** الذي أصدره فيدال سنة 1903 يبرز من خلاله زاوية خاصة لدراسة الأقاليم الصغيرة أي ميكرو-إقليم **micro-territoires** هذه المقاربة سميت جغرافيا أصناف الحياة **geographie des genres de vie** من خلاله يجلل بدقة العلاقة بين الإقليم الطبيعي و بين ساكنيه² .

وبذلك فإن دولابلاش يؤسس لفروق جوهرية مع كل من المدرسة الألمانية و المدرسة الأنجلوساكسونية في كونه يضع معالم حدودية بين الدول عكس المدارس الأخرى التي نظرت إلى الدول القارية و العالمية نظرة عضوية توسعية .

ولقد كان التحويل المتعاضم للعامل المكاني لراتزل هو الذي دفع دي لابلاش للرد عليه بنظرية الممكن ، و الذي يرى أن إنعكاس العامل الجغرافي في الوسط و المحيط التاريخي هو في الإنسان نفسه ، صاحب المبادرة و قد رأى دي لابلاش أن خطأ الجيوسياسيين

¹ . عبد العزيز جراد، الجيوسياسة مفاهيم معالم و رهانات، منشورات شهاب، الجزائر، 2018، ط 1، ص 54.

² Olivier Zajec , INTRODUCTION A L'ANALYSE GEOPOLITIQUE , histoire , outils , methodes, p 46 .

الفصل الثاني : نشأة الجيوسياسة قبل الحرب العالمية الثانية

الألمان يعود إلى كونهم يعتبرون السطح الأرضي عاملا حاسما في التاريخ السياسي للدول ، ويقترح دولابلاش النظر إلى الوضع المكاني الجغرافي على أنه احتمال أو إمكانية يمكن أن تُفعل لتغدو عاملا سياسيا حقيقيا ، و يمكن أن لا تُفعل ، و هذا ما يرتبط إلى حدود بعيدة بالعامل الذاتي - بالإنسان ساكن ذلك المكان .¹

لقد أخذ علماء مدرسة هاوشهوفر إنتقاد دي لابلاش لهم أنه مهم و عليهم تداركه ، وبالتالي أدخلوا دور العامل الإثني و العرقي في نظهم للتاريخ السياسي للدول . وإستقبلت بوسيبيليزم دي لابلاش من طرف غالبية المدارس الجيوسياسية على أنها تصحيح للحتمية الجغرافية الصارمة لدى من سبق من الجيوسياسيين .²

يرى دولابلاش في كتابه فرنسا الشرق **la France de l'est** الذي نشر لأول مرة سنة 1917 أنه إذا كانت ألمانيا تُعتبر المركز بالنسبة لأوروبا ، فإن روسيا هي أيضا مركز لهذه المنطقة و بدون مقارنة فهي أكبر بكثير و تعتبر كذلك مركز ما يسميه الجغرافيين المنطقة الأوراسية فهي بذلك تتحكم في الطرق الصينية و تملك موارد زراعية كبيرة وصناعية و تعتبر مالكة لأكبر الإحتياجات في العالم ، و هنا يجب أخذ بعين الإعتبار التناقض بن سياستين : أولهما السياسة التي تدعو إلى عزل روسيا عن أوروبا، و ثانيهما هي سياسة إستقطاب روسيا و جذبها بإمميزات إلى المجتمع الأوروبي لوقف فكرة الشرق الأقصى .³

¹ - ألكسندر دوغين ، أسس الجيوبوليتيكا - مستقبل روسيا الجيوبوليتيكي ، ترجمة عماد حاتم ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 2004 ، ص 103 .

² - نفس المرجع ، ص 103 .

³ Paul Vidal DE LA Blache , La France de l'Est , paris , armand colin , 1918 , p 213 .

الفصل الثاني : نشأة الجيوسياسة قبل الحرب العالمية الثانية

وبهذا يعتبر دولابلاش أول مؤلف لكتاب يدخل ضمن الجيوسياسة في فرنسا من خلال كتابه فرنسا الشرق و من خلاله يبرهن على شرعية إنتماء الألزاس و اللورين لفرنسا بمنطلق جيوسياسي ما أعطى توجهه و نظرة جيوسياسية لفرنسا حول الأحداث العالمية ورد على الجيوسياسيين الألمان الذين أرادوا أن يجعلوا من فكرهم التوسعي بمثابة حرب عادلة أسسوا لها نظريات بدأت بالمجال الحيوي مثلما تطرقنا إليها من قبل في المدرسة الألمانية، ومن فيدال دولابلاش أسست فرنسا رد أكاديمي منهجي للنظريات الألمانية الجيوسياسية .

وبذلك فإن التوجه الفرنسي كان يسير عكس ما دعا إليه راتزل و المدرسة الألمانية بصفة عامة على أن الدولة مثل الكائن الحي تنمو و تكبر و تتوسع على حساب الدول المجاورة و بأنها ضرورة حتمية و أن حجمها يعكس قوتها ، فهنا تناقضها المدرسة الفرنسية في أن الجيوسياسة هي ليست هيمنة شعب على الشعوب الأخرى أو على حساب مناطق الدول الأخرى ، متهمة النظام النازي بإستغلاله الجيوسياسيين الألمان في إضفاء الشرعية و التنظير لإيديولوجيته الخاصة . وهو ما يعتبر نقد لنظرية المجال الحيوي لراتزل .

فنظرية الممكن لفيدال دولابلاش ترى أن الإنسان – القائد السياسي هو من يجعل من الجغرافيا مهمة أو لا ، فإمكانية القائد أن لا يفعل الجغرافيا و لا يستثمر فيها بالمعارف العلمية و بالتالي لا تكون لها أهمية مثل مصر لو لم تقم بحفر قناة السويس لما أصبح لها كل هذه الأهمية بعد حفر القناة ، كذلك إكتشافات الموارد الطبيعية في

الدول كالبترول في الشرق الأوسط جعل من تلك الجغرافيا أهمية كبيرة ، فيرى دولابلاش أن إمكانية الإنسان في تفعيل الجغرافيا من عدمه هو أولوية الجيوسياسة و الإنسان هو من يتحكم فيها و ليست الجغرافيا من تتحكم في الإنسان. فهذا يوحي إلغاء فرنسا لفكرة التوسع داخل أوروبا لكنه لا يلغي فكرة الإستعمار خارج أوروبا، إلا أنّ دولابلاش لم يكن يلقي إهتمام من قبل الجيوسياسيين و الأكاديميين الفرنسيين فلا يمكن إغفال أنّ في هذه الفترة كانت لفرنسا عدة مستعمرات في أفريقيا و آسيا.

جاك أنسل Jacques Ancel 1882 . 1943

شارك في الحرب العالمية الأولى و أصيب خلالها ثلاث مرات ، و كان في الجهة الشرقية لأوروبا و بذلك إعتبر بكونه من كبار المتخصصين الأوروبيين في البلقان، كتب حول الشعب و الأمة البلقانية¹ في 1926 . و بدون أن يتعد عن تكوينه الجغرافي فقد ذهب إلى إنشاء أول درس فرنسي حول الجيوسياسة بتدعيم من المعهد الأمريكي carengie² و مع جغرافيين سياسيين آخرين كأندري شيرادام .¹

¹ Peuples et nation des balkans : géographie politique

² معهد كارنيجي للسلام الدولي أسسها أندرو كارنجي في 1910 مكرسة لتعزيز التعاون بين الدول ، و تعمل على تحقيق نتائج عملية من خلال الأبحاث و المنشورات و عقد الاجتماعات و أحيانا انشاء مؤسسات جديدة و شبكات دولية، يصوغ الباحثون في المؤسسة مقاربات جديدة حول السياسات تشمل اهتماماتهم مختلف المناطق الجغرافية و

الفصل الثاني : نشأة الجيوسياسة قبل الحرب العالمية الثانية

ولقد شن حرب فكرية ضد النظريات الألمانية و بالتالي فقد سعى لبناء فكره الجيوسياسي حول فكرة الحدود بإعتبارها مادة من فعل الإنسان و ليس فقط ميراث طبيعي للجغرافيا، فبالنسبة له العوائق الطبيعية كالجبال و الوديان و الأنهار و البحار ليست بالضرورة هي من تحدد الحدود و نهايات الدول، و بذلك يعتبر رد على نظريات فريدريك راتزل وعلى النظريات الألمانية عموما .²

و كتب عدة مؤلفات يتحدث فيها عن فيدال دولابلاش منها **جيوبوليتيك** سنة 1936، و كتاب **جغرافية الحدود** سنة 1938 ، و كتاب **دليل جغرافية السياسة الأوروبية**³ سنة 1940، ينتقد خاصة الجيوسياسة الألمانية لكارل هاوش هوفر الذي كان يتبادل معه الرسائل و نقاش كبير حول الحدود بين فرنسا و ألمانيا و بذلك يعلن الخطر من ناحية الحدود الألمانية، إلا أن ألمانيا النازية في هذه الفترة تقدمت و سيطرت على أوروبا و سياساتها.⁴

ولقد كان أنسل يدافع على الحدود الفرنسية و لم يكن من المتفرجين على المشهد السياسي الذي كانت تدعو إليه ألمانيا على كون الألزاس و اللورين مقاطعتين ألمانيتين بل رد على أعمال هاوش هوفر و وصف أعماله أنها أطماع ألمانية على مناطق لا غبار

العلاقات بين الحكومات و الأعمال و المنظمات الدولية و المجتمع الأهلي مع التركيز على القوى الاقتصادية و السياسية و التكنولوجية التي تحرك التغيير العالمي .

¹ Olivier Zajec , INTRODUCTION A L'ANALYSE GEOPOLITIQUE , histoire , outils , methodes , Edition du rocher , Monaco , France , 2018 , p 48 .

² Ibid , p 48 .

³ Manuel géographique de politique européenne .

⁴ -L'indispensable de la géopolitique, sophie chautard, groupe studyrama-vocatis, France 2009 sans édition, p 30 .

الفصل الثاني : نشأة الجيوسياسة قبل الحرب العالمية الثانية

على كونها فرنسية . و يُعتبر كتابه **جغرافية الحدود** لحد اليوم من كلاسيكيات الجيوسياسة في الوسط الأكاديمي و البحثي بصفة عامة .
لكن من جهة أخرى فقد أشاد أنسل بالقيمة العلمية و الجيوسياسية الألمانية كما أشاد بالمزايا الأكاديمية لهاوش هوفر أيضا ، و يختلف معه في النتائج العلمية التي تستولدها توجهاته الجيوبوليتيكية مما جعل أنسل يُعتبر أن الجغرافيا و الجيوسياسة الألمانية تتميزان بالعدوانية المفضوحة إتجاه فرنسا على إعتبار أنهما تقدمان التبريرات التي تُلزم الرايخ الثالث للهجوم عليها لإنتزاع الألزاس و اللورين منها .¹

-لم تكن الجيوسياسة الفرنسية بالقوة التي شهدتها المدارس الألمانية و الأنجلوساكسونية بل كانت تحمل تحفظا كبيرا إتجاه هذا العلم الذي أصبح بارزا عند القوى العالمية الكبرى ومحل إهتمام كبير في أعلى هرم السلطات داخل الدول ، فكانت الجيوسياسة الفرنسية دفاعية أكثر منها هجومية إستراتيجية و محلية أكثر منها عالمية فبقيت مساهمتها محدودة في هذا المجال قياسا مع نظيراتها في الدول المجاورة و تأثرت أكثر مما أثرت في تلك الحقبة .
وفي هذا يرى الجغرافيون اليوم و في طليعتهم إيف لاکوست الذي سنتطرق إليه لاحقا، أن الجغرافيا السياسية الفرنسية قد إرتكبت خطأ منهجي منعها فيما بعد من تكوين جيوسياسة رائدة، كما يرى لاکوست أيضا أن الحذر الذي أبدته الجغرافيا الفرنسية حيال ما هو سياسي في مواجهة ما كان يُطرح عليها من إشكاليات ساهم مع غيره من الأمور

¹ - معين حداد ، الجيوبوليتيكا - قضايا الهوية و الإنتماء بين الجغرافيا و السياسة ، شركة المطبوعات للتوزيع و النشر، بيروت ، لبنان ، الطبعة الاولى 2006 ، ص 49 .

الفصل الثاني : نشأة الجيوسياسة قبل الحرب العالمية الثانية

بوصولها إلى مأزق إستيمولوجي لم يجر العمل على الخروج منه سوى في الربع الأخير من القرن العشرين.¹

المطلب الرابع : المدرسة الروسية

لم تكن روسيا بمعزل عن العالم عامة ولا عن الفكر الجيوسياسي خاصة ، و التي كانت لاعب أساسي تقريبا في كل النظريات الجيوسياسية، خاصة و أن موقعها الجغرافي إستراتيجي بإمتياز و ذات مساحة جغرافية شاسعة و بكونها تملك قوة عسكرية فعّالة تجعلها تطمح إلى دور الرّيادة في العالم و كان لها بذلك مفكرين جيوسياسيين قدموا نظريات من أجل تصور شامل للعالم و من أجل القومية الروسية التي أرادوها أن تكون ذات شأن مميز على المسرح العالمي .

بيوتر نيكولايتش ساقيتسكي 1895 – 1968

يُعتبر ساقيتسكي من مؤسسي الجغرافيا السياسية الروسية و التي من خلالها بيّن الأهمية الجغرافية الروسية على المشهد العالمي و كذا خصوصيتها البشرية و العقائدية، من خلالها منح تصور جيوسياسي لروسيا في مواجهة القوى الأوروبية الأخرى .

كان ساقيتسكي مختصا في الإقتصاد ، و كان قريبا من الحزب الدستوري الديمقراطي، حزب البرجوازية الليبرالية في روسيا من 1905 إلى 1917 و هو حزب يدعو إلى

¹ - معين حداد ، الجيوبوليتيكا - قضايا الهوية و الإنتماء بين الجغرافيا و السياسة ، شركة المطبوعات للتوزيع و النشر، بيروت ، لبنان ، الطبعة الاولى 2006 ، ص 50 .

الفصل الثاني : نشأة الجيوسياسة قبل الحرب العالمية الثانية

الملكية الدستورية البرلمانية و قد أوقف الحزب نشاطه بعد الثورة البلشفية التي قادها لينين، ثم هاجر ساقيتسكي بعد الثورة إلى بلغاريا ثم إلى تشيكوسلوفاكيا حيث ترأس بدءاً من عام 1921 حركة سياسية ذات منحى قومي و مناوئ للشيوعية السوفياتية عرفت بحركة الأوراسيين في إشارة إلى روسيا و إمتداداتها الآسيوية.¹

لقد إزدادت قوة لينين في روسيا بعد نجاحه في الثورة البلشفية أكتوبر 1917 و بذلك ترأس الدولة الروسية الجديدة من 1922 إلى حين وفاته سنة 1924 إلا أنه قبل سنتين من وفاته أي في 1922 عين جوزيف ستالين أميناً عاماً للحزب الشيوعي و تم تأسيس الإتحاد السوفياتي ، و بعد وفاة لينين في 1924 إستولى ستالين على الحكم و أزاح كل منافسيه خاصة تروتسكي الذي كان الرجل الثاني الأقوى في روسيا أثناء حياة لينين حيث طرده من الحزب سنة 1927 ثم نفاه إلى تركيا في 1929 و في 1940 أرسل عميل إلى المكسيك و أمره بقتله ، و كان ستالين قاسياً حتى مع مقربيه و من ساعدوه للوصول للحكم و سجن الكثير منهم حتى لا ينافسه أحد ، لكن كان له الدور الأكبر في الحرب العالمية الثانية في صمود الإتحاد السوفياتي و من ثم هزيمة هتلر، إلى أن توفي جوزيف ستالين في 1953 .

رغم الروح الوطنية لساقيتسكي إلا أنه لم يؤيد الحكومة الروسية و ظل على خصومة معهم رغم قيام الثورة البلشفية و ما لحقها من أحداث .

¹ - معين حداد ، الجيوبوليتيكا - قضايا الهوية و الإلتواء بين الجغرافيا و السياسة ، شركة المطبوعات للتوزيع و النشر، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى 2006 ، ص 67 .

الفصل الثاني : نشأة الجيوسياسية قبل الحرب العالمية الثانية

و عندما دخلت الجيوش السوفياتية براغ عام 1945 أُلقت القبض عليه و قضى في الإعتقال عشر سنوات ، أفرج عنه بعد ذلك و عاد إلى براغ سنة 1956 و بقي فيها حتى مماته بعد إثنتي عشر سنة .¹

تأسست أفكار ساقيتسكي حول خصوصية روسيا القارية حيث يميزها موقعها الجغرافي الإستراتيجي و تاريخها الحضاري و تنوعها الثقافي فهي تتمتع بمقومات تجعلها قوة عالمية مركزية بإمتياز .

حيث كتب ساقيتسكي في إحدى مقالاته التي تحمل عنوان " الأسس الجغرافية و الجيوبوليتيكية لأوراسيا " سنة 1933 ما معناه أن لروسيا أسبابا عديدة لتشكّل دولة متوسطة و إذا كان توسط ألمانيا يتحدد بالنسبة للقارة الأوروبية فإن روسيا تحتل الموقع المركزي للقارة الأوراسية ككل، أي القارة المؤلفة من أوروبا و آسيا، فيرى أن موقعها هو أساس تفردتها التاريخي و الحضاري ، فهي ليست جزء من أوروبا و لا إمتدادا لآسيا بل هي عالم مستقل بذاته و بالتالي واقع جيوبوليتيكي يسميه ساقيتسكي بـ " الأوراسيا " .²

يبني ساقيتسكي رؤيته الجيوسياسية لروسيا على أساس ما تحمله هذه الأخيرة من تاريخ عريق حامل للعديد من الحضارات و بمكونات و طاقات بشرية و عرقية خالصة الآرية و السلافية و البدوية و التاتارية و متعددة الثقافات و التقاليد الأرثوذكسية و الروح

¹ - معين حداد ، الجيوبوليتيكا - قضايا الهوية و الإنتماء بين الجغرافيا و السياسة ، شركة المطبوعات للتوزيع و النشر، بيروت ، لبنان ، الطبعة الاولى 2006 ، ص 68 .

² - معين حداد ، الجيوبوليتيكا - قضايا الهوية و الإنتماء بين الجغرافيا و السياسة ، شركة المطبوعات للتوزيع و النشر، بيروت ، لبنان ، الطبعة الاولى 2006 ، ص 68 .

الفصل الثاني : نشأة الجيوسياسة قبل الحرب العالمية الثانية

المغولية مما يكسبها التفوق الروحي لروسيا " الأوراسيا " و يشير ساقيتسكي إلى أن إسم روسيا يحمل جزء من أوروبا و هو " رو " و جزء من آسيا و هو " سيا " و هذا ما يبرز التجسيد لقارتي أوروبا و آسيا في دولة واحدة هي روسيا " الأوراسيا " .

يقول ألكسندر دوغين الذي عمل رئيس خبراء الجيوبوليتيكا في المجلس الإستشاري لشؤون الأمن القومي الروسي بين 1998 و 2003 و الذي سنتطرق إليه لاحقا : "أنّ ساقيتسكي في مفهوم الأوراسيا لا يعني أرض ولا قارة بل فكرة إنعكست في المجال الروسي و الثقافة الروسية ، إنها مقياس تاريخي و حضارة خاصة ، و من القطب الروسي يفتلذ نظرية تتماهى بكيفية صارمة مع لوحة ماكندر الجيوبوليتيكية و التي يعتبرها المحور الجغرافي للتاريخ و الشبيهة بالمجال الحيوي RAUM لراتزل " ¹ .

كما أنه قد كتب ساقيتسكي مقال " السهب و الإستقرار " في سنة 1922 فيقول "لو لا التترية لما كانت روسيا " التي كانت المعادلة الأهم بالنسبة للأوراسية ، و من هنا يأتي الإنتقال إلى إقرار جيوبوليتيكي صرف : " فلنقل بصراحة : الإحساس الأوروبي الغربي بالبحر يقابل على مدى التاريخ العالمي بإحساس منغولي مكافئ وحيد و إن كان قطبيا - بالبر ، بينما يستقر في أعماق الروس (عابري الأرض) في مدى فتوحاتهم و إستصلاحاتهم الروسية نفس تلك الروح ، نفس الإحساس بالبر " ² .

¹ - ألكسندر دوغين ، أسس الجيوبوليتيكا - مستقبل روسيا الجيوبوليتيكي ، تعريب عماد حاتم ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، لبنان ، ط الاولى ، 2004 ، ص 128 (صدر هذا الكتاب لأول مرة باللغة الروسية سنة 1999 أركتوغيا تستنتر ، موسكو) .

² - ألكسندر دوغين ، أسس الجيوبوليتيكا - مستقبل روسيا الجيوبوليتيكي ، تعريب عماد حاتم ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، لبنان ، ط الاولى ، 2004 ، ص 129 .

الفصل الثاني : نشأة الجيوسياسة قبل الحرب العالمية الثانية

يسعى ساقيتسكي من خلال هذا الطرح إلى إبراز خصوصية روسيا الجيوسياسية و تميزها عن الثقافة الرومانية والجرمانية ، فبين الاختلاف العرقي المتمثل في السلاف و المغول والتتار ومدى إيمانهم بانتمائهم إلى قوى البر كإيمان الهلال الداخلي في نظرية سيبكمان بقوى البحر ، لقد جسّد ساقيتسكي في تصوره التميز العرقي و الفكري والجيواستراتيجي لروسيا الأوراسيا المتوسطة للقارتين الأوروبية و الآسيوية موضحا غناها الجغرافي بتنوع تضاريسها الغابية و الجبلية و السهوب و غيرها من المميزات المكونة لقلب الأرض حسب تعبير ماكندر .

كما يضيف ساقيتسكي في مقاله أن " روسيا وريثة الخانات العظماء ، متممة أعمال جنكيزخان و تيمورلانك - موحدة آسيا تلتنقي فيها الإستقرارية التاريخية و العفوية السهبية في آن واحد " ¹ .

بهذا يرسخ ساقيتسكي الروح الخاصة بروسيا الأوراسيا تاريخيا و عرقيا و بقوله لو لا التتية لما كانت روسيا، هي إشارة هامة إلى أنه لو لا التتية لكانت روسيا مجرد إمتداد للثقافة الأوروبية الرومانية أو لكانت إمتداد للثقافة الآسيوية و بالتالي ينعدم فيها التنوع ، لقد بيّن ساقيتسكي مزيج الثقافات الأوروبية و الآسيوية في روسيا و التركيب الغابي الأوروبي مع السهوب الآسيوية و بذلك تكونت كتلة قارية خاصة في روسيا الأوراسية ، تحمل في طياتها ازدواجية الروح البدوية الآسيوية من جهة و القيم الحضرية الأوروبية من جهة أخرى .

¹ - ألكسندر دوغين ، أسس الجيوبوليتيكا - مستقبل روسيا الجيوبوليتيكي ، تعريب عماد حاتم ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، لبنان ، ط الاولى ، 2004 ، ص 129 .

الفصل الثاني : نشأة الجيوسياسة قبل الحرب العالمية الثانية

كما أن ساقيتسكي في نظريته عمل على مفهوم " بؤرة التطور " شبيه بمفهوم المجال الحيوي الذي عمل عليه راتزل الذي تطرقنا إليه سابقا ، حيث تطرق ساقيتسكي لبؤرة التطور في النص الذي يحمل عنوان " العرض الجغرافي لروسيا - الأوراسيا " و الذي كتبه سنة 1926 أي بعد إنتهاء الحرب العالمية الأولى و بعد وفاة لينين 1924 و في حقبة إنتقالية لروسيا القيصرية إلى إتحادية ، فكان يسعى ساقيتسكي إلى ترسيخ جغرافيا سياسية لروسيا الأوراسية حسب التطورات التي يشهدها العالم .

يقول ساقيتسكي : " الوسط الإجتماعي - السياسي و أرضه ينبغي أن يتداوبا بالنسبة لنا في وحدة متكاملة في شخصية جغرافية أو سطح جغرافي " ¹ أي أنه يسعى إلى أن تتأسس روسيا في كتلة متكاملة بين جغرافياتها و سكانها و سياستها العامة، في عقيدة واحدة تكوّن بؤرة التطور .

و يقول ساقيتسكي : " التركيب ضروري . لا بد من القدرة على الإحاطة بالوسط الإجتماعي - التاريخي و بالأرض التي يشغلها في نظرة واحدة " . و يقترب في هذا مع الجيوبوليتيكي الفرنسي فيدال دو لابلاش الذي أصّل لعدم تجزأت فرنسا خاصة فيما يخص الألزاس و اللورين .²

و يقول ساقيتسكي " إن روسيا الأوراسيا بؤرة التطور ، وحدة متكاملة ، شخصية جغرافية، وهي في الوقت ذاته سطح جغرافي إثني ، إقتصادي ، تاريخي ... " أي أن

¹ - ألكسندر دوغين ، أسس الجيوبوليتيكا - مستقبل روسيا الجيوبوليتيكي ، تعريب عماد حاتم ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، لبنان ، ط الاولى ، 2004 ، ص 130 .

² - نفس المرجع ، ص 130 .

الفصل الثاني : نشأة الجيوسياسة قبل الحرب العالمية الثانية

روسيا بؤرة التطور تمثل الصيغة التكاملية للعديد من بؤر تطور أصغر أحجما ، أي من مجالات حيوية أصغر حجما، و من خلال مفهوم بؤرة التطور تجنب الأوراسيون الوصفات شديدة التحديد و المتعلقة بالمشاكل العرقية ، الدينية ، الثقافية ، اللغوية و الإيديولوجية، حيث تطلع بذلك ساقيتسكي إلى وعي التكاملية الجماعية و وحدة الكل.¹

و من هنا فإنه كانت لنظرية ساقيتسكي دافع قوي لتصور روسيا الأوراسيا في وحدة متكاملة، و رغم أنه كان في صراع مع القيادة السياسية في روسيا في تلك الحقبة إلا أنه يلاحظ أنه قد إستعملوا مناهجه و نظريته أو أنهم إهتدوا إلى آرائه لأنها كانت موضوعية أو يمكن أنهم إستنتجوها بدون أن يقرؤوا له ، لكن الظاهر أن إطلاق سراحه من السجن سنة 1956 يوحي أن نظريته لقيت صدى لدى الأوساط السياسية في روسيا مما شفع لإطلاق سراحه .

ومن أفكار ساقيتسكي توصل الوطنيون "البلشفيك الألمان" بأن ألمانيا تبدوا توُسُّطِيتها نسبية إذا قيست بتوسطية الروس الثقافية و القارية ، و إنطلاقا من ذلك توصلوا إلى أن ألمانيا لا يمكن أن تتطلع إلى دور التركيب الجيوبوليتيكي و أن عليها أن تختار بين ألمانيا الجنوبية- الغربية الكارهة للسلاف و منها النمسا الكاثوليكية و بين بروسيا الشمالية الشرقية الجرمانية السلافية الإشتراكية المحبة للروس البروتستينية.²

¹ - نفس المرجع ، ص 130 .

² - ألكسندر دوغين ، أسس الجيوبوليتيكا - مستقبل روسيا الجيوبوليتيكي ، تعريب عماد حاتم ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، لبنان ، ط الاولى ، 2004 ، ص 133 .

الفصل الثاني : نشأة الجيوسياسة قبل الحرب العالمية الثانية

أي أنّ ألمانيا يشوبها إنفصال إيديولوجي بارز بين جزئها الجنوبي الغربي الليبرالي و بين جزئها الشمالي الشرقي الإشتراكي و أيضا الإختلاف في ميلهم الثقافي و الديني مما يجعل منها دولة متفرقة و توسطها نسبي لإختلافها الإيديولوجي الداخلي عكس روسيا التي تتوسط القارة الأوراسية و تلاحمها الثقافي و الإيديولوجي و الديني .

فهتلر المعادي للشيوعية و للسلاف كلّف ألمانيا هزيمة كبرى بغزوه مركز قلب العالم الإتحاد السوفياتي الذي لو أبقى على تحالفه معه أن يضمن الهيمنة الألمانية مع السوفيات و يُكتَب تاريخ آخر تشارك فيها ألمانيا بحضور قوي و لا تسقط في العزلة و التقسيم و التهميش مثل ما حصل لها بعد إنحزامها في الحرب العالمية الثانية و التي عانت التقسيم حتى 1989 بسقوط جدار برلين و توحيدها .

الكسندر دي سيفرسكي 1894 Alexander Prokofieff de Seversky

– 1974

ولد سيفرسكي في الإمبراطورية الروسية تبيلسي (جورجيا حاليا) و إلتحق بالمدرسة العسكرية و هو يبلغ 10 سنوات حيث كان والده من أوائل الطيارين الروس و في عمر 14 سنة إلتحق بالمدرسة البحرية و كان قد تعلم الطيران برفقة أبيه و في 1915 أُرسل إلى فرقة الطيران في البلطيق حيث شارك في الحرب العالمية الأولى و في حربه ضد ألمانيا و خلال قصفه أصيب في رجله مما أدى لبتتر ساقه و تركيب ساق إصطناعية ، مما جعل السلطات تحكم عليه بعدم السماح له بالعودة للمشاركة في الحرب . إلا أنه أصر على الرجوع و قد تدخل قيصر روسيا نيكولا الثاني و شارك في المعارك سنة 1916 و نجح

الفصل الثاني : نشأة الجيوسياسة قبل الحرب العالمية الثانية

في عديد المهمات العسكرية إلى أن أصيب بجروح في رجله السليمة الأخرى ، و حاز على أربع ميداليات عسكرية جراء تضحياته الجسام في سبيل روسيا القيصرية .
وبعد مظاهرات أكتوبر 1917 ضد القيصر الروسي ذهب سيفرسكي إلى سيبيريا ومن ثم إلى أمريكا و فضل عدم الرجوع إلى روسيا التي كانت في نظره مفككة جراء الثورة البلشفية .

نظرية القوة الجوية

ظهرت أفكار دي سفيرسكي عام 1950 من خلال كتابه القوة الجوية مفتاح البقاء Air Power: Key to Survival حيث أوضح فيه أفكاره الجيوسياسية و أبعادها على العالم تماشيا و التطورات التكنولوجية و الصناعية في شتى المجالات والذي بدوره إطلع على الأطروحات الجيوسياسية لمن سبقوه خاصة في نظرية القوة الجوية من أمثال الجنرال الإيطالي غوليو دوهيت Giulio Douhet و الجنرال ويليام ميشال .

حيث أكد دوهيت 1869 - 1930 في أوائل العشرينيات على ضرورة التفوق في القوة الجوية في ضوء بروز الحرب الشاملة أو العالمية و أنّ "كل السكان و كل الموارد تمصها معدة الحرب " و أضاف " أن الحروب المستقبلية ستأخذ خاصية الشمولية شكلا و موضوعا " ¹

لقد كانت الثورة الصناعية و التكنولوجية بالنسبة لدوهيت دافعا لأن تكون الحروب المستقبلية شاملة و هو ما إصطلح عليه فيما بعد بالحرب العالمية كما رأى أن كلفة إعداد

¹ - الدكتور خليل حسين، الجغرافيا الاقتصادية و السياسية و السكانية و الجيوبوليتيكا ، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت ، لبنان ، الطبعة الاولى ، 2012 ، ص 761 .

الفصل الثاني : نشأة الجيوسياسة قبل الحرب العالمية الثانية

القوات البرية و الأساطيل البحرية أكبر بكثير من إعداد القوة الجوية و من ناحية أخرى يرى دوهيت أن نتائج و فاعلية و سرعة القوى الجوية أكبر بكثير من القوى البرية و البحرية ، و قد تنبأ بهذا قبل الحرب العالمية الأولى .

لقد طرح دوهيت مجالا جديدا في النظريات الجيوسياسية رغم أنه لم يكن الوحيد الذي أبرز هذا المجال إلا أن عمله كان بالغ التأثير في العديد من المفكرين العسكريين والجيوسياسيين خاصة بعد عرضه لمجموعة من مقالاته في 1927 في كتابه قيادة الجو command of the air مبرزا فيه العديد من المبادئ الإستراتيجية و الفرضيات الجيوسياسية في مجال القوة الجوية .

أما الجنرال ويليام ميشال طيار في القوات العسكرية الجوية الأمريكية 1879-1936 و الذي شارك في الحرب العالمية الأولى ضد ألمانيا و تنبأ مسبقا في 1924 بإحتمالية أن تضرب اليابان بعض القواعد الأمريكية مثل بيرل هاربور و التي حدثت فعلا بعد مرور 17 سنة إلا أن تحليلاته لم تؤخذ بعين الإعتبار في ذلك الوقت .

لقد إعتبر ويليام ميشال أن " الحروب المستقبلية سوف يتم التحكم فيها بواسطة القوات الجوية " و أنّ الإنتصار في الحرب يستدعي تدمير قدرات الدولة المعادية من مصانع و وسائل الإتصال و إمدادات الغذاء ، و أنّه " بحلول عصر القوة الجوية الذي يستطيع فيه الطيران الوصول إلى المراكز الحيوية و تدميرها أو تأمينها ، سيضفي طابع جديد في صناعة الحرب " أي قصف المراكز و المرافق الحيوية .¹

¹ - الدكتور خليل حسين، الجغرافيا الاقتصادية و السياسية و السكانية و الجيوبوليتيكا ، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت ، لبنان ، الطبعة الاولى ، 2012 ، ص 293 .

الفصل الثاني : نشأة الجيوسياسة قبل الحرب العالمية الثانية

لقد تأثر سيفرسكي بمن سبقوه إلا أنه تميز عن دوهيت في أنه كان طيار أي أسس نظريته إنطلاقاً من ممارسته العملية و إضطلاعها الفعلي من الجو لجغرافيا العالم و خلال مشاركته في الحرب العالمية الثانية، و ليس الإكتفاء بالتخطيط النظري عبر الخرائط ، وهو ما كان مختلفاً عن سابقه كدوهيت الذي كان قائد مدفعية ، و رغم أنه تأثر كثيراً بويليام ميشال إلا أنه تميز عنه في أنه منح نظريته طابع جيوسياسي مما كان لها وزن عميق في الدراسات الجيوسياسية بعد التطورات التكنولوجية في مجال الطيران و التي ساهم فيها سيفرسكي بنفسه حيث طور العديد من مزايا الطائرات في شركته الخاصة بصناعة الطائرات في أمريكا . و بالتالي خالف ميشال في لزوم وضع قواعد جوية موزعة عبر العالم خاصة بعد تطوير قدرة الطائرات في قطع مسافات طويلة بدون التزويد بالوقود أو التزويد بالوقود في الجو .

كما نظر للقوة الجوية الأمريكي جورج رينر 1900 - 1955 في كتابه " السلم بالخرائط " الصادر في عام 1944¹ . حيث رأى أن القوة الجوية رابطة بين الهيرتلاند الأوروآسيوي و هيرتلاند أصغر في أمريكا الشمالية عبر المنطقة القطبية و الذي يرى أنه يمكن أن يكون منطلقاً للسيطرة العالمية ، لتمييزه بالقرب المكاني لبعضه بواسطة الطيران وإمكانية النقل البحري و البري أيضاً ، فتتحول بالتالي المنطقة القطبية الشمالية إلى بؤرة للحركة تجعلها مفتاح السيطرة العالمي.²

¹ - G. Rennet, Peace by the Map, New-york 1944.

² - الدكتور خليل حسين، الجغرافيا الاقتصادية و السياسية و السكانية و الجيوبوليتيكا ، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت ، لبنان ، الطبعة الاولى ، 2012 ، ص 760 .

الفصل الثاني : نشأة الجيوسياسة قبل الحرب العالمية الثانية

أيّد سيفرسكي رأي رينر بأن العالم يتضمن قلبين الأول الذي تكلم عنه ماكيندر وحدده بغرب الإتحاد السوفياتي و قلب ثاني موجود في القارة الأمريكية في شرق الولايات المتحدة الأمريكية ، و صوّر خريطة العالم بمنظور عمودي أي ذات مسقط قطبي حيث جعل العالم القديم في الأعلى و المتمثل في أفريقيا و أوروبا و آسيا و جعل الأمريكيتين جنوبا و بينهما القطب الشمالي .

ورأى سيفرسكي أنّ لكل من الولايات المتحدة والإتحاد السوفيتي السيادة الجوية على مساحات واسعة تقع في فلك كل منهما ، كما أن الدوائر التي تحدد نطاق سلطتهما تمتد على مساحات واسعة ، حيث أن الدائرة الأولى مجال السيادة السوفياتية تشمل منطقة أوراسيا ، شرق و جنوب شرق آسيا ، الشمال الأفريقي و منطقة الشرق الأوسط . أما الدائرة الثانية فتمثل مجال السيادة الجوية الأمريكية و هي تشمل غرب أوروبا وأمريكا الشمالية و الجنوبية . وأنّ المنطقة المتقاطعة بين الدائرتين تمثل منطقة حيوية في الصراع على السيادة الدولية بين المتنافسين، و أطلق عليها إسم منطقة القرار أو منطقة المصير *Area of decision* و تشمل أمريكا الشمالية و منطقة القلب الأوراسي و غرب أوروبا و شمال أفريقيا و الشرق الأوسط و شمال شرق آسيا ، و هذه المناطق التي تتداخل فيها القوتين يعتبرها سيفرسكي أهم المناطق الجيواستراتيجية في العالم و مفتاح السيطرة في العالم ، بالتالي يستنتج في نظريته :

. من يملك السيادة الجوية يستطيع أن يسيطر على مناطق تداخل النفوذ الجوي .

. و من يسيطر على مناطق النفوذ الجوي يسيطر على العالم .

الفصل الثاني : نشأة الجيوسياسة قبل الحرب العالمية الثانية

و رأى سيفرسكي أنه لكي تضمن الولايات المتحدة البقاء إذا ما حدثت حرب شاملة، فيجب أن تكون لها السيادة العسكرية الكاملة على تلك المنطقة، حيث قد تشهد الصراع المصيري في المستقبل ، حسب ما هو موضح في الخارطة أدناه .

بالإضافة إلى توسع القوة الجوية الأميركية على الميرتلاند الأوروآسيوي وبالمقابل القوة الجوية السوفيتية على أميركا الشمالية. كما أن منطقتي النفوذ الجوي المذكورتين تتلاقيان وتتصادمان في مناطق أخرى في أوروبا الغربية وشمال أفريقيا والشرق الأوسط. وبالتالي فهذه المناطق، حيث يتداخل النفوذ الجوي للدولتين الجبارتين هي مناطق الحسم في أي معركة بينهما، وبناء عليه فالقوة الجوية لها الدور الحاسم في كسب السيطرة على العالم.¹

لكن البعض رأى أن السلاح الجوي لم يأت ببعث ثالث جديد إنما هو المكمل للسلاح البري وإلى حد ما البحري، اللذين ظلا لهما الدور البارز. مع الإشارة إلى التغيير الجذري في الإستراتيجية الحربية جراء الصواريخ العابرة للقارات فيما بعد .²

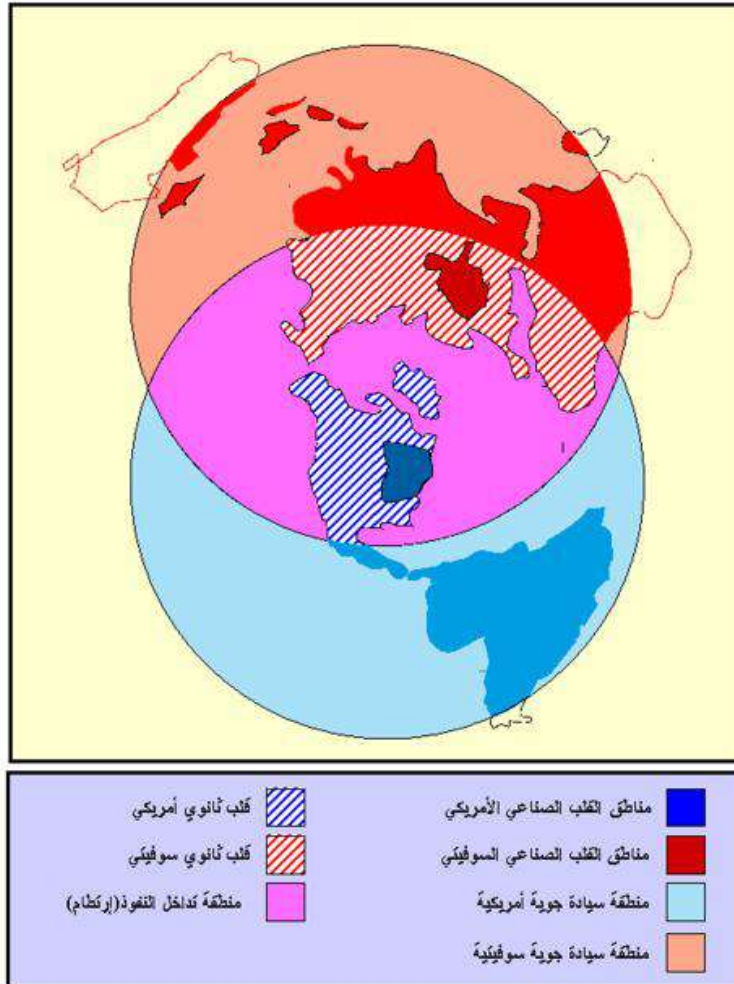
¹ - الدكتور خليل حسين، الجغرافيا الاقتصادية و السياسية و السكانية و الجيوبوليتيكا ، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت ، لبنان ، الطبعة الاولى ، 2012 ، ص 762 .

² - نفس المرجع ، ص 762 .

الفصل الثاني : نشأة الجيوسياسة قبل الحرب العالمية الثانية

خريطة

نظرية القوى الجوية
دي سنفرسكي سنة ١٩٤٤



1

¹ - الدكتور خليل حسين، الجغرافيا الاقتصادية والسياسية والسكانية والجيوبوليتيكا ، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت ، لبنان ، الطبعة الاولى ، 2012 ، ص 761 .

الفصل الثاني : نشأة الجيوسياسة قبل الحرب العالمية الثانية

المبحث الثاني : إبستمولوجيا الجيوسياسة قبل الحرب العالمية الثانية

المطلب الأول : تجليات الجيوسياسة قبل الحرب العلمية الثانية

لقد شهد العالم نهاية القرن التاسع عشر، و النصف الأول من القرن العشرين أحداث كثيرة و متعددة و تطوّر كبير شمل مختلف العلوم و المجالات كان له الأثر الجليّ في حياة الشعوب و مسارات الأمم مما جعل العالم يشهد تغيرات جذرية على عدة مستويات ، سواء في البنى التحتية للدول أو الإتجاهات الإيديولوجية و الصراعات العسكرية والعقائدية والتطورات التكنولوجية ، تزامن ذلك مع نشأة الجيوسياسة و نظرياتها التي كان لها دور فعال في خضم هذه الأحداث و أخذت مكانا خاصا في الأوساط السياسية والإقتصادية و الإجتماعية و الأكاديمية و العسكرية وصولا إلى أعلى مراكز القرار . هذا ما جعلنا نولي إهتماما كبيرا في تحليل الأحداث التاريخية كرونولوجياً مع تطور النظريات الجيوسياسية و دراستها إبستمولوجياً بُغية تحديد سياقها المعرفي و تجلياتها في المسار التاريخي للأحداث العالمية، أي البحث في تطور الوعي الإنساني إتجاه علم الجيوسياسة بدءا من نشأته عبر كامل مراحل تطوره و الدراسة المعرفية و النقدية لنظرياته والبحث عن فرضياته و نتائجها لإكتشاف أسبابها و محرّكاتها و أصلها ومداهها ومناهجها .

فتميز خلال الحقبة الأولى لنشأة الجيوسياسة التي كانت بداياتها الأولى كعلم متفرع عن الجغرافيا البشرية منذ نهاية القرن التاسع عشر إلى غاية الحرب العالمية الثانية حيث شهدت هذه الحقبة تطورات عميقة ميّزت الساحة السياسية العالمية، فتخللتها الحرب

الفصل الثاني : نشأة الجيوسياسة قبل الحرب العالمية الثانية

العالمية الأولى 1914.1918 و تفكك و إنهيار الدولة العثمانية و تقسيم ما إصطلح عليه بتركة الرجل المريض و إنهيار الإمبراطورية النمساوية المجرية و خسائر بشرية لأكثر من 38 مليون نسمة ، إضافة إلى الثورة البلشفية 1917 و إنتهاء روسيا القيصرية و نشأت الإتحاد السوفياتي بإيديولوجيا إشتراكية ماركسية على يد لينين و معاهدة فرساي 1919 التي رمت كل ثقل خسائر الحرب العالمية الأولى على ألمانيا مما جعلها تعاني الأمرين من جهة صعوبة توفير الحياة الطبيعية لشعبها و من جهة أخرى العقوبات الثقيلة المسلطة عليها في إتفاقية فرساي و التي لم تكن أمريكا راضية عليها تماما .

كما أن الركود الإقتصادي العالمي الذي حدث في 1929 كانت له تبعات كبيرة على العالم ، إضافة إلى التنافس على المواد الأولية إشتد بعد التطور التكنولوجي و الصناعي خلال الثورة الصناعية .

هذا إضافة إلى إنشاء عصبة الأمم من أجل الحفاظ على السلام العالمي و السعي لحل النزاعات بالطرق السلمية و التي لم تنجح في كبح الحرب العالمية الثانية 1939.1945 و التي برزت خلاله صراع بين دول المحور و دول الحلفاء هذا لتكوين نظام عالمي جديد كانت ألمانيا هتلر المحرك الأساسي له و إنتهت بخسائر تقدر ب أكثر من 62 مليون نسمة .

و كان من نتائجها إنشاء هيئة الأمم المتحدة إثر انعقاد مؤتمر سان فرانسيسكو في 1945 بمجلس الأمن الذي يكون له دور في السلم و الأمن العالميين و حق النقض الفيتو ، و إعادة جميع البلدان الأوروبية إلى حدودها القديمة .

وعلى عكس الحرب العالمية الأولى لم يطلب المنتصرون بتعويضات من الدول المنهزمة.

الفصل الثاني : نشأة الجيوسياسة قبل الحرب العالمية الثانية

وكان الحدث الأبرز هو ظهور القنبلة النووية و تشكل قطبين أولهما غربي برئاسة الولايات المتحدة الأمريكية و آخر شرقي برئاسة الإتحاد السوفياتي .

المطلب الثاني : إستمولوجيا الجيوسياسة قبل الحرب العالمية الثانية

و إستنادا إلى ما سبق فقد كان للظروف السائدة في تلك الحقبة سمة العالمية و قد إستشرف راتزل هذا التطور الذي سيشهده العالم، و بهذا فكانت التعريفات للجيوسياسة تميل إلى التعريف العسكري أكثر منه سياسي و إلى التعريف المادي لهذا العلم مركزين على الحتمية الجغرافية و هنا يجدر بنا التمييز بين المدارس الألمانية و الأنجلوساكسونية و إلى حد ما السوفياتية التي إتسمت أكثر من المدرسة الفرنسية بهذه الميزة .

فلقد ركّزوا على العامل الجغرافي و الحتمية الجغرافية للنظريات الجيوسياسية بجعل عامل المكان هو المحور الأساسي الذي تدور حوله الصراعات و من خلاله يتم تحديد قوة الدول و عظمتها و أنّ العمليات التوسعية هي حتمية تأتي في سياق أحداث النصف الأول من القرن العشرين و خاصة من المنظرين الألمان الذين إستشرفوا لألمانيا كقوة يجب إبرازها و أن الحروب العالمية لا مفر منها .

و أن الجغرافيا تؤثر في صانع القرار الذي قد يَرْتُ حِمْل عليه المحافظة عليه و تطويره إن أمكن، و بالتالي قياس القوة بالأدوات المادية من خلال مدى كون الجغرافيا مستعصية أو سهلة الإختراق و مدى غناها بالموارد الأولية أو فقرها و عدد السكان المنتمين إليها و مدى ترابطهم بعقيدتها و بمصيرهم و مدى تطورهم العسكري و الصناعي و الإقتصادي.

إذا فالدراسة الإستراتيجية للنظريات الجيوسياسية تميّز لنا الحقبة الأولى من النظريات الجيوسياسية مبرزة الطابع الكلاسيكي المادي الوضعي التفسيري الذي يركز على العلوم التجريبية و يفرض نفسه على الإنسان من خلال الحتمية الجغرافية .

و بإعتبار أن النظريات الكلاسيكية هي تفسيرية فقد أراد راتزل و المنظرين الألمان من خلال نظرياتهم أن يرسموا لألمانيا مكانة عالمية تتناسب مع قوتها و حتميتها الجغرافية بنزعة توسعية حيث يجب علينا أن نقرأ الأفكار في زمانها و مكانها التي نشأت فيه، فالإفراط في العقلانية هي التي كانت سبب في الحرين العالميتين. فراتزل يفسر أسباب التوسع و يبرّره و يدعو إليه و يحدّر من عدم التوسع الذي سيؤدي إلى تصور إنهاء الدولة و أن دولة أخرى ستتوسع على حسابها . فالنظريات الكلاسيكية سواء المدرسة الألمانية أو الأنجلوساكسونية كماكندر الذي ركز في نظريته على التفسير الجغرافي للتاريخ كانت بمثابة نظير للقادة السياسيين و منهاج للتنافس و الصراع الحتمي لتلك الحقبة و التحديات التي تواجهها و هذا لطبيعة الجو العام السائد تلك الفترة من المادية المفرطة و كون الإنسان و العقل مركز الكون بعد التفكير الفلسفي الذي أحدثه نيتشه و المنظرين الحديثين في تلك الحقبة .

و بذلك فإن المصطلحات الموظفة من طرف كل مفكر أو منظر أو فيلسوف خاصة في حقل العلوم الإنسانية و الإجتماعية و الفلسفية و السياسية تحمل معاني و دلالات تحدد توظيف كل فيلسوف و مفكر لها و غايته من منها .

الفصل الثاني : نشأة الجيوسياسة قبل الحرب العالمية الثانية

فماكندر بيّن قلب الأرض و مركزها و بذلك يوجّه أمريكا إلى تلك المنطق التي تُشكّل خطورة في حال توحدت ضدها و يقول أن لكل قرن جيوسياسة خاصة به لهذا فقد غيّر من نظريته في تحديد منطقة قلب الأرض ، فقلب الأرض أو مركز الأرض هو منطقة إرتكاز تمنح الدولة إمكانية التوسع و التحكم في العالم و بدونها لا تكتمل مكانتها كقوة عالمية .

و من جهة أخرى رأى سبيكمان رؤية مغايرة لقلب الأرض الذي حددها بالريملاند فهو بذلك يؤيد فكرة الحتمية الجغرافية أي النظرية الكلاسيكية لكن يوضّح لصانع القرار الأمريكي كيفية الغلق على الإتحاد السوفياتي و ألمانيا من خلال السيطرة على حافة الأرض و محاصرتهم و جعلهم كالدولة الحبيسة داخليا.

إنّ هذا التنظير من طرف ماكندر و سبيكمان لقي صدى واسع لدى الأوساط السياسية و العسكرية الألمانية التي كانت تبحث عن تفسير لهزيمة الرايخ الألماني و كيفية الإنتقام من إتفاقيه فرساي المذلة للألمان و الكشف عن الإستراتيجية البحرية ذات الأهمية الواسعة .

نستنتج من الدراسة الإستمولوجية أنّ الجيوسياسة تخطط مسار توجهات الدول و تطوّر القطاعات الحيوية لها، فالدول ذات العقيدة البحرية التلاسوكراتيا (أمريكا بريطانيا اليابان) تطوّر أسطولها البحري العسكري و حتى التجاري ، لتبسط سيادتها على البحار و بالتالي على الريملاند حافة الأرض . أما الدول القارية ذات القوة البرية التليروكراتيا (روسيا ، ألمانيا) فتطوّر جيشها و عتاها البري أساسا ، و بالتالي

تُطور طرقاها البرية و ماكينات النقل بما في ذلك القطارات و مختلف وسائل النقل البرية لتبسط سيادتها على الهيرتلاند قلب الأرض .

يجدر بنا التنويه أن أرسطو لاحظ أهمية الجغرافيا و علاقتها بالسياسة في كتابه السياسة الذي أكد فيه بأنّ موقع اليونان الجغرافي في الإقليم المعتدل المناخي قد أهل الإغريق إلى السيادة العالمية على شعوب الشمال الباردة و الجنوب الحار و كذلك هيرودوت المؤرخ اليوناني قديما أكد ذلك . ثم شهد العالم عديد الإمبراطوريات أي عديد الهيرتلاند " الفرس ، الإغريق ، قرطاج ، الرومان ، بيزنطا، إسبانيا، البرتغال ، فرنسا، إنجلترا ، ألمانيا ، حيث رأى جيمس فيرجيف أن هذه الإمبراطوريات بموقعها و أوضاعها الجغرافية الخاصة مكن شعوبها من أن يُطوّروا و يُنمّوا موارد بلادهم المحلية أولا ثم التوسع بعد ذلك إلى أقاليم خارجية أقل نموا و تطورا¹ .

إلى ذلك، سجل صاحب مدرسة الحوليات الفرنسية في التاريخ وصاحب كتاب : البحر المتوسط والعالم المتوسطي في عصر فيليب الثاني، فرناند بروديل، أنّ عوامل التربة الفقيرة والخطرة على طول البحر المتوسط وتمازجها مع مناخ لا يمكن توقّعه ومُعرّض للجفاف كان قد حفّز الفاتحين اليونان والرومان قديماً، ما يعني أنّ الشعوب والدول عادة ما لا تتحكّم في مصائرها، فهناك شيء أكبر من الرغبات والخطط

¹ - محمد رياض ، الأصول العامة في الجغرافيا السياسية و الجيوبوليتيك ، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة ، القاهرة ، مصر 2014 ، د ط ، ص 53 .

العقلانية، شيء يدفع إرادتهم إلى هذا الإتجاه أو ذاك، وهي الجغرافيا وما إنطوى تحتها من تضاريس وتراب وحدود مع الجيران.¹

للجغرافيا دور حاسم في تحديد التوجّهات الكبرى للسياسات الخارجية للدول عبر التاريخ، فسلوك الدولة سلماً أو حرباً، تحدده الجغرافيا في كثير من الأحيان لعلّ المثال الأبرز في التاريخ الحديث هو ذلك المتعلّق بالتوجه البري القاري لألمانيا التوسعية منذ الحرب العالمية الأولى² فألمانيا التي لا تحميها سلاسل جبلية مستعصية و لا بحار ممتدة عبر كامل حدودها جعلها عُرضة للتدخلات الخارجية فكان لزاماً عليها تطوير جهازها العسكري . فالنزعة الأوتوريتارية الدكتاتورية الشمولية التي تنامت مع هتلر ترجع أساساً إلى «لعنة الجغرافيا» التي جعلت من ألمانيا دولة حبيسة مُحاطة بالأعداء والمتربصين، الأمر الذي يجعل صانع القرار هناك مهووساً بالأمن وزيادة التسلّح وجمع السلطة بين يديه لضمان وحدة الرأي والأرض .

و من ناحية أخرى فليكون بريطانيا آمنة من جيرانها حيث تحدها فقط المياه فقد تمكنت من تطوير نظام ديمقراطي قبل الدول الأوروبية الأخرى ، و هنا يقول ألكسندر هاملتون " لو لم تكن بريطانيا جزيرة ، لكانت مؤسستها العسكرية بنفس عجرفة مثيلاتها في القارة الأوروبية ، و أنّ بريطانيا كانت في جميع الاحتمالات ستكون ضحية السلطة المطلقة لرجل واحد "³ .

¹ - «Importance of Geography in World Politics,» *The Montréal Review* (1 June 2009), <<https://bit.ly/2TyvH97>> .

² - جلال خشيب ، الجيوبوليتيك في القرن الحادي والعشرين- إنتصار الجغرافيا و عودة عالم ثيوسيديس ، المجلة العربية للعلوم السياسية ، المجلد 19 ، عدد 4 ، 2021 ، ص 89 .

³ - روبرت . د . كابلان ، إنتقام الجغرافيا – ما الذي تخبرنا به الخرائط عن الصراعات المقبلة و عن الحرب ضد المصير ، ترجمة إيهاب عبد الرحيم علي ، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب ، الكويت ، 2015 ، ص 51 .

الفصل الثاني : نشأة الجيوسياسة قبل الحرب العالمية الثانية

فالدول الأكثر أمانا تكون أكثر ديمقراطية و تقدما و إزدهارا أما الدول المحاطة بالمخاطر و الأعداء المتربصين ستكون أكثر شمولية و أكثر إهتماما بالمجال العسكري و زيادة التسليح و التوسع إن لزم الأمر لضمان حماية أكبر .

و الأمثلة كثيرة التي أثرت الجغرافيا على نحو كبير في تحديد مصير و توجه الشعوب والدول ، و هذا ما طرحه أرسطو و هيروودوت و أكدده ابن خلدون و سترابو و فرناند برودل و روبرت كابلن و غيرهم .

من جهة أخرى تأخذنا الدراسة الإبستمولوجية للمدرسة الفرنسية إلى أنها لم تركز على الحتمية الجغرافية و تُنقص من فعاليتها خاصة مع بول فيدال دولابلاش الذي ركز أكثر على عامل الإنسان و جاء بنظرية الممكن ، فميّز بين الجغرافيا في نظر سياسي معين تختلف بالنسبة لسياسي آخر و بالتالي فالقائد له دور كبير في تهميش أرض ما أو استثمارها، و في وضع إستراتيجيات تمنحه القوة أو تؤدي إلى إنهياره . فالجغرافيا عند دولابلاش هي واحدة لكن تختلف من قائد لآخر .

و هنا بدأ مجال ثاني للتحليل الجيوسياسي و هو عامل الإنسان و دور المفكرين الإستراتيجيين في خلق بعد آخر للنظريات الجيوسياسية و التي كانت لها الدور الهام بعد الحرب العالمية الثانية فإنتقلنا من الحتمية الجغرافية إلى بعد آخر هو النسبية الجغرافية و العامل البشري في التحليل الجيوسياسي و هو ما سنتطرق إليه في الفصل الثالث .

الخلاصة :

الفصل الثاني : نشأة الجيوسياسة قبل الحرب العالمية الثانية

و خلاصة القول أن المرحلة الأولى من الدراسة الإستعمولوجية لعلم الجيوسياسة ميّزناها بعوامل ثابتة جعلتنا نحصرها في حقبة زمنية ممتدة من بداية التأسيس أي من نهاية القرن التاسع عشر إلى نهاية الحرب العالمية الثانية ، لكونها مرحلة شهدت جملة من النظريات والمكتسبات المعرفية حسب مستوى التطور العلمي و التكنولوجي و التقني لتلك الفترة ، و كذلك تأثرها بالنظريات و العلوم السياسية و الإجتماعية و الثقافية و الإقتصادية وغيرها .

فالجيوسياسة قبل نهاية الحرب العالمية الثانية ميزتها تأثير الجغرافيا على السياسة بقدر أكبر أي الحتمية الجغرافية طغت على التصورات السياسية لهذا كان للمجال الحيوي الأهمية الأكبر لدى صنّاع القرار داخل الدول ، هذا نتيجة للثورة الصناعية و نقص الموارد الأولية خاصة داخل أوروبا و قلّت الإكتشافات خارجها، و الصراع كان بين الدول حسب الرسم النظري لمؤسسي الجيوسياسة ، فلم تكن النظريات من أجل الإثراء العلمي فقط بل كانت رسائل إلى صنّاع القرار داخل الدولة لتضمن أمنها القومي و إستمرارها كدولة كاملة المعالم و الحدود و إبراز وجودها كدولة قوية في ظل المنافسة العالمية بين القوى العظمى ، و لهذا فإن النظريات الجيوسياسية برزت داخل الدول التي تكتسب إمكانيات بشرية و عسكرية و إقتصادية و جغرافية و سياسية هامة ، لتؤسس نفسها كدولة قوية و عظمى ، في حين لم تنشأ النظريات الجيوسياسية داخل الدول الأخرى المنتشرة في العالم ذات القدرات الضعيفة.

و الجدير بالذكر أن الصراع بين القوى العظمى كان حول قلب العالم الذي رسمه ماكندر أي بين القوى البرية من جهة و حول حافة الأرض الريميلاند التي رسمها سبيكمان من

الفصل الثاني : نشأة الجيوسياسة قبل الحرب العالمية الثانية

جهة أخرى ، و المميز هو بين قوى البر فيما بينها أي بين ألمانيا و الإتحاد السوفياتي ، وبين القوى البر و قوى البحر أي بين ألمانيا و بريطانيا و أمريكا من جهة أخرى ، فخطأ هتلر بفتحه الحرب على جهتين يُمثّلان القوى التاريخية المتصارعة قوى البر و هي التيليروكراتيا التي كانت تمثلها ألمانيا و الإتحاد السوفياتي بإعتبارهما قلب العالم و اللذان كانا يشكّلان حلف من 1939 إلى آخر يوم تم فك التحالف من قبل هتلر في 22 جوان 1941 فالليلة التي تسبقها كان قد أرسل ستالين قطار مملوء بالقمح كمساعدات لهتلر فإستقبلها هتلر و قام بغزو الإتحاد السوفياتي وهذا كان رغم إعتراض هاوشهوفر ، و كان هذا خطأ هتلر الجيوسياسي. ومن جهة أخرى الصراع بين قوى البر ألمانيا و قوى البحر التالاسوكراتية التي تمثلها خاصة بريطانيا و الولايات المتحدة الأمريكية .

و هذا ما نسميه الجيوسياسة الكلاسيكية التقليدية التي ميزها الصراع في المجال البري والبحري و الجوي ، فكانت تحرك هذا الصراع الحتمية الجغرافية ، و لم يعتد بنظريات كارل شميت المجال الكبير الجروسروم ، و لا بنظريات بول فيدال دولابلاش الممكن البوسيبيليزم ، فالجغرافيا كانت تتحكم في مصائر الشعوب .

و هنا فقد المجتمع الدولي الوستفالي تفسيره للدول و الحدود حتى عصبه الأمم لم تكن لها القدرة على حل النزاعات بين الدول خاصة و أنّ آثار إتفاقية فارساي و أثرها على الإقتصاد الألماني كان بالغ الضرر ، و هذا ما لم تستطع ألمانيا تجاوزه فنتج عن ذلك الحرب العالمية الثانية ، و بهذا فقد حُمّلت الجيوسياسة سبب إندلاع هذه الحرب و بالتالي دعت كل الدول المنتصرة في الحرب مقاطعة علم الجيوسياسة سواء من الطبقة السياسية والمفكرين و حتى داخل الأوساط الجامعية الأكاديمية .

الفصل الثاني : نشأة الجيوسياسة قبل الحرب العالمية الثانية

ومما سبق فإن الجيوسياسة ستشهد عائق إستراتيجي خلال مرحلة ما بعد الحرب الباردة يوقفها عن التطور و الإستمرار و هذا لعدة أسباب منها :

- 1 - تحميلها مسؤولية الحرب العالمية الثانية .
- 2 - إعتبار الجيوسياسة عقيدة سياسية خطيرة على الأمن و السلم العالميين .
- 3 - خشية كل من الدول المنتصرة إسترجاع الدول المنهزمة قوتها و خلقها نظريات جيوسياسية تجعلها ترجع كقوة دولية على الساحة العالمية .
- 4 - خشية كل من الإتحاد السوفياتي ستالين و الولايات المتحدة الأمريكية من كشف إستراتيجياتهم المستقبلية في الصراعات القادمة .

الفصل الثالث:

تطور الجيوسياسة خلال الحرب العالمية الثانية و الحرب الباردة

المبحث الأول : الجيوسياسة خلال الحرب العالمية الثانية و الحرب الباردة

المطلب الأول : تجليات الجيوسياسة خلال الحرب العالمية الثانية

المطلب الثاني : الجيوسياسة خلال الحرب الباردة

المبحث الثاني النتائج الجيوسياسية المترتبة عن الحرب الباردة

المطلب الأول : فرانسيس فوكوياما نهاية التاريخ

المطلب الثاني : صامويل هنتغتون صدام الحضارات

المبحث الثالث : الجيوسياسة الافتراضية

المطلب الأول : الجيوسياسة السيبرانية

المطلب الثاني : جيوسياسة الرياضة

المطلب الثالث : الجيوسياسة الشعبية

المطلب الرابع : جيوسياسة المعرفة

المبحث الأول : الجيوسياسة خلال الحرب العالمية الثانية و الحرب الباردة

المطلب الأول : تجليات الجيوسياسة خلال الحرب العالمية الثانية

لقد كانت الحرب العالمية الثانية كارثة عالمية و درس للبشرية جمعاء فبعد أن كانت الحرب أوروبية محضة بدأت بإجتياح القوات الألمانية لبولندا في 1 سبتمبر 1939 إلا أنها توسعت لتصبح أوروآسياوية بدخول هتلر للإتحاد السوفياتي رغم أنه كانت تجمعهما إتفاقية تعاون بين ستالين و هتلر منذ 23 أوت 1939 حيث أراد ستالين الإتفاق مع الألمان ليترك القوى الغربية الأوروبية تتقاتل مع بعض، إلا أنه في 22 جوان 1941 غزا هتلر روسيا و هذا لكون هتلر تصوّر أن أمريكا ستدخل الحرب و يحتاج بذلك مواد خام أكثر، فأراد هتلر أن يحتل روسيا في أسرع وقت و بذلك ستستسلم بريطانيا و لا تدخل أمريكا الحرب أي أنه يستحوذ على قوى البر و بالتالي يتحكم في مركز الأرض و لا يترك المجال لقوى البحر أن تنافسه عليه و بالتالي يتحكم في الجزيرة العالمية و من يتحكم في الجزيرة العالمية سيسيّط على العالم .

رغم أن أمريكا إلتزمت الحياد و رغم دعوات بريطانيا ونستون تشرشل لأمريكا للإنضمام معها في مواجهة ألمانيا هتلر إلا أن الولايات المتحدة الأمريكية ورئيسها الثاني و الثالثون فرانكلين روزفلت رفض التدخل و قرر الحياد رغم قبوله إرسال المعدات العسكرية الأمريكية لبريطانيا إلا أنه رفض مشاركة الجيش الأمريكي في هذه الحرب، لكن سرعان ما تطورت الأحداث بعدها حيث أن عملية الهجوم الألماني على الإتحاد السوفياتي في ما

الفصل الثالث: تطور الجيوسياسة خلال الحرب العالمية الثانية و الحرب الباردة

سمي عملية بربروسا و التي أرادها هتلر حرب خاطفة تسقط خلالها موسكو في ظرف 4 أشهر إلا أنه لم ينجح رغم تقدمه في الغرب السوفياتي لكن بعد إقترابه من موسكو لقي خسائر فادحة في الفترة الممتدة من 6 نوفمبر إلى 5 ديسمبر 1941 و بدأ الهجوم السوفياتي في 6 ديسمبر 1941 .

و بعد هزيمة الألمان في معركة موسكو أطلق اليابانيون هجوم مفاجئ في 7 ديسمبر 1941 على أكبر قاعدة بحرية للولايات المتحدة الأمريكية في بيرل هاربر و هذا لتسيطر اليابان على المحيط الهادي لكن لم تسيطر اليابان على بيرل هاربر، إلا أن اليابان هاجمت المستعمرة البريطانية هونكونغ و القواعد الأمريكية في الفيليبين و دخلوا الصين و بهذا أصبحت الحرب عالمية و دخلت أمريكا الحرب بكل ما أوتيت من قوة و دخلت بجيوشها و ترسانتها العسكرية البحرية و الجوية في المحيط الهادي و في أستراليا و جزر المحيط الهادي و أعطت درسا كبيرا لليابان، كما ساهمت الولايات المتحدة الأمريكية مع دول الحلفاء في مقاومة هتلر ألمانيا و إيطاليا موسوليني بداية شمال أفريقيا و غرب أوروبا و تقديم مساعدات عسكرية لروسيا ، و لقد شاركت في هذه الحرب القوات المسلحة لـ 70 دولة في معارك برية و بحرية و جوية .

ومع بداية إنتصار الحلفاء ولكون الحتمية الجغرافية كانت هي التي تحكم صراع القوى العظمى فإنه قبل إنتهاء الحرب العالمية الثانية إجتمع قادة الدول العظمى المنتصرة، كل من جوزيف ستالين و وينستون تشرشل و فرونكلين روزفلت في مدينة يالطا السوفياتية المطللة على البحر الأسود من 4 إلى 11 فيفري 1945 و هو ما عُرف بمؤتمر يالطا ، و لقد ناقش المؤتمر كيفية تقسيم ألمانيا و كيفية محاكمة أعضاء الحزب النازي و تقسيم برلين

الفصل الثالث: تطور الجيوسياسة خلال الحرب العالمية الثانية و الحرب الباردة

و إجراء إنتخابات حرة في بولندا. وكان الهدف من المؤتمر هو خلق نظام عالمي جديد لضمان السلم ما بعد الحرب وإعطاء الشعوب المحررة حق تقرير المصير ، و لقد كان غياب فرنسا ديغول عن المؤتمر بمثابة طعنة لفرنسا نتيجة للعداوة الشخصية التي كان يكتنها روزفلت لديغول .

كما أنه بطريقة غير مباشرة بعد إنتهاء الحرب قام الإتحاد السوفياتي بتحويل الدول التي كان قد إحتلها في أوروبا الوسطى والشرقية إلى دول تابعة للسيطرة السوفياتية كجمهورية بولندا و المجر و تشيكوسلوفاكيا و ألبانيا و بلغاريا و رومانيا و ألمانيا الشرقية.

و كانت نهاية هذه الحرب مأساوية على العالم أجمع . كما أنه من نتائج الحرب العالمية الثانية التأثير البالغ في جل العلاقات السياسية و الدولية و الدبلوماسية و العسكرية والثقافية و التي كوّنت قطبين بارزين المعسكر الشرقي و المعسكر الغربي و ما ترتب عليه من أزمة الصواريخ الكوبية التي كادت أن تهوي بالعالم إلى دمار شامل .

لقد شهد العالم صراع إيديولوجي كبير ، بين نظام ليبرالي رأسمالي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية و نظام شمولي إشتراكي بقيادة الإتحاد السوفياتي ، إلا أن المجتمع الدولي إستفاد من تجربة فشل عصبة الأمم في تحقيق السلم العالمي و تداركت الأخطاء التي حدثت عقب إنتهاء الحرب العالمية الأولى خاصة معاهدة فرساي و التي لم يمر عليها سوى بعض السنوات حتى إندلعت الحرب العالمية الثانية، و لهذا كان من نتائج الحرب العالمية الثانية تكوين هيئة عالمية تتسم بموضوعية أكبر في تحقيق الأمن و السلم العالميين بقوانين منصفة للشعوب فتأسست هيئة الأمم المتحدة و التي تضمنت مجلس الأمن الذي كان يتكون

الفصل الثالث: تطور الجيوسياسة خلال الحرب العالمية الثانية و الحرب الباردة

من 11 عضو ثم صار 15 عضو منهم 5 دائمين يمتلكون حق الفيتو أو النقض و هذا لتجنب أي حروب عالمية ستكون نهاية العالم على إثرها .

كما إنبثق عن إنتهاء الحرب العالمية الثانية تكوين الإتحاد الأوروبي و حلف الشمال الأطلسي (الناتو) و حلف وارسو و إتفاقية بروتون وودز الجاعلة من الدولار العملة العالمية و إنشاء البنك الدولي و غيرها من المؤسسات العالمية .

لقد شهد العالم تطورات كبيرة في عديد المجالات بعد إنتهاء الحرب العالمية الثانية، سواء في المجال العسكري والإقتصادي والتجاري والصناعي والتكنولوجي والسياسي والإيديولوجي والثقافي والتطورات التكنولوجية والعلمية الهائلة فعلى سبيل المثال لا الحصر بروز القنبلة النووية و الهيدروجينية والتطور في مجال الطيران والسفن والبواخر الحربية والصواريخ طوية المدى إضافة للصعود إلى الفضاء و الأقمار الصناعية والتطور في المجال الإعلامي و الإتصالي .

و لأجل هذه التطورات و التغيرات التي شهدتها العالم في مختلف المجالات فقد تغيرت كذلك التعريفات و المفاهيم في علم الجيوسياسة بحيث إذا إعتبرنا أنّ الطرقات كانت عبارة عن شرايين الدولة و أن الجبال عائق في الحركة الاقتصادية، فقط غير تطور الطيران النظرة الكلاسيكية للجغرافيا و بعض المناطق الصحراوية التي لم تكن محل إهتمام من القادة السياسيين و لا العسكريين و لا حتى من الجيوسياسيين إلا أنه بعد إكتشاف توفرها على الموارد الطاقوية أصبحت تعتبر محرك الإقتصاد العالمي خاصة البترول و بتطور المصانع و وسائل النقل جعل من خرائط الجيوسياسيين تُدرّس من جوانب أخرى لم تكن واضحة المعالم من قبل .

المطلب الثاني : الجيوسياسة خلال الحرب الباردة

لقد تجلت كل النظريات الجيوسياسية الكلاسيكية بعد إنتهاء الحرب العالمية الثانية إذ سارعت الدول المنتصرة و على رأسها الإتحاد السوفياتي و الولايات المتحدة الأمريكية إلى التمركز الإستراتيجي للحفاظ على المكانة العالمية و هذا وفق النظريات الجيوسياسية التي حددت و رسمت مراكز القوة العالمية هذا رغم أن هذه الدول قد حظرت التعليم الأكاديمي للجيوسياسة بإعتبارها فكر توسعي عدائي لا يملك مقومات العلوم النبيلة التي تسعى لرفاهية الشعوب و تطورها و خاصة الجيوسياسيين الألمان الذي كان واضحا تأثيرهم في أعمال هتلر و حتى من خلال كتابه كفاحي، و لذلك فقد شهدت الجيوسياسة عائق إبستمولوجي مع الفكر الجيوسياسي التوسعي خاصة فكرة المجال الحيوي و أن الدولة كائن حي و حتمية التوسع الجغرافي، إلا أنه سرعان ما أعيد مصطلح الجغرافيا السياسية بإعتباره العلم الذي يدرس مقومات الدولة و قوتها لما هي عليه و ليس ما يجب أن تكون عليه خاصة مع المفكر الفرنسي إيف لاكوست.

أسفرت نهاية الحرب الباردة على تقسيم ألمانيا إلى قسمين أساسيين شرقية تحت قيادة الإتحاد السوفياتي و غربية تحت قيادة الولايات المتحدة الأمريكية و بريطانيا و كذلك فرنسا و التي إسترجعت كذلك الألزاس و اللورين .

كما أنّ أمريكا من خلال قصفها لليابان بقنبلتين نوويتين في 6 أوت 1945 و الثانية في 9 أوت من نفس السنة، و التي كان من الممكن أن تكتفي بوحدة إلا أنها أرادت أن تستسلم اليابان لأمريكا و ليس للإتحاد السوفياتي الذي كان قد تقدم في منشوريا، و

الفصل الثالث: تطور الجيوسياسة خلال الحرب العالمية الثانية و الحرب الباردة

كان من الممكن لأمريكا أن ترسل قنابل نووية أخرى في حالة عدم إستسلام اليابان لأمريكا ، إلا أنه في 12 أوت إستسلم الإمبراطور الياباني هيروهيتو لأمريكا قابلا شروطها و التي من أهمها أن لا تنشأ اليابان جيش ياباني و هو ما يسري حتى الآن وتتكفل أمريكا بالدفاع عن اليابان في حالة الإعتداء عليها .

كما سعت أمريكا لإنشاء حلف عسكري هو الناتو أي حلف شمال الأطلسي الذي تأسس سنة 1949 في بلجيكا ب 12 دولة من بينها الولايات المتحدة الأمريكية و بريطانيا و فرنسا و من ثم بدأ في التوسع و الذي أضحي يضم الآن 30 دولة و ما إن إنضمّت ألمانيا الغربية في الحلف سنة 1955 حتى أنشأ الإتحاد السوفياتي حلف عسكري مواجه له هو حلف وارسو الذي إنعقد في وارسو بولندا و إتخذها مقرا له وكان يضم كُلاً من الإتحاد السوفياتي، بولندا، ألبانيا، بلغاريا ، ألمانيا الشرقية، تشيكوسلوفاكيا، جمهورية رومانيا الإشتراكية، المجر . لكن كان من الواضح جليا سيطرت الإتحاد السوفياتي على حلف وارسو كما سيطرت أمريكا على حلف الناتو .

لقد كانت المساعدات الإقتصادية و العسكرية و الأحلاف العسكرية والدعاية الإعلامية والتدخل في الصراعات الإقليمية هي الأسلحة الرئيسية للحرب الباردة التي لم تقتصر على المجال السياسي والعسكري ، بل إمتدت إلى المجالات الثقافية والرياضية والعلمية.¹ لقد إشتد التنافس بين قوى البر و قوى البحر ورغم الإنتقادات التي وُجّهت للجيوسياسة ومنظريها إلا أنّ تجلياتها طُبقت على أرض الواقع خلال الحرب الباردة و ما إن تم حظرها إلا و قد تمّ إعادة إحيائها لكن لتأخذ أبعاد أخرى غير عسكرية تقليدية التي كانت قبل

¹ . مجدي كامل ، أحداث التاريخ الكبرى ، دار الكتاب العربي ، دمشق . القاهرة ، 2012 ، ط 1 ، ص 145

الفصل الثالث: تطور الجيوسياسة خلال الحرب العالمية الثانية و الحرب الباردة

الحرب العالمية الثانية حيث أنّ القنبلة النووية والقنابل الهيدروجينية و الصواريخ الباليستية وتطور مجال الطيران والسفن البحرية والغواصات، جعل من الصراع العسكري التقليدي بين القوى العظمى يؤدي إلى معادلة صفرية تنتهي بنهايتهما و نهاية العالم و هو ما إتضح جليا في أزمة الصواريخ الكوبية في 1962 عندما شعر العالم أنه على حافة الإنجراف إلى الحرب العالمية الثالثة المدمرة للعالم ، فاتّفق الطرفان على نزع الصواريخ السوفياتية من كوبا مقابل أن تنزع الولايات المتحدة الأمريكية صواريخها من تركيا .

إتفاقية بروتون وودز : و هو تسمية مؤتمر النقد الدولي الذي انعقد من 1 إلى 22 جويلية 1944 في بريتون بالولايات المتحدة الأمريكية و قد حضر المؤتمر ممثلون لـ 44 دولة و قد وضعوا برنامج من أجل إسقرار النظام العالمي المالي و تشجيع التجارة العالمية بعد الحرب العالمية الثانية ، و هذا بغية الحد من المضاربة في العملات المالية .

حيث إلّتزمت الولايات المتحدة الأمريكية بتبديل الدولار الموجود لدى المصارف المركزية الأخرى بالذهب على أساس سعر ثابت هو 35 دولار لكل أونصة ذهبية.

أصبح الدولار بموجب هذه الإتفاقية هو عملة الإحتياطي الدولي ، لقد ربح الدولار بذلك مكانة عالمية و تفوّق منقطع النظير عن العملات الأخرى و نتج عن المؤتمر إنشاء صندوق النقد الدولي FMI ، و البنك الدولي BM ، و الإتفاقية العامة للتعريف الجمركية و التجارية GATT للتخفيف من قيود التجارة الدولية .

و ما إن لم تستطع أمريكا الوفاء بإلتزاماتها إتجاه سعر الدولار المحدد بالذهب حتى كانت صدمت نيكسون في 1971 حيث أعلن رئيس الولايات المتحدة الأمريكية إلغاء التحويل الدولي المباشر من الدولار الأمريكي إلى الذهب ، أي إلغاء تغطية الدولار

الفصل الثالث: تطور الجيوسياسة خلال الحرب العالمية الثانية و الحرب الباردة

بالذهب و بالتالي جعل من نظام بريتون وودز غير فعال ، و بحلول عام 1973 تم إستبدال بريتون وودز بحكم الأمر الواقع أي تعويم الدولار الذي لا يزال العمل به قائما إلى اليوم ، إلا أنه تم الإتفاق مع الدول المصدرة للبترول خاصة السعودية و دول الخليج ببيع البترول بالدولار و هو ما سمي بإتفاق البتروودولار ، و إستمر تفوق الدولار ليشمل جميع المعاملات التجارية العالمية و إستمر الدولار الأمريكي في كونه عملة الإحتياط الدولية التي تحتفظ به الدول كإحتياطي صرف مقابل عملاتها ، و إستمر هذا طويلا إلا أنه في 2022 و مع تفاقم الأزمة الروسية الأوكرانية و العقوبات الإقتصادية الغربية ، تسعى الدول المصدرة للبترول لبيعه بعملات أخرى غير الدولار على غرار روسيا ، ساعية إلى كسر هيمنة الدولار .

كما أنه شهدت الحرب الباردة عديد الأحداث الكبرى المنشئة للنظام العالمي لتلك الحقبة ، كإنشاء دول عدم الإنحياز من خلال مؤتمر باندونغ ، إنشاء حلف وارسو في 1955 و ذلك بعد أن تم ضم ألمانيا الغربية إلى حلف الناتو ، تحالف الصين مع الولايات المتحدة سنة 1971 ، و حل أزمة تايوان بإعتراف الولايات المتحدة بحكومة الصين باعتبارها الممثلة للصين في هيئة الأمم المتحدة و مجلس الأمن بعد أن كانت حكومة تايوان هي ممثلة الصين في الأمم المتحدة ، حرب الخليج الأولى و الثانية خاصة التدخل الأمريكي ضد العراق و سياسة ملء الفراغ أي أن تحل الولايات المتحدة محل كل أماكن تواجد بريطانيا في السابق، في 1959 يأمر ديغول بغلق القواعد العسكرية الأمريكية المتواجدة في فرنسا ، و في فبراير 1960 أول تجربة نووية فرنسية في صحراء الجزائر في رقان ، خروج فرنسا من مجلس الأمن لحلف الناتو بقرار من رئيسها ديغول في

الفصل الثالث: تطور الجيوسياسة خلال الحرب العالمية الثانية و الحرب الباردة

1966 و طرد قوات الحلف من فرنسا و سحب القوات الفرنسية من قيادة الحزب ، لتطوير فرنسا سلاحها النووي و تقليص مصاريف دفع الإشتراكات الفرنسية في الحلف، و لم ترجع حتى فترة الرئيس الفرنسي جاك شيراك ، حرب كوريا الشمالية ضد كوريا الجنوبية و مساندة الولايات المتحدة هذه الأخيرة ، حرب الفيتنام ، حرب دول البلقان كوسوفو و صربيا بالتدخل الأمريكي ، أزمة صواريخ كوبا 1962، الصراع بين فيتنام و كومبوديا ، غزو حلف وارسو لتشيكوسلوفاكيا في 1968 ، حرب الفوكلاند ، إنتشار اللغة الإنجليزية في العالم بإعتبارها لغة العلوم و اللغة الثانية لعدد الدول و لغة التواصل العالمي ، إنتشار القواعد العسكرية الأمريكية عبر العالم في جميع القرارات و المحيطات ، بروز قوى نووية أخرى على غرار فرنسا و الصين و الهند و باكستان و كوريا الشمالية ، و عديد الأحداث الأخرى و إنتهت الحرب الباردة بسقوط جدار برلين و حل حلف وارسو و تفكك الإتحاد السوفياتي ، لترسم خارطة جيوسياسية جديدة للعالم .

إن ما يميّز هذه الحقبة هو ظهور الفاعل السياسي أي القدرة البشرية على تحديد مسارات الحروب و التحكم فيها و خلق توازن القوى بحيث يُتجنب الصراعات الحربية خاصة بين الدول العظمى ، لهذا فإن الحرب الباردة قد تميزت أكثر بصراع إيديولوجي بين المعسكر الشرقي الشيوعي الإشتراكي و المعسكر الغربي الرأسمالي الديمقراطي و رغم أنّ هذا كان تحت تأثير الجغرافيا التي جعلت من القوة القارية المحافظة الدينية إلى تبني النظام الإشتراكي الذي يتناسب معها ، و المعسكر الغربي ذو القوة البحرية المنفتح المبادر المغامر إلى تبني النظام الرأسمالي الحر و النظام

الديمقراطي الذي يتناسب معها، فالدراسة الإستيمولوجية توضح تجلي نظرية الممكن **Possibilisme** لفيدال دو لابلاش أي أنّ العمل البشري هو الذي أضحي يفعل جغرافيته أو يهّمشها ، هذا مع التأثير النسبي للجغرافيا على التوجهات السياسية ، و بالتالي فقد تميّزت الدراسة الإستيمولوجية لحقبة الحرب الباردة بكونها " النسبية الجغرافية " .

إيف لاکوست :

يعتبر الفرنسي إيف لاکوست من أهم الأساتذة الباحثين الجغرافيين و الجيوسياسيين في فرنسا، ولد في مدينة فاس بالمغرب عام 1929 و تعود له مبادرة إعادة إحياء الجيوسياسة في فرنسا و في الأوساط الأكاديمية و العلمية و الإعلامية في العالم بعد أن كانت منبوذة خاصة في أوروبا و يُفسّر إيف لاکوست هذا التهميش و معاداة الجيوسياسة لإرتباطها بالداروينية التي هي نظرية داروين التطورية و البقاء للأصلح التي تم إسقاطها على الجيوسياسة من طرف فريدريك راتزل بإعتبار الدولة مثل الكائن الحي ينمو بالضرورة و يتوسع حسب طاقاته و قوته و إن لم يتوسع فسيتم تقليصه لتتوسع دولة أخرى على حسابه. فهذه النظريات البيوسياسية للجيوسياسة الكلاسيكية حملها الباحثون مسؤولية الحرب العالمية الثانية و أنّ هتلر كانت كل أهدافه و تحركاته بناء على هذه النظريات التي أصبحت إيديولوجيا نازية، أثّرت في صنّاع القرار و داخل الشعوب، و بالتالي كانت نتائجها كارثية على العالم .

الفصل الثالث: تطور الجيوسياسة خلال الحرب العالمية الثانية و الحرب الباردة

فبعد مدة زمنية لا تقل عن 20 سنة أراد لاکوست إعادة إحياء هذا العلم الذي يرى أنه لا يجب أن يُحمّله مسؤولية ما حدث و أن الصراعات و الحروب موجودة منذ الأزل وليس علينا أن نستغني عن الفوائد العلمية للجيوسياسة بل يجب فهمها بالطريقة الصحيحة العلمية الأكاديمية .

إهتم إيف لاکوست بدايةً بدول العالم الثالث فألف سنة 1965 **جغرافيا التخلف géographie du sous-développement** يستنتج فيه أنّ شعوب دول العالم الثالث تنتهج منظور جيوسياسي مرتبط بتجربتهم الخاصة مع الإستعمار ، بحيث أنّهم بمجرد إستقلالهم فإنهم في إنشائهم للدولة الوطنية يطبقون السياسة الإستعمارية الموروثة عن الإستعمار ، و نتيجة لهذا تنشأ و تتأسس الصراعات بين الشعوب و الأمم حول الأقاليم¹.

في 1976 أنشاء إيف لاکوست مجلة هيرودوث ليناقد المسائل السياسية العالمية والمحلية، فقبل هذا كانت الحرب الأمريكية على الفيتنام أي بين إيديولوجيتين مختلفتين ديمقراطية رأسمالية و أخرى إشتراكية شيوعية فكأنها كانت حرب مبررة ضمن صراعات الحرب الباردة بين هاتين الإيديولوجيتين على المستوى العالمي، لكن و بعد عامين أي في 1978 يشهد العالم الحرب الفيتنامية على كمبوديا و الحرب الصينية الفيتنامية 1979، إيف لاکوست يلاحظ أن هذه الحروب هي بين دولتين إشتراكيتين مما يستدعي تفسير جيوسياسي ، كان ذلك مدخل لإعادة إحياء المدرسة الفرنسية الجيوسياسية .

¹ - sophie chautard, L'indispensable de la géopolitique, groupe studyrama-vocatis, France 2009 sans édition, p 36 .

ألف كتاب سنة 1976 الجغرافيا تعمل أولا لصنع الحرب

La géographie ça sert d'abord à faire la guerre

يضع فيه دراسة تحليلية و نقدية للجغرافيا الفرنسية، دراسة إستراتيجية و يضع القواعد الأساسية للهوية ك معرفة إستراتيجية لدى صناع القرار ، و يبيّن أنّ لكل دولة عدة جغرافيات الأولى طبيعية نستفيد منها لمعرفة أكثر بالمحيط و الحياة المدنية، و الثانية جغرافيا لدى صاحب السلطة تساعده لإدارتها و لفهم الإستراتيجيات المتاحة في حالة الحروب الخارجية و أخذ القرارات الصحيحة .

و في سنة 1983 تُدخِل مجلة هيرودوت في تسميتها عنوانا ثانويا هو "مجلة الجغرافيا والجيوبوليتيكا" فتبدأ منذ ذلك التاريخ الحياة الثانية للجيوبوليتيكا و التي يتم الاعتراف بها رسميا كمنظومة علمية سياسية خاصة تساعد على التحليل المتطافر الجوانب للأوضاع السياسية ، و الجيوسياسة لدى لاكوست مجرد أداة لتحليل حالة محددة بعيدا عن نظم علماء الجيوبوليتيكا التقليديين أي " لا عولمة الجيوسياسة" فيراها علم الجيوسياسة الداخلية la geopolitique interne تتناول القضايا المحلية ¹.

يعرّف إيف لاكوست " الجيوسياسة الحديثة على أنها دراسة التفاعلات بين السياسة و الأراضي الأقاليم ، والمنافسات والتوترات التي تحد مصدرها أو تطورها في المنطقة

2 .

¹ - ألكسندر دوغين ، أسس الجيوبوليتيكا – مستقبل روسيا الجيوبوليتيكي ، ترجمة عماد حاتم ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت، لبنان، ط 1، 2004 ، ص 174 .
² - محمد عبد السلام ، الجيوبوليتيكا علم هندسة السياسة الخارجية للدول ، دار الكتب ، بيروت ، لبنان ، 2019 ، ص 211 .

الفصل الثالث: تطور الجيوسياسة خلال الحرب العالمية الثانية و الحرب الباردة

في نظريات إيف لاکوست يرى أن الدولة لا تقاس قوتها بحجم جغرافيتها فحسب كما أن أهمية الدولة هي ليست فقط في موقعها الإستراتيجي من عدمه، أو قدراتها الإقتصادية ؛ بل تكمن قوّة الدولة في قدرات شعبها و صنّاع القرار داخلها. و لنظريته عديد الأمثلة مثل سويسرا فرغم أنها لا تملك جيش و لا موارد أولية كبيرة إلا أنّ إستراتيجيات صنّاع القرار داخلها و كيفية المناورة بين أهميتها و حيادها و تحكّمها في ميادين و مجالات إستراتيجية خاصةً المالية، جعل هتلر لا يغزوها و هذا ليس لقوتها أو إستسلامها و تنازل منها لهتلر على شيء، بل لإستراتيجية خاصة لدى صاحب القرار جعلها موضع قوة إستراتيجي. و مثال آخر عن سنغافورة و قطر و غيرها، إذا ليست الجغرافيا دائما من تحدد قوة الدولة و المتحكمة في مصير الشعوب بل صانع القرار له دور كبير في القوة الإستراتيجية للدولة .

فيرى إيف لاکوست أن الجيوسياسة لا تسعى إلى إستعمار الدول أو التدخل فيها بل إلى تحليل معطيات الدولة داخل إقليمها و كيفية إستثمارها و التحديات التي تواجهها مع الدول الأخرى، فهو يعتبر أن كل دولة تتربع على إقليم ذو معنى خاص يحمل سوسيولوجيا خاصة بها و بذلك تقدم تواجد سياسي و قيمة جماعية لأمتها و قوانين وطنية و تكوين إثني و ديني خاص بها و منه تحدد الدول تحدياتها الخاصة بها .¹

كما إهتم لاکوست بفكرة الأمة فكتب سنة 1997 تحيا الأمة مصير فكرة

جيوسياسية Vive la nation Destin d'une idée géopolitique

¹ - sophie chautard, L'indispensable de la géopolitique, groupe studyrama-vocatis, France 2009 sans édition, p 36 .

الفصل الثالث: تطور الجيوسياسة خلال الحرب العالمية الثانية و الحرب الباردة

فيرى أنه بفعل التحول السريع للعولمة، و تطور ظاهر إقصاء الآخر عن طريق تكوين حركات مختلفة ، و كره الآخر ، فيجب القلق على الأمة و إعادة إحياء الأفكار الأساسية لترابطها.¹ كما ألف العديد من الأعمال الهامة على غرار قاموس الجيوسياسة 1993 و جيوتاريخ أوروبا 1986 ، و الجغرافيا السياسية للمتوسط 2006 الذي يوضح فيه تاريخ الصراعات بين شمال المتوسط وجنوبه و بين شرقه و غربه كذلك التغيرات الجيوسياسية البعيدة عن المتوسط و التي تصل إنعكاساتها إليه سواء من القوى العظمى أو من الشرق الأوسط أو آسيا الوسطى نظرا لأهمية هذه المنطقة الإستراتيجية في النظام العالمي .

يرى لاکوست أنّ كل تنافس على بسط السلطة و السيطرة على منطقة جغرافية ما ، ليس بين الدول فحسب بل بين مختلف أنواع السلطة هو أمر يتصل بالجيوسياسة، كما أن علم الجيوسياسة غير منفصل عن علم التاريخ الذي يتيح لنا فهم كيف آلت الأمور إلى هذا الوضع الجيوسياسي و كل طرف في النزاع يتمسك بقراءته الذاتية للتاريخ، فالتحليلات الجيوسياسية و الطروحات التاريخية هي التي تسمح بتكوين تصورات عن المستقبل الجيوسياسي المحتمل لوضع ما و هذه هي الآفاق الجيوسياسية.²

عزز لاکوست الجيوبوليتيك بمعايير أكثر حداثة و الخاصة بمجتمع المعلومات، و الذي يرى بأن الأهمية العظمى بين النظم المعلوماتية التي تترك أثرها على العمليات الجيوسياسية هي وسائل الإعلام الجماهيرية و التلفزيون بشكل خاص فالتوجهات السياسية

¹ - Ibid , p 36 .

² - إيف لاکوست ، الجغرافيا السياسية للمتوسط ، ترجمة زهيدة درويش جبور ، هيئة أبوظبي للثقافة و التراث (كلمة) ، أبوظبي ، الإمارات العربية المتحدة ، ط 1 ، 2010 ، ص 19 .

الفصل الثالث: تطور الجيوسياسية خلال الحرب العالمية الثانية و الحرب الباردة

والإيديولوجية و الجيوسياسية تصاغ لدى جزء كبير من المجتمع بطريقة إستثنائية عن طريق برامج البث التلفزيوني " الصورة " « Image » الذي تتركز فيه عدة رؤى دفعة واحدة.¹

فمن خلال التلفزيون الذي خلق ثورة في مجال وسائل الإعلام إكتشف لاکوست تأثير وسائل الإعلام عامة و التلفزيون خاصة في توجيه الجماهير حسب التصورات الجيوسياسية المحددة فتؤثر من كل النواحي الإثنية، الثقافية، الإيديولوجية، السياسية، الدينية و الإقتصادية فيوجه الصحفي نقاط تركيزه على الهدف السياسي المحدد و بهذا يكون العمل الإعلامي هو واجهة التصور الجيوسياسي.

فوسائل الإعلام لا تلعب في المجتمع المعاصر ذلك الدور المساعد الذي كان لها في السابق بل تغدو العامل الجيوسياسي المستقل الأوفر قوة و القادر على ترك تأثير قوي على المصائر التاريخية للشعوب و هو ما يسمى الميدياكراتيا.²

كما إهتم بالممول السياسي للسكان و الأرض التي يعيشون عليها فسعى إلى تطوير نظرية الفرنسي أندري زيغفريد 1875-1959 السياسي و الجغرافي الذي يقول (لكل حزب ، و بكلمة أدق ، لكل إتجاه سياسي أرضه المفضلة ، و من اليسر أن نلاحظ أنه مثلما توجد المناطق الجيوسياسية أو الإقتصادية توجد هناك أيضا مناطق سياسية، و يمكن للمناخ السياسي أن يخضع للدراسة كالمناخ الطبيعي).³

¹ - ألكسندر دوغين ، أسس الجيوبوليتيكا - مستقبل روسيا الجيوبوليتيكي ، ترجمة عماد حاتم ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت، لبنان، ط 1، 2004 ، ص 176 .

² - نفس المرجع ، ص 176 .

³ - ألكسندر دوغين ، أسس الجيوبوليتيكا - مستقبل روسيا الجيوبوليتيكي ، ترجمة عماد حاتم ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت، لبنان، ط 1، 2004 ، ص 176 .

الفصل الثالث: تطور الجيوسياسة خلال الحرب العالمية الثانية و الحرب الباردة

وعمل لأكوست على تطوير هذه المدرسة بمنحها بعد جيوسياسي نظرا لأهميتها خاصة في الدول الديمقراطية ، فلم يركز لأكوست على الجغرافيا بقدر تركيزه على صانع القرار والنظم السياسية المحركة للخريطة الجيوسياسية و أيضا على أدوات التأثير الإستراتيجي فيها، على غرار الأحزاب السياسية و وسائل الإعلام و بالتالي فهو يؤسس مقدمة للقوة الناعمة التي أتى بها جوزيف ناي فيما بعد و بالتالي يؤكد لأكوست على النسبية الجغرافية .

المبحث الثاني : النتائج الجيوسياسية المترتبة عن الحرب الباردة

المطلب الأول : فرانسيس فوكوياما نهاية التاريخ

إنّ نهاية الحرب الباردة كانت بمثابة إنتصار كبير للغرب و خاصة الولايات المتحدة الأمريكية ، حيث جعل هذا الإنتصار على الإتحاد السوفياتي بمثابة إشادة بنجاح الإيديولوجية الغربية الديمقراطية الرأسمالية و فشل كل الإيديولوجيات الأخرى خاصة الشيوعية والإشتراكية فرأى فرانسيس فوكوياما بأن هذا الإنتصار هو نهاية التاريخ و يستند على مجموعة من الأحداث الدولية لتوضيح نظريته :

- 1983 - 1989 سقوط عديد الدكتاتوريين في أمريكا الجنوبية منهم بينوشيه .

- 1989 سقوط جدار برلين و توحيد الألمانيتين و ربيع بيكين .

- 1991 تفكك الإتحاد السوفياتي و حلف وارسو و زوال كلّ ما يعنيه المعسكر الشرقي ، صدام حسين يخسر حرب الخليج الثانية .

- 1993 اتفاقية أوسلو بين إسرائيل و فلسطين .

الفصل الثالث: تطور الجيوسياسة خلال الحرب العالمية الثانية و الحرب الباردة

- 1991 إنتصار أمريكا في العراق حرب الخليج الثانية و التهديد بإعادة حرب أمريكية عراقية من جديد .

- 1993 التدخل الأمريكي في الصومال .

تحولّ عديد الدول ذات النظام الشمولي إلى ديمقراطيات ناجحة خاصة في أوروبا الشرقية و عديد دول العالم التي تكون هي الشكل النهائي للنظام العالمي ، فإنتصار الغرب شكّل النظام العالمي النهائي و لم يعد للأمريكان و الأوروبيين ما ينتظرونه من جديد ، فهذا الإنتصار أغلق باب التاريخ و لا جديد ينتظر إلا في حدود بعض التطورات المقتضبة التي لن تتعدى لتصبح حدثا تاريخيا . و أنه حتى لو رجعت الشيوعية و الأنظمة الشمولية فلن تكون لها الشرعية لتصبح نموذج عالمي و لا يمكنها حل المشاكل السياسية و الإقتصادية و الإجتماعية التي يواجهونها و سيكون مصيرها الفشل و الإنهيار .

لكن فوكوياما يرى منافسا للديمقراطية الليبرالية هو الإسلام كإيديولوجيا متجانسة ومنتظمة مع دلالاته الخاصة في الأخلاق و العدالة الإجتماعية و قد هزم الإسلام في الواقع الديمقراطية في أجزاء كثيرة من العالم الإسلامي موجّها تهديدا خطيرا للممارسات التحررية ، و قد شهدت نهاية الحرب الباردة في أوروبا تحديا ساخرا للغرب من العراق الذي يشكّل الإسلام عاملا هاما في تكوينه الإيديولوجي¹ . و دول الشيولوجيا الدينية التي تستند إلى السلطة الإلهية فلها مرادين لا يؤمنون بالديمقراطية بقدر تعلّقهم بالسلطة الدينية و لا يتم تغييرها إلا بإثبات إنحرفها الديني و ليس لفشلها في التسيير المؤسساتي للدولة .

¹ - فرانسيس فوكوياما، نهاية التاريخ، ترجمة حسين الشيخ ، دار العلوم العربية للطباعة و النشر ، بيروت، لبنان، دت، د ط ، ص 11 .

الفصل الثالث: تطور الجيوسياسة خلال الحرب العالمية الثانية و الحرب الباردة

لكن يرى فوكوياما أنه بالرغم من جاذبية الإسلام العالمية إلا أن الحقيقة هو أنه ليس له جاذبية خارج المناطق ذات الثقافة الإسلامية فلا يستطيعون التأثير على شباب برلين أو طوكيو و لا يستطيعون تحدي الديمقراطية الحرة الموجودة في العالم على المستوى النظري أو الفكري ، و في الواقع بات بالإمكان إختراق العالم الإسلامي بالأفكار التحررية .¹ و يرى أنه حتى لو بقيت بعض الأسماء تقاوم مثل فيدال كاسترو أو لينج أو كيم إيل سونج فلا قيمة لها في خضم تاريخ الفكر السياسي و الإقتصادي، أي نهاية الفكر الماركسي .

لقد إنتزع فوكوياما من الأفلاطونية الترسيمية التبسيطية التي أتى بها مؤسس العقلانية الإغريقية أفلاطون ، ليصوّر من خلالها صراع الميول و القيم في ذات الفرد الإنساني ، و إختار جانب الميول أو ما كان قد أطلق عليه أفلاطون إسم التيموس **Thimos** وهذا الجزء الراغب من النفس و الطامح إلى تأكيد الذات و إنتزاع إعتراف الآخرين بها و لقد إعتقد فوكوياما أن هيغل تبنى هذا التيموس معزولا عن بقية قوى النفس و خاصة منها الوعي ، فلم يرى من العملية الجدلية الكبرى للديالكتيك عند هيغل إلا جانب الرغبة في تأكيد الذات و إختزل تاريخ الجدل الهيجلي بنظام سياسي إقتصادي معين هو الرأسمالية الراهنة بإعتبارها أعلى تجسيد للرغبة التيموسية .²

فهو لم يأتي بنظرية فلسفية أو جيوسياسية جديدة بل طرح رسالة سياسية لا إلى صانع القرار الأمريكي أو حلفائه بل إلى دول المعسكر الشرقي و دول عدم الإنحياز و بصفة

¹ - نفس المرجع ، ص 11 .

² - فرانسيس فوكوياما ، نهاية التاريخ و الإنسان الأخير ، ترجمة فؤاد شاهين ، جميل قاسم ، رضا الشايبى ، إشراف مطاع الصفدي ، مركز الإنماء القومي ، بيروت ، لبنان ، 1993 ، د ط ، ص 8 .

الفصل الثالث: تطور الجيوسياسة خلال الحرب العالمية الثانية و الحرب الباردة

عامة الدول التي مازالت تنتهج الإشتراكية و الشيوعية و الأنظمة الشمولية لتغيّر نهجها بإعتبار أنّ أكبر دولة تبنت هذا المنهج قد سقطت و تفككت، و أنّ كل من لم يقتنع بعد سيحذو حذوها إلى الهاوية أي نهاية التنافس الإيديولوجي ، فهو خطاب جيوسياسي يدعو لعولمة الديمقراطية من خلال التخلي عن تأمين وسائل الإنتاج والنضال الطبقي و دكتاتوريات البروليتاريا و إلغاء الملكية العامة لوسائل الإنتاج ... فعلى كل الشعوب إعادة تنظيم أطرها السياسية وفق الأنموذج الجديد لهذا النظام العالمي.

يجب التنويه أنه الآن ليست الديمقراطية هي نهاية التاريخ فلقد صعّدت العديد الأنظمة الدكتاتورية أو الشمولية بعد هذه الأحداث ، كما أنه يدعو إلى تبني مشروع إيديولوجي في عصر إنتهت فيه الإيديولوجيات ، ربما كان من الأخرى تسمية الكتاب نهاية حقبة زمنية و ليس نهاية التاريخ . و هذا ما يطرحه هنتغتون في كتابه صدام الحضارات موضّحا بأن العصر القادم ليس صراع إيديولوجيات بل حروب و صدام بين الحضارات المختلفة ثقافيا و إثنيا و دينيا .

المطلب الثاني : صامويل هنتغتون صدام الحضارات

إذا كان فوكوياما رأى نهاية التاريخ بأنه نهاية الصراع الجيوبوليتيكي بين الشرق و الغرب أي بين القارّيين و الأطلسيين، بين التيليروكراتيا و التلاسوكراتيا أي بين قوى البر و قوى البحر و إنتهت بتفكك القوى القارية لصالح القوى البحرية الغربية، لينتهي التاريخ بتثبيت الأفكار الغربية الديمقراطية الليبرالية الرأسمالية، فتكونت صورة العالم الواحد أي العولمة في ظل القطب الواحد ، و التخلص من كل الإيديولوجيات الأخرى ؛ إلا أنّ

الفصل الثالث: تطور الجيوسياسة خلال الحرب العالمية الثانية و الحرب الباردة

هنتغتون يرد عليه بأن التاريخ لم ينتهي و يستمد أفكاره من كارل شميت بأن الصّراع بين الفرد و الفرد و بين الجماعات و الجماعات و بين المجال الكبير جروسروم لمجموعة معينة و جروسروم لمجموعة أخرى هذا الصدام لا ينتهي، كما نستشف من نظريته حضور أفكار ساقيتسكي من خلال بؤر التطور التي تكون لها تجانس ثقافي وعرقي و ديني و ليس إيديولوجي، فأتى هنتغتون بأطروحة صدام الحضارات و مواصلة العالم لتنافس، وأنّ إنتصار الغرب في الحرب الباردة ليس نهاية التاريخ .

صامويل هنتغتون Samuel p. Huntington

مفكر سياسي أمريكي و بروفييسور في جامعة هارفارد الأمريكية ل 58 سنة، ولد بنيويورك في 1927 و توفي سنة 2008 ، تخرج سنة 1946 من جامعة يال و حصل على الماجستير من جامعة شيكاغو سنة 1948 و دكتوراه في الفلسفة من جامعة هارفارد عام 1951 و عمل خبير في مجلس الأمن الأمريكي للرئيس جيمي كارتر 1976.1980 ، و له عديد المقالات و الأبحاث العلمية و مجموعة من المؤلفات الهامة، و التي ترجمة إلى عدة لغات و لعل أبرز مؤلفاته التي كان لها صدى واسع في الأوساط السياسية و الأكاديمية هو مؤلفه صدام الحضارات .

بداية أصدر هنتغتون مقال صدام الحضارات في مجلة Foreign Affairs سنة 1993 و بعد أن كان لهذا المقال صدى كبير فقد قام بتطوير نظريته و أصدر مؤلفه صدام الحضارات سنة 1996 .¹

¹ - pascal boniface, La Geopolitique , 50 fiches pour comprendre l'actualité, éditions Eyrolles , paris, France, 6eme édition, 2019, p 57 .

الفصل الثالث: تطور الجيوسياسة خلال الحرب العالمية الثانية و الحرب الباردة

يرى هنتغتون أن التاريخ الإنساني هو تاريخ الحضارات و من المستحيل أن نفكر بتاريخ الإنسانية بأي معنى آخر ، إبتداءا من الحضارة السومرية و الفرعونية و الصينية و الهندية و غيرها بحيث ندرس أسباب ظهورها و تطورها و تجلياتها و إنبهارها . و تم إستكشافها من قبل عديد الباحثين و المؤرخين نذكر منهم :

ماكس فيبر، إميل دوركهايم، أوزوالد شبنجلر، أرنولد توينبي، ألفريد فير، كارول كوجلي، فرناند برودل، فيليب فرناندز آرمستو و غيرهم أنتجوا كمًا ضخما من المؤلفات العميقة المكرسة للتحليل المقارن بين الحضارات ، و رغم الإختلافات في المنظور والمنهج و بؤرة الإهتمام و المفاهيم التي تعم تلك المؤلفات إلا أن هناك إتفاقا على الفروض الرئيسية التي تتعلق بطبيعة و هوية الحضارات و قواها المحركة ¹ .

وبين المجتمعات و الأمم الكثيرة التي تركت بصماتها من الآثار المادية و الثقافية و الفنية و الإبداعية، منها ما إكتشفناه و أخرى لا تزال البحوث متواصلة لإستكشافه و هي متعددة، و بغض النظر عن الحضارات التي وجدت في التاريخ و رغم إختلاف الباحثين عن عددها، فإنّ ما يُركّز عليه هنتغتون هي الحضارات التي يراها مؤثّرة و موجودة في عالمنا المعاصر و هي :

الحضارة الصينية (الكونفوشيوسية) تشمل الصين، فيتنام كوريا أي جنوب شرق آسيا، الحضارة اليابانية حضارة الشرق الأقصى ، الحضارة الهندية (الهندوسية) و لقد إنصهرت فيها الحضارة البوذية ، الحضارة الإسلامية تضم الوطن العربي شمال أفريقيا والشرق الأوسط و جزء من آسيا الوسطى و القوقاز و تركيا و جنوب شرق آسيا

¹ - سامويل هنتغتون ، صدام الحضارات إعادة صنع النظام العالمي ، ترجمة طلعة الشايب ، تقديم صلاح قنصوه ، ، سطور ، ط 2 ، 1999 ، ص 67 .

الفصل الثالث: تطور الجيوسياسة خلال الحرب العالمية الثانية و الحرب الباردة

أندونيسيا و ماليزيا و شبه القارة الهندية ؛ وحضارات فرعية كثيرة توجد داخل الإسلام فتضم العربية و الفارسية و التركية و الملايو أرخبيل جنوب آسيا ، الحضارة الغربية¹ تضم أوروبا الغربية و أمريكا الشمالية و أستراليا، الحضارة الأفريقية تضم أفريقيا الوسطى و الجنوبية ، حضارة أمريكا اللاتينية ، الحضارة الأرثوذكسية تضم روسيا و أوروبا الشرقية .

و بعد أن كانت الحضارات تحتك فيما بينها من خلال التفاعلات المتوازنة من الحروب والمبادلات التجارية و التحالفات و التبادل المعرفي ، إلا أنّ تطور الحضارة الغربية وسيطرتها على معظم الحضارات الأخرى منحها الأفضلية في التوسع .

و على مدى الأربع قرون الماضية كانت العلاقات المتبادلة بين الحضارات عبارة عن تبعية من المجتمعات الأخرى للحضارة الغربية و هو ما جسّده التوسع الأوروبي ، حيث أنّ الحضارة الأندينية و الأمريكية الوسطى قد محيتا ، أما الهندية و الإسلامية و الأفريقية قد أُخضعت ، و الصينية إختُرقت و خضعت للنفوذ الغربي ، بقيت فقط الحضارة الروسية واليابانية و الإثيوبية قادرة على مقاومة الهجمة الغربية .² و كان التفوق الغربي على الحضارات الأخرى بارزا حيث ميزته علاقات الطبقة و التبعية و الإستغلال بين الحضارة الغربية و الحضارات الأخرى .

¹ - في العديد من الفترات في الصين كان الغرب يعني الهند ، و في اليابان كان الغرب يعني الصين ، إلا أن هنتنغتون يوضّح مجال الحضارة الغربية بأوروبا و أمريكا الشمالية و إنتشارها أيضا في أمريكا الجنوبية ، إلا أن أمريكا الجنوبية لها خصائصها ما يميزها عن الغرب . كما يشير هنتنغتون إلى أن معظم الباحثين لا يرون في اليهودية حضارة خاصة من عدد الناس، فهي ليست حضارة رئيسية ، و على مدى قرون كان اليهود يحافظون على هويتهم الثقافية داخل الحضارات الغربية و المسيحية و الإسلامية ، و رغم توفرهم على لغة و دين و عادات و تقاليد و رغم إحتلالهم لفلسطين إلا أنهم لا يتم تصنيفهم كحضارة .

² - صامويل هنتنغتون ، صدام الحضارات إعادة صنع النظام العالمي ، ترجمة طلعة الشايب ، تقديم صلاح قنصوه ، (من مقدمة صلاح قنصوه) ، سطور ، ط 2 ، 1999 ، ص 84 .

الفصل الثالث: تطور الجيوسياسة خلال الحرب العالمية الثانية و الحرب الباردة

لقد شهدت الحضارة الغربية تطورا كبيرا في عديد المجالات الإقتصادية والسياسية والتجارية والطبية، وتطورت بيروقراطية الدولة، إضافة إلى بروز العديد من المدن والتفاعل داخل الدول الغربية يسوده المساواة و التبادل الثقافي و اللغوي والديني والتجاري والتطور الصناعي خاصة وسائل الملاحة للوصول إلى معظم الأراضي عبر البحار والمحيطات وتطور القدرات العسكرية للغزو ، لقد كانت ثورة صناعية داخل الغرب و ثورة عسكرية خارجه ، والنظام الدولي الذي تتبعه هو نظام وستفاليا للدول القومية المتحضرة .

ويشير هنتغتون أنّ أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين شهد صراعات كبرى وعميقة بين الدول الوستفالية الأوروبية، فنتج عنه الحربين العالميتين وصراع الإيديولوجيات الفاشية و الشيوعية و الديمقراطية الليبرالية، وصولا إلى الحرب الباردة بين إيديولوجيتين قويتين ، هذا أدى إلى إستقلال الدول المستعمرة من طرف الدول الغربية، و إنتشرت الإشتراكية الماركسية في روسيا و الصين وفيتنام وغيرها، ورغم أنّ الماركسية أحد منتوجات الحضارة الغربية إلا أنّ المجتمعات غير الغربية تبنتها لتعبئة شعوبهم وتأكيد إستقلالية بلادهم ، لكن بسقوط الإتحاد السوفياتي بدأ تطوير الفكر الإشتراكي الشيوعي خاصة في الصين و فيتنام . فرغم أنّ المنتصر الأكبر هو الغرب لكن لم ترضخ الدول غير الغربية من جديد لها بل عززت تميّزها العرقي و الهويّاتي و الثقافي .

فانتقلت العلاقات بين الحضارات في القرن العشرين من مرحلة يغلب عليها التأثير الموجه من إحدى الحضارات على غيرها ، إلى تأثير ذي تفاعلات متعددة الإتجاه بين كل الحضارات.¹

يعطي هنتغتون نتائج هذا التحول :

- 1- إنتهاء توسع الغرب الذي تراجعت قوّته بالنسبة لقوة الحضارات الأخرى .
 - 2- إمتداد النظام العالمي إلى ما وراء الغرب و أصبح متعدد الحضارات ، و خمد الصراع بين الدول الغربية .
 - 3- بأواخر القرن العشرين خرج الغرب كحضارة من حالة الحرب إلى حالته العالمية .
- فالغرب عن طريق العولمة و التطور التكنولوجي و التقني و إنتشار وسائل الإعلام المكتوبة و المسموعة و المرئية و وسائل التواصل الاجتماعي، و تطور و إنتشار وسرعة المواصلات البرية و البحرية و الجوية يسعى الغرب إلى بسط نفوذ حضارته و إيديولوجيته على الحضارات الأخرى و هذا لا يمنع مشاركة الحضارات الأخرى بما لا يتعارض مع الحضارة الغربية مكوّنا بذلك الحضارة العالمية ، فيرى هنتغتون أنّ هذا يساعد على تبرير بسط السيطرة الثقافية الغربية على المجتمعات الأخرى و حاجة تلك المجتمعات إلى تقليد الممارسات و المؤسسات الغربية .

فمفهوم الحضارة العالمية عند هنتغتون بشكل عام : هو التقارب الثقافي الإنساني و القبول المتزايد بقيم و توجهات و ممارسات و مؤسسات مشتركة من قِبَل شعوب

¹ - سامويل هنتغتون ، صدام الحضارات إعادة صنع النظام العالمي ، ترجمة طلعة الشايب ، تقديم صلاح قنصوه ، (من مقدمة صلاح قنصوه) ، سطور ، ط 2 ، 1999 ، ص 87 .

الفصل الثالث: تطور الجيوسياسة خلال الحرب العالمية الثانية و الحرب الباردة

العالم، لكن هذه الحضارة العالمية من إنتاج الحضارة الغربية ، أي هي إيديولوجيا الغرب لبسط ثقافتها على الشعوب غير الغربية .

وبالتالي فإنه سرعان ما تنكشف التناقضات التي تحملها الحضارة العالمية "الحضارة الغربية" ستخلق صدام بين الحضارات فيقول هنتجتون :

" التقسيم السائد هو بين الغرب و الآخرين و أشد الصراعات القائمة هي بين المجتمعات الإسلامية و بعضها من جهة ، و المجتمعات الإسلامية و الغرب من جهة أخرى . و من المرجح أن تنشأ أخطر الصراعات في المستقبل نتيجة تفاعل الغطرسة الغربية و التعصّب الإسلامي و التوكيد الصيني "¹ حيث أنه بانتصار الإيديولوجيا الليبرالية الديمقراطية في الحرب الباردة فقد أصبحت جاهزة لتعميمها عالميا، هذا الذي سيخلق تنافر أكبر، خاصة و أن الولايات المتحدة الأمريكية ترى أنه لا بد للشعوب غير الغربية أن تلتزم بالثقافة الغربية، فتسعى أمريكا للحفاظ على وضعها المتفوق و الدفاع عن مصالحها باعتبارها مصالح المجتمع العالمي فالعقيدة الأمريكية ترى بعين "الغرب و الباقي" أي "الغرب والآخرين" **The West and The Rest** .

فِيرَجِّح في كتابه صدام الحضارات أن تكون علاقة الغرب بالإسلام و الصين متوترة على نحو ثابت وعدائية جداً في معظم الأحوال، في حين علاقة الغرب بأمريكا اللاتينية وأفريقيا و هما حضارتان أضعف و معتمدتان إلى حد ما على الغرب سوف تتضمن

¹ - سامويل هنتجتون ، صدام الحضارات إعادة صنع النظام العالمي ، ترجمة طلعة الشايب ، تقديم صلاح قنصوه ، (من مقدمة صلاح قنصوه) ، سطور ، ط 2 ، 1999 ، ص 87 .

الفصل الثالث: تطور الجيوسياسة خلال الحرب العالمية الثانية و الحرب الباردة

مستويات أقل من الصراع ، علاقات روسيا و اليابان و الهند بالغرب من المرجح أن تكون وسطا بين العلاقات مع المجموعتين السابقتين .¹

الحضارة الصينية و الإسلامية كل منهما ينتظم تقاليد ثقافية عظيمة تختلف جدا عن الغرب، وهي في نظرها أرقى من تقاليد الغرب ، فيتزايد الصراع بين مصالحهما و قيمهما و بين مصالح الغرب، و بما أنّ الحضارة الإسلامية تفتقر إلى دولة مركز فعلاقتها بالغرب تتباين من دولة لأخرى ، ومنذ السبعينيات ظهر صعود الأصولية ، و حكومات معادية للغرب ، و الحرب بين الجماعات الإسلامية و الغرب .²

و رغم إختلاف الحضارة الصينية عن الحضارة الإسلامية إلا أنه في السياسة يُعتبر العدو المشترك يخلق مصلحة مشتركة . فالمجتمعات الإسلامية و الصينية ترى الغرب عدوا لهما ولذلك لديها سبب للتعاون معا ضدها كما سبق و أن فعل الحلفاء و ستالين ضد هتلر بإعتباره عدو مشترك " فعدو عدوي، صديقي " .

فنظرية صدام الحضارات هي تلخيص لمشروع جيوسياسي مستقبلي هو التحولات في الأمن الكوني و المصالح القومية الأمريكية ، فعكس ما كان يراه فوكوياما إنتهاء التاريخ أي إنتهاء العدو ، يرى هنتغتون أنّ هذا سيكون فقط لفترة مؤقتة و ستظهر شعوب أخرى مناهضة للحضارة الغربية و تحمل كلُّ منها تنافس و عداً للغرب، لكونها لها مميزات خاصة مُشكّلة بذلك كتل تكتونية مقابل كتلة تكتونية غربية، و أماكن التلاقي ستحدث فيها زلازل هي صدام هذه الصفائح التكتونية مُشكّلة مناطق صدع و بُور تؤثر

¹ - نفس المرجع ، ص 295 .

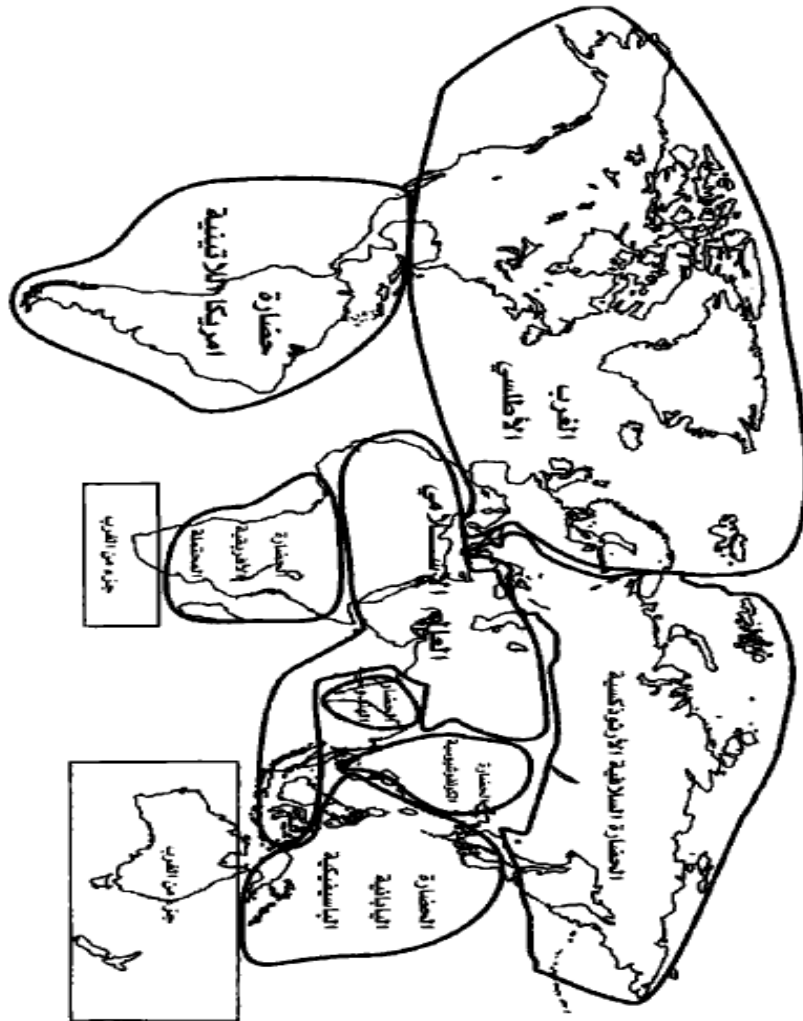
² - نفس المرجع ، ص 296 .

الفصل الثالث: تطور الجيوسياسة خلال الحرب العالمية الثانية و الحرب الباردة

كبيرة و في عدة أماكن من تماس الحضارات و هذا ما نؤه إليه المفكران الجيوسياسيان
كارل شميت و ساقيتسكي .

الفصل الثالث: تطور الجيوسياسة خلال الحرب العالمية الثانية و الحرب الباردة

خريطة توضح حدود الحضارات في مشروع صامويل هنتغتون¹



فهنتغتون يدعو الغرب إلى الإستعداد للأخطار المستقبلية و أن يتحدوا في مواجهة الحضارات الأخرى ، و أن يتمركزوا في المواقع الإستراتيجية لكبح أي إتحاد بين الحضارات الأخرى و مقاومة كل تمرد ضد الغرب ، و كبح أي تطور عسكري خاصة للدول الإسلامية و الكونفوشيوسية .

¹ - ألكسندر دوغين ، أسس الجيوبوليتيكا - مستقبل روسيا الجيوبوليتيكي ، ترجمة عماد حاتم ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 2004 ، ص 160 .

الفصل الثالث: تطور الجيوسياسة خلال الحرب العالمية الثانية و الحرب الباردة

و يشير هنتغتون إلى الصين و الدول الإسلامية (إيران ، العراق ، ليبيا و ما إليها) على أنّها الأعداء الأكثر احتمالاً للغرب و ينعكس في هذا التأثير المباشر لمبادئ ماينغ وكيرك اللذين رأيا أن توجهات دول المناطق الشاطئية الريملاندي بالذات أشد أهمية من موقف الهارتلاندي.¹

ولقد إستند على هذه النظرية الرئيس الأمريكي جورج. و. بوش في غزوه للعراق سنة 2003 خوفاً من أن يتمكن يوماً ما من حصوله على سلاح نووي من طرف الصين، و رغم تأكّد بوش بعدم إمتلاك صدام حسين السلاح النووي إلا أنّ هذا السبب كان هو ذريعته لغزوه العراق و بعد ذلك لم يجدوا أي سلاح نووي و رغم هذا فقد حطّموا العراق حتى لا ينهض من جديد و بقيت أمريكا فيه حتى 2014 . و لو علمت أمريكا بوجود القنابل النووية في العراق لما غزتها أو حتى إقتربت منها فالدول المارقة و المعادية لأمريكا و تملك النووي لم تقترب منها أمريكا بالعكس تسعى إلى وضع علاقات تعاون معها على غرار كوريا الشمالية و باكستان و الهند و الصين ، و إنّ غزو الولايات المتحدة للعراق كان بسبب تأكدها من عدم إمتلاك العراق للأسلحة النووية، و بإعتبارها دولة مارقة يمكن أن تكتسب يوماً ما الأسلحة النووية فقامت بغزوها بدريغة محاربة إنتشار أسلحة الدمار الشامل ثم بعد أن ثبت عدم وجود الأسلحة النووية ، غيّرت الولايات المتحدة ذرائعها في الغزو بكون صدام حسين إرتكب أعمال تمس بحقوق الإنسان .

¹ - ألكسندر دوغين ، أسس الجيوبوليتيكا - مستقبل روسيا الجيوبوليتيكي ، ترجمة عماد حاتم ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 2004 ، ص 162 .

الفصل الثالث: تطور الجيوسياسة خلال الحرب العالمية الثانية و الحرب الباردة

لقد إنتقد و عارض هنتغتون كثيرا الرئيس بوش في إعلانه الحرب على العراق ، فصدام الحضارات بالنسبة لهنتغتون ليس دعوة إلى الغزو بل كان تفسير لتحول الصراع من الإيديولوجيات إلى صراع حضارات التي لها مميزات الخاصة من اللغة، الدين ، التاريخ ، التقاليد ، الأنظمة ... إلخ و غيرها من الفواعل المكوّنة لهذه الحضارات .¹

نوه أنّ العولمة هي عامل أساسي لا يمكن إنكاره و لها تأثيراتها على الساحة السياسية والإقتصادية و الإجتماعية العالمية ما لا يمكن إغفاله خاصة مع إنتشار وسائل الإعلام والشركات متعددة الجنسيات و الأسواق العالمية و التطور الكبير في مجال المواصلات البرية و البحرية و الجوية و التي مثل ما لها من منافع فلها أيضا من مساوئ إتجاه الدول والشعوب، و لهذا سعت الولايات المتحدة إلى تبرير غزوها إعلاميا قبل البدء في الحرب. و لم يكن سقوط الإتحاد السوفياتي سببا في إستفحال العولمة فقد إنعقد في طوكيو مؤتمر السياسات النقدية و المالية العالمية قبل سنوات ، و أصبح الهيكل الإقتصادي العالمي ناميا بمعدل يفوق نمو الإقتصاد القومي الأمريكي الذي تراجعته نسبته 42 % إلى 25 % في الأعوام الأخيرة من معدل الناتج الإجمالي العالمي ، و لم يعد الإنتاج رأسيا داخل مصنع في دولة واحدة بل توزعت أجزاء السلع إلى أنصبة مختلفة تنتجها دول متعددة ، فالعولمة تعني مصنع عالمي واحد و سوق عالمي واحد تهيمن عليه الشركات العابرة للقارات .²

¹ - pascal boniface, La Geopolitique , 50 fiches pour comprendre l'actualité, éditions Eyrolles , paris, France, 6eme édition, 2019, p 57 .

² - صامويل هنتغتون ، صدام الحضارات إعادة صنع النظام العالمي ، ترجمة طلعة الشايب ، تقديم صلاح قنصوه ، (من مقدمة صلاح قنصوه) ، سطور ، ط 2 ، 1999 ، ص 19 .

الفصل الثالث: تطور الجيوسياسة خلال الحرب العالمية الثانية و الحرب الباردة

فمثلما تسعى السوق العالمية في ظل العولمة إلى جعل العالم قرية صغيرة توفر السلع والخدمات بمنافسة كبيرة و تلغي الحدود الإفتراضية للدول و تجعل من المواطن إنسان أداتي يسير على مناهجها، فإنها تفرض سيادة عالمية غير مباشرة.

فالعولمة أدت إلى غياب البعد الوطني القومي كفاعل مؤثر كما كان الحال في الرأسمالية السابقة إذ أضحت المؤسسات و الشركات العابرة للقارات تخترق وحدة الدول القومية ، و تقوم بتحطيم قدرات الدول على مواجهة الغزو الجديد الناتج عن قوانين السوق و تضخيم الصراعات المناوئة للدول ، مثل المشكلات العنصرية و الدينية لصالح تفكيك الدول إلى دويلات عاجزة أمام سيادة السوق العالمية فتتفاقم مظاهر الفوضى و التعصب¹ و تنتشر الدول الفاشلة و الحروب اللامتاثلة أي صدام الثقافات و الإثنيات و المعتقدات أي صدام الحضارات .

إن العدو الحقيقي لهنتغتون و أصحاب المصالح الحقيقية في أمريكا هو السلام ، فقد كان من المتوقع أن يحتفي هنتغتون بالرخاء و السلام ، و لكنه يوافق على ما قاله مستشار رئيس الإتحاد السوفياتي غورباتشوف عادة تفكك الإتحاد " نحن نقوم بأمر مروع لكم، فنحن نحرّمكم من عدو " و بعبارة (الحماية من الإتحاد السوفياتي كانت السلعة التي تروجها الولايات المتحدة الأمريكية) و لا بد من سلعة أخرى مماثلة في وجودها وجودتها² ، و بدون خلق هذا العدو كان سيؤدي إلى تفكك حلف الناتو الذي تم

¹ - نفس المرجع ، ص 19 .

² - سامويل هنتنجتون ، صدام الحضارات إعادة صنع النظام العالمي ، ترجمة طلعة الشايب ، تقديم صلاح قنصوه ، (من مقدمة صلاح قنصوه) ، سطور ، ط 2 ، 1999 ، ص 27 .

Samuel P. Huntington, The Clash of Civilization and the Remaking of World Order , simon and schuster Rockfeller , New york , USA , 1996 .

إنشأؤه لتصدي إحتمالية الغزو الروسي بينما هو في الحقيقة الدرع الأمامي الذي تحمي الولايات المتحدة الأمريكية به نفسها و لا يمكن أن تستغني عنه، و تتحكم وتتجسس عن طريقه على كل الدول الأوروبية المنتمة إليه.

لكن من جهة أخرى يؤكّد بول ولقوقتش مستشار الأمن القومي الأمريكي في 1992 على ضرورة الحيلولة دون ظهور قوة إستراتيجية في القارة الأوروبية أو الآسيوية يمكنها أن تقف في وجه الولايات المتحدة الأمريكية.¹

و في هذا الصدد يرى ألكسندر دوغين أنّه في جميع الحالات و بمعزل عن تعريف العدو المحدد المحتمل فإن مواقف جميع الأطلسيين الجدد تبقى واحدة في جوهرها، فالنصر في الحرب الباردة لم يلغي الخطر عن الغرب و الذي ينطلق من تشكيلات جيوسياسية أخرى حاضرة أو مستقبلية فمن السابق لأوانه الحديث عن عالم واحد ، و إن الثنائية الكونية للتالاسوكراتيا (المعززة بالأيروكراتيا و الأثيروكراتيا) و التيليروكراتيا تبقى الصورة الجيوسياسية الأهم بالنسبة للقرن الواحد و العشرون.²

إستنتاجات

إن الحرب الباردة شهدت هي الأخرى صراعات عسكرية ، لكن محدودة بين القوى العظمى و دول صغرى إما حليفة للمعسكر الآخر أو تتبنى إيديولوجيته و هذا ما يفسّر

¹ - ألكسندر دوغين ، أسس الجيوبوليتيكا - مستقبل روسيا الجيوبوليتيكي ، ترجمة عماد حاتم ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 2004 ، ص 162 .
² - نفس المرجع ، ص 162 .

الفصل الثالث: تطور الجيوسياسة خلال الحرب العالمية الثانية و الحرب الباردة

تدخّل الولايات المتحدة الأمريكية في حرب الفيتنام ، و في حرب الخليج الثانية و في دول البلقان ، و من جهة أخرى تدخّل الإتحاد السوفياتي في أفغانستان .

فالحرب لم تكن مباشرة بين القوى العظمى رغم وصولها إلى مرحلة شبه المواجهة خلال أزمة صواريخ كوبا أين تنازل المعسكرين كل من جانبه على نزع الصواريخ المهددة، فالولايات المتحدة نزعت الصواريخ من تركيا و الإتحاد السوفياتي نزعها من كوبا في أكتوبر 1962 و هذا أكبر دليل على إنتهاء الصراعات العسكرية التقليدية الكلاسيكية بين القوى العظمى، و هذا لكون السلاح النووي الذي إعتُبر أكبر كارثة تهدد العالم ، أصبح سبب في صنع السلام و عدم إندلاع الحروب بين القوى المالكة لها لأن إستخدامها سيؤدي إلى هلاك الجميع خاصة مع تطوير القنابل الهيدروجينية و النيوترونية ، و الصواريخ العابرة للقارات كالصواريخ الباليستية و غيرها . **فالأسلحة النووية نقمة ونعمة** لقد كانت سبب في دمار المدن اليابانية و كانت سبب من أسباب إنتهاء الحرب العالمية الثانية و سبب توقف الصراعات المسلحة بين القوى العظمى لحد الآن .

لهذا فقد تراجعت مجالات الصراع الكلاسيكية البرية و البحرية إلى بعد آخر هو المجال الفضائي و الجوي الأثيروكراتيا و الأيروكراتيا فبرز الصراع التكنولوجي و الإيديولوجي من خلال تطبيق نظريات لم تُطبق قبل الحرب العالمية الثانية و التي ذكرناها من قبل ، على غرار أفكار ساقيتسكي من خلال نظرية **بؤر التطور** و أفكار الفرنسي بول فيدال **دولابلاش** من خلا نظرية **الممكن** حيث أضحي لصاحب القرار السياسي الدور الفعّال في إبراز قوته المعرفية و التقنية و الإقتصادية و السياسية و كيفية إبراز القوة دون المواجهة الكلاسيكية ، كذلك برزت أفكار كارل **شميت** من خلال نظريته **المجال الكبير**

الفصل الثالث: تطور الجيوسياسة خلال الحرب العالمية الثانية و الحرب الباردة

الجروسروم و التي مارستها كل من الولايات المتحدة الأمريكية و الإتحاد السوفياتي في توسيع دائرة نفوذه الإيديولوجي خاصة من خلال التحالفات، و بهذا ظهر حلف الناتو برئاسة الولايات المتحدة الأمريكية و حلف وارسو برئاسة الإتحاد السوفياتي .

فلا بد من التأكيد أنّ المدرسة الألمانية تميزت بالحتمية الجغرافية التي تقول أن الجغرافيا هي التي تصنع قوة الدولة و تصنع مصير الشعب و تصنع حتى مصير القائد و التوجهات الكبرى لتلك الدولة . في حين المدرسة الفرنسية التي تطورت مع فيدال دولابلاش و إيف لاكوست و من جاؤوا بعده فإنها ترى أنّ الجغرافيا تظل ساكنة و غير مُفعّلة حتى يأتي القادة الذين يملكون مشاريع و أفكار لتفعيل تلك الجغرافيا و نظريته هي الممكن Possibilisme .

ميّزت الدراسات الإستيمولوجية للجيوسياسة في هذه الحقبة بتراجع الحتمية الجغرافية و الإنتقال إلى النسبية الجغرافية حيث برز تأثير العامل البشري في تفعيل الجغرافيا أو تهميشها و الحد من الصراعات المسلحة ، كما أنه تبين تأثير الجغرافيا النسبي في التوجه السياسي حيث وّجّهت الجغرافيا دول القوة القارية ذات الطابع المحافظ و الديني و الثابت و ذو النزعة الجماعية إلى تبني النظام الإشتراكي الشيوعي ، كما وّجّهت الجغرافيا دول القوة البحرية ذات الطابع المتغير و الحر و الفردي و المبادر و المغامر إلى تبني النظام الرأسمالي الليبرالي الحر و الديمقراطي . و بهذا كانت النتيجة الإستيمولوجية لهذه الحقبة هي النسبية الجغرافية .

و برز دور صانع القرار في تفعيل جغرافيته و توسيع بؤر التطور لبلاده لأقصى الحدود، و التي قد تؤدي إلى الإلتقاء بمناطق بؤر التوتر و بالتالي تنشأ صراعات لكن لم تتسم

الفصل الثالث: تطور الجيوسياسة خلال الحرب العالمية الثانية و الحرب الباردة

بالعالمية ، فكان الإتحاد السوفياتي يسعى إلى التطور في مجال الفضاء و الأقمار الصناعية و الساتيليت كما حقق نجاحا مبهرًا تفوّق فيه عن الولايات المتحدة الأمريكية في أسبقية الوصول إلى الفضاء ، كما سعى إلى توسيع حلف وارسو و نشر الإيديولوجية الشيوعية و الإقتصاد الإشتراكي ، في حين سعت أمريكا إلى توسيع حلف الناتو و نشر الإيديولوجيا الديمقراطية و الإقتصاد الرأسمالي ، و هنا سعت أمريكا إلى تطبيق نظرية سيكمان الريميلاند و كسب دول حافة الأرض حتى تمنع الإتحاد السوفياتي من الوصول إلى المياه الدافئة و من جهة أخرى جعل هذا الهلال الداخلي بمثابة **طوق أناكوندا** يخنق الإتحاد السوفياتي و يعزله عن العالم ، الذي كان يعيش حالة ثنائية قطبية .

و في هذه المرحلة مارست أمريكا سياسة ملاءم الفراع ، و يقصد به ملاءم الفراع الذي تركته الإمبراطوريات الإستعمارية خاصة بريطانيا و فرنسا عند خروجهم من مستعمراتهم ، و كان إهتمامها بالأخص في منطقة الشرق الأوسط و جنوب شرق آسيا حيث أبرمة الولايات المتحدة معهم إتفاقيات و معاهدات أنشأت بذلك داخلهم عديد القواعد العسكرية الأمريكية البرية و البحرية و الجوية .

كما ظهرت نظرية **الدومينو** رغم أنها ليست نظرية إلا أنها إشتهرت بتسميتها نظرية الدومينو و التي تُعبّر عن أحجار الدومينو المتراسين بجانب بعضهم البعض و سقوط الحجرة الأولى على الحجرة الثانية يتبعه تساقط كل الأحجار ، فسقوط أي دولة من منطقة الريميلاند أو دول قلب العالم المؤيدة لأمريكا أو من دول عدم الإنحياز في يد المعسكر الإشتراكي سيتبعه عديد الدول الأخرى و بالتالي كان تدخل أمريكا في كل من كوريا الجنوبية و فيتنام لكبح التقدم الإشتراكي في جنوب آسيا .

الفصل الثالث: تطور الجيوسياسة خلال الحرب العالمية الثانية و الحرب الباردة

ومن هنا أحيا إيف لاکوست مصطلح الجيوسياسة الذي كان المفسر الوحيد لتحركات القوى العظمى على الساحة الدولية .
والجدير بالذكر أنّ هذا التراجع الكبير في الحروب الكلاسيكية العسكرية و إنتشار العولمة و إنتشار وسائل النقل و سرعتها و التطور التقني لمختلف أجهزة الإعلام و تطور المجال العسكري إلى الصواريخ النووية العابرة للقارات و تحول الصراع إلى إيديولوجي ، هذا ما جعل الباحثين يعتقدون بموت الجغرافيا .

المبحث الثالث : الجيوسياسة الافتراضية

عرف حقل الجيوسياسة تطورات عديدة في نظرياته و مفاهيمه خاصة خلال الحرب الباردة و ما بعدها ، فلقد كانت القنابل النووية و نتائجها الكارثية خاصة قنبلتي هيروشيما و ناكازاكي و التطورات التي تلتها من قنابل هيدروجينية ثم نيترونية بمثابة نقطة تحول فاصلة في شكل الصراعات بين الدول خاصة بين القوى العظمى و جعلت حد كبير للصراعات العسكرية الكلاسيكية . هذا ما خلق نقاش فلسفي بين الحدائين والمنادين لعصر ما بعد الحداثة ليشمل جميع الحقول المعرفية خاصة العلوم الاجتماعية ، فبرزت تيارات تعلن موت الجغرافيا و موت الجيوسياسة ، و مع إنتشار العولمة و التطور التكنولوجي و الإنترنت جعل العالم قرية صغيرة في إتصال دائم بين كل ربوع العالم من خلال وسائل الإعلام و وسائل التواصل الإجتماعي و الترابط التجاري و الإقتصادي الرقمي المستمر بين كافة الدول و إنتشار العملات الرقمية ، ما جعل علماء الجيوسياسة

الفصل الثالث: تطور الجيوسياسة خلال الحرب العالمية الثانية و الحرب الباردة

يفسّرون التنافس بين الدول أضحى في فضاء رابع غير المجال الأرضي أو البحري أو الجوي بل الفضاء الافتراضي إي السيبرنتيقي ، و إنتقلت الجيوسياسة من التعريف بالجغرافيا بأنها المكان و الأرض terrain إلى التعريف بها على كونها الفضاء أو المجال espace و الذي يشمل المجال المادي الملموس و المجال الافتراضي المرتبط بالمجال المادي. و بذلك برزت الجيوسياسة السيبرانية ، و الجيوسياسة الشعبية و جيوسياسة المشاعر و جيوسياسة المعرفة ، و كلها تنتمي إلى الجيوسيسة الافتراضية و الجيوسياسة النقدية و الجيوسياسة البديلة و النيو جيوسياسة و جيوسياسة ما بعد الحداثة .

المطلب الأول : الجيوسياسة السيبرانية

تعود بداية الإنترنت، إلى فكرة إنشاء شبكة معلومات من قبل إدارة الدفاع الأمريكية، في عام 1969 ، تهدف إلى وصل الإدارة مع متعهدي القوات المسلحة، وعدد كبير من الجامعات. و أطلق على هذه الشبكة إسم “أربا” ARPA إختصار الكلمة الإنجليزية The Advanced Research Project Administration.¹ ، حيث جعلت هذه الشبكة الخاصة الأربا نيت في الولايات المتحدة الأمريكية ترابط متواصل ومكثف عبر شبكة معلومات متصلة بأجهزة الكمبيوتر مستندة على مبدأ توحيد المعلومة وإنتشارها عبر هذه الأجهزة حتى يتسنى لجميع منتسبي هذه الشبكة الإطلاع عليها .

و بعد الإستخدام الكثيف للشبكة تم تطويرها، و أنشأت شبكة جديدة في 1983 سميت ميل نيت MILNET أي الشبكة العسكرية و التي حُصصت لخدمة المواقع

¹ - منى الأشقر جبور ، السيبرانية - هاجس العصر ، المركز العربي للبحوث القانونية و القضائية ، جامعة الدول العربية ، مجلس وزراء العدل العرب ، ص 11 www.carjj.org

الفصل الثالث: تطور الجيوسياسة خلال الحرب العالمية الثانية و الحرب الباردة

العسكرية و تم وصلها بواسطة بروتوكول الإنترنت مع الأربا نيت التي بقيت في خدمة الجامعات ، و في 1986 بدأ التعاون مع عدد كبير من المتخصصين لتطوير الجانب التقني و الهندسي للإنترنت بعيدا عن أي تدخل حكومي رسمي أو سلطة مركزية حيث قد سمحت وزارة الدفاع بدخول الإنترنت الحياة المدنية خاصة بين الأعوام 1994 و1998.¹ و لقد شكلت هذه الفترة إدراك الدول بأهمية الإنترنت و التي بدأ العمل بها بطريقة غير مركزية، فقررت المؤسسة العلمية الوطنية التي تدير البنى التحتية للإنترنت التعاقد مع مؤسسة خاصة هي Network Solutions Internet لإدارة أسماء النطاقات ، لكن بعدها نشب ما يسمى بحرب أسماء النطاقات (.org .net . com) و إنتهت في 1998 بإنشاء هيئة إدارة أسماء و أرقام الإنترنت آيكان ICANN التي تحولت هي نفسها إلى محل جدل و نقاش نظرا لعلاقتها مع وزارة التجارة الأمريكية التي تمارس عليها نوعا من الرقابة² و بالتالي رقابة الأجهزة الأمنية الأمريكية ، و تعتبر أسماء النطاقات كبطاقة هوية للمستخدم فكل جهاز مرتبط بالإنترنت عنوان يسمى عنوان بروتوكولات الإنترنت Adres IP و لا يمكن أن يحمل جهازان عنوان واحد و تتولى شركة آيكان إدارة هذه العناوين و توزيعها و التي يمكنها أيضا توقيف أي جهاز والسيطرة عليه .

¹ - منى الأشقر جبور ، السبيرانية - هاجس العصر ، المركز العربي للبحوث القانونية و القضائية ، جامعة الدول العربية ، مجلس وزراء العدل العرب ، ص 12 www.carjj.org
² - منى الأشقر جبور ، السبيرانية - هاجس العصر ، المركز العربي للبحوث القانونية و القضائية ، جامعة الدول العربية ، مجلس وزراء العدل العرب ، ص 12 www.carjj.org

الفصل الثالث: تطور الجيوسياسة خلال الحرب العالمية الثانية و الحرب الباردة

و مع القمة العالمية لمجتمع المعلومات لعام 2003 في جنيف و عام 2005 في تونس وضعت حوكمة الإنترنت فريق عمل خاص لإنهاء العقد بين وزارة التجارة الأمريكية والآيكان و السعي للإهتمام بالأمن السيبراني .

الفضاء السيبراني:

هو الفضاء الذي أوجدته تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، وفي مقدمتها الإنترنت. ويرتبط هذا الفضاء، ارتباطا وثيقا بالعالم المادي، عبر البنى التحتية المختلفة للاتصالات، والأنظمة المعلوماتية، وعبر العديد من الخدمات، التي لم يكن بالإمكان الحصول عليها، من دونه، وليس أقل ذلك الوصول إلى البيانات والمعلومات.¹

و من الجدير بالملاحظة أنه قد نتج عن توسيع شبكة الإنترنت خلق نقاش موسع حول حوكمة الإنترنت و حول مفهوم حيادية شبكة الإنترنت و كيفية إنتشار المعلومات وعدم حجبها ، و حقوق الملكية الفكرية و فيما إن يُمنح للحكومات داخل الدول سلطة السيطرة على الشبكة من عدمه خاصة مع بعض السياسات التي تنتهجها بعض الدول غير الديمقراطية ، كما أن الإنتشار الواسع على سبيل المثال للإيميل و الفيسبوك خلق حوار واسع حول المعلومات الشخصية و كيفية حمايتها ، و حماية الأمن القومي للدولة ، و الأمن السيبراني ، و الحق في الخصوصية ، و غيرها من حقوق الإنسان و التي كلها تندرج في حوكمة الإنترنت و هي في تطور مستمر .

وإنطلاقا مما سلف فإن تعريف حوكمة الإنترنت هي تطوير وتطبيق، من جانب الحكومات والقطاع الخاص والمجتمع المدني، كل بحسب دوره، للمبادئ، والمعايير،

¹ - منى الأشقر جبور ، السبيرانية - هاجس العصر ، المركز العربي للبحوث القانونية و القضائية ، جامعة الدول العربية ، مجلس وزراء العدل العرب ، ص 188 www.carjj.org

الفصل الثالث: تطور الجيوسياسة خلال الحرب العالمية الثانية و الحرب الباردة

والقواعد، والأعراف المشتركة، لإجراءات إتخاذ القرارات، و وضع البرامج التي تحدد شكل تطور الإنترنت و إستعمالها و من المبادئ التي لا بد من مراعاتها:¹

- عدم إستحواذ حكومة واحدة، على دور غالب في حوكمة الإنترنت، على المستوى العالمي.

- مراعاة التعددية اللغوية، و أصول الشفافية والديمقراطية.

- مشاركة الحكومات، والمنظمات الدولية، والقطاع الخاص، وهيئات المجتمع المدني، في إقرار القواعد، التي تحكم الإنترنت.

كما أن هذا لا يخرج عن نطاق العقوبات القضائية للدولة إذا تم مخالفة قوانينها الخاصة. و في واقع الأمر إنّ إنتشار أجهزة الحاسوب الثابتة و المتنقلة و أجهزة الهواتف المحمولة و إستخدامها في كل الشركات والإدارات العمومية والخاصة و المعاملات التجارية و الإقتصادية والسياسية والإجتماعية بين الدول عن طريق هذه الشبكة التي أضحت مادة أساسية لجل الأعمال في حياة المواطن أضحت معلومات و بيانات و صور و برامج مستخدميتها مهددة بالإختراق و التجسس أو حتى تدميرها ما يسبب إنتهاك الخصوصية و التعدي على أمن الأشخاص و المؤسسات و الإبتزاز و التهديد و سرقة البيانات و الأموال و قد يؤدي إلى شلل كبير في إقتصاد الشركات وبالتالي الإقتصاد العالمي .

ومن هذا المنطلق أضحي الأمن السيبراني ذو أهمية بالغة لدى الدول لحماية أمنها القومي، كونه أصبح الفضاء السيبراني مجالاً للحروب الهجينة و الجيل الخامس من

¹ - منى الأشقر جبور ، السبيرانية - هاجس العصر ، المركز العربي للبحوث القانونية و القضائية ، جامعة الدول العربية ، مجلس وزراء العدل العرب ، ص 15 www.carjj.org

الفصل الثالث: تطور الجيوسياسة خلال الحرب العالمية الثانية و الحرب الباردة

الحروب و التجسس على الدول و التأثير فيها عن طريق القوة الناعمة من خلال التأثير الثقافي و اللغوي و الديني و السياسي و التي لها تأثير عميق في أمن الدول حيث تراجعت القوة الصلبة لتحل محلها القوة الناعمة التي سنتطرق إليها لاحقا .

الأمن السيبراني :

يمكن تعريف الأمن السيبراني بأنه أمن الشبكات، والأنظمة المعلوماتية، و البيانات، والمعلومات، والأجهزة المتصلة بالإنترنت. وعليه فهو المجال الذي يتعلق بإجراءات، ومقاييس، ومعايير الحماية، المفروض إتخاذها، أو الإلتزام بها، لمواجهة التهديدات، ومنع التعديات، للحد من آثارها ، و يرتبط هذا الأمن، إرتباطا وثيقا، بأمن المعلومات. فالوصول إلى هذه الأخيرة، أو بثها، أو الإطلاع عليها والمتاجرة بها، أو تشويهها وإستغلالها، هو ما يقف في غالب الأحيان وراء عمليات الإعتداء على الشبكات وعلى الإنترنت.¹

لهذا فالأمن السيبراني يشمل عديد المجالات التي تشكل خطر على الأمن القومي أو أمن الشركات المالية و التجارية أو أمن الأفراد و حماية ممتلكاتهم من حقوق فكرية و مالية وسياسية و إجتماعية من أي تنصت أو نقل هذه المعلومات أو إفشائها أو تخريبها وهذا ما يشكل تهديد لدرجات عالية من الخطورة . و الأمثلة كثيرة في هذا الشأن نذكر منها خروج إيميلا هيلاري كلينتون وزيرة الخارجية السابقة للولايات المتحدة الأمريكية والمرشحة للرئاسيات الأمريكية أمام دونالد ترامب في 2016 و التي كان تأثيرها سلبي

¹ - منى الأشقر جبور ، السبيرانية - هاجس العصر ، المركز العربي للبحوث القانونية و القضائية ، جامعة الدول العربية ، مجلس وزراء العدل العرب ، ص 25 www.carjj.org

الفصل الثالث: تطور الجيوسياسة خلال الحرب العالمية الثانية و الحرب الباردة

على هياي كليتتون مما فتح المجال واسعا لدونالد ترامب و الذي فاز في تلك الإنتخابات .

كما أنه من خلال القوة الناعمة Soft Power لم تعد الحكومات وحدها هي من تتحكم في المعلومات و ليست هي الناقل الوحيد للأحداث و الأخبار بل أضحي كل المواطنون ناقلون للمعلومة و التي يتم تداولها على نطاق واسع داخل الدولة و خارجها ومن أبرز الأمثلة ، فضائح وثائق باناما بايبرز في أبريل 2016 و التي مست عديد الشخصيات السياسية و العالمية حتى داخل الدول العظمى و التي حرّكت الرأي العام العالمي و تسريبات وكالة ويكيليكس و التي أسسها جوليان أسانج (و هو ناشط إنترنت أسترالي) سنة 2006 و يعمل بها منسّقين من مختلف أقطار العالم كالولايات المتحدة و الصين و أستراليا و جنوب أفريقيا و غيرها و التي فجّرت سنة 2010 مشاهد قتل القوات الأمريكية لمدنيين عراقيين و صحافيين في حرب العراق سنة 2007 و كذا الحرب الأفغانية، و في 2010 سربت ما يقارب 400 ألف وثيقة عن حرب العراق ، كما كان لوسائل التواصل الإجتماعي دور كبير في تحريك الشعوب خاصة في الثورات الملونة و الربيع العربي و غيرها من المسيرات و الإحتجاجات التي تجد في الإنترنت مقر لإجتماعاتها و تخطيطاتها .

و مما سبق فإن الشركات الكبرى في الفضاء السيبراني أضحت تمثل قوة كبرى و تملك نفوذ كبير داخل الدول التي لم تعد الحدود الطبيعية مستعصية أو تحدها أو تمنعها من الدخول أو تصدها و بالتالي فالدول العظمى تستعمل هذه الشركات للتوغل داخل الدول لتغيير سلوكها وفقا للأهداف المسطرة مسبقا دون اللجوء للقوة الصلبة Hard

الفصل الثالث: تطور الجيوسياسة خلال الحرب العالمية الثانية و الحرب الباردة

power، وبالتالي وجدت الدول ذات النزعة الليبرالية و التوجه الرأسمالي مناخهم الأنسب لوضع تحول بنيوي في العالم بما يتناسب مع أطروحاتهم و توغلهم الناعم داخل الدول الأخرى .

لكن هذا لا يعني أن الدول العظمى محمية من ناحية الأمن السيبراني بل هي معرضة لهجمات سيبرانية عن طريق الفيروسات و عن طريق الإستحواذ على مجالات التحكم التقني في الأجهزة المتصلة بالإنترنت و التي تدير شركات كبرى و منها ما يتم حجزه إلى أن يتم الدفع للجهات المقرصنة حتى يتم بعد ذلك إرجاعها لأصحابها و قد يتم الدفع عن طريق تحويل الأموال من بنك إلى بنك آخر في بلد مغاير أو عن طريق تحويل العملات الرقمية التي لا يمكن تتبعها أو حجزها من طرف أي حكومة ، كذلك سرقة المعلومات و التنصت و إفشاء الأسرار و المعلومات الخاصة و السرية و التي تؤدي إلى نتائج وخيمة قد تصل إلى زعزعة إستقرار الدول و الإقتصاد العالمي .

كما أنّ تصريح من قبل مسؤول سياسي أو أحد المشاهير العالميين بتغريدة في وسائل التواصل الإجتماعي كفايسبوك أو تويتر أو غيرها التي يتابعها الملايين عبر العالم قد تغير بشكل كبير في الإقتصاد العالمي و في إستقرار الدول ، و أي حادث يتم تداوله عبر هذه المواقع يجعل ما هو محلي إلى كوني و عالمي و بذلك يؤثر في السياسات العالمية حيث لم تصبح الدول الفاعل الرئيسي الوحيد في الساحة العالمية بل جعلت العولمة العالم يتشارك و يتفاعل مع كل الأحداث في العالم و حتى في المناطق المعزولة بكونها جزء من النظام العالمي و تؤثر و تتأثر به . كما أنها تؤثر في الإنتخابات السياسية و قرارات الحكومات

الفصل الثالث: تطور الجيوسياسة خلال الحرب العالمية الثانية و الحرب الباردة

و في التجارة العالمية حيث قد يؤدي فعل صادر من أي شركة إلى مقاطعة بضائعها أو العكس .

إنّ ما يشهده عالم الإنترنت يحمل من المحاسن كما يحمل من المساوئ الذي على جميع الدول محاربتة خاصة الإنترنت الأسود دارك نت **Dark Net** الذي تتم فيه كل الأعمال غير المشروعة و التي يصعب مراقبتها خاصة التجارة بالأسلحة و بالبشر والمواد المخدّرة الممنوعة و الأعضاء البشرية و الإرهاب و عمليات التجسس و جرائم العصابات المنظمة و التي أضحت حتى عملية الدفع تتم بالعملات الرقمية المشفرة كالبيتكوين مثلا و جل المعاملات التجارية خاصة في الدول المتقدمة تتم عبر بطاقات الائتمان و بطاقات الحساب الجاري حتى في أبسط المعاملات التجارية ك شراء قطعة خبز فإنها لا تتم بالأوراق النقدية بل ببطاقة الحساب الجاري عبر تحويلات بنكية و بالتالي أي قرصنة لبرامج التحويل البنكي سيخلق فوضى إقتصادية و أزمة إجتماعية.

و تجدر الإشارة إلى أنّ الحرب السيبرانية و التي ظهرت كمصطلح منذ عام 1993 من قبل مؤسسة راند الأمريكية للأبحاث و التطوير من خلال كتاب الحرب السيبرانية القادمة لا تقل في قوتها التدميرية عن العمليات العسكرية ، و رغم أن جنودها لا يملكون دبابات أو طائرات عسكرية ، إلا أنّه ينفّذون ضرباتهم المتوالية عبر الأجهزة الإلكترونية ، و هجمة واحدة إذا نجحت قد تمنع سرب طائرات كامل من تأدية مهمته ، و توقف سير الدبابات بمعلومات مغلوبة ، أو مهاجمة شبكات الكهرباء و محطات معالجة المياه ، أو نشر معومات مضللة لإحباط العدو و خلق الفوضى لديه.¹

¹ - Netwar - Could Be Even Worse Than Cyberwar , Ian Bogost , 26 – 02 - 2022

الفصل الثالث: تطور الجيوسياسة خلال الحرب العالمية الثانية و الحرب الباردة

إنطلاقاً مما سبق تسعى الدول إلى التعاون لمواجهة الأخطار السيبرانية و إرساء الشراكات بين القطاعين العام و الخاص و تبادل المعلومات حول الإعتداءات السيبرانية و تبادل الخبرات و التقنيات في مجال الحماية و إتخاذ الإجراءات الضرورية لحماية الأجهزة والمواقع الإلكترونية من أي إختراق ، و تعزيز دور الإنترنت في مجال مكافحة الجريمة السيبرانية .

الكابلات الناقله للإنترنت عبر العالم تقدر ب 1,3 مليون كم التي تمر عبر المحيطات أي بما يعادل 32 مرة محيط الأرض، و تقدر ب 450 كابل ناقل لربط العالم بالإنترنت والتي تمثل 95 بالمئة من إتصالاتنا ، و على سبيل الإشارة فإن زلزال ضرب مياه تايوان أدى إلى إتلاف هذه الكابلات مما قطع الاتصالات على 120 مليون خط هاتف في شرق آسيا و أوقف مؤقتاً كل التحويلات المالية البنكية و البورصة في المنطقة ، و بالتالي فإن أي قطع متعمد لهته الكابلات تؤدي إلى تأثيرات إقتصادية و سياسية و إجتماعية كبيرة و مساس بالأمن القومي للبلدان المرتبطة بهذه الكابلات.¹

و لا يفوتنا أن ننوه أن ثورة الياسمين في تونس سنة 2011 أبرزت بصفة مباشرة أهمية الإنترنت حيث أنّ هذا البلد الذي كانت له وسائل قمعية في الحفاظ على النظام القائم في بلد سكانه 11 مليون نسمة و منهم 4 ملايين متصفح إنترنت كان من غير الممكن منع الإتصال فيما بينهم و تقاسم وجهات النظر التي أدت إلى إنتفاضة ضد النظام على خلفية حرق مواطن تونسي نفسه جراء البطالة و سوء المعاملة من طرف السلطات التونسية .

[www://theatlantic.com/technology/archive/2022/02/russia-ukraine-conflict-cyberwar/622931/](http://theatlantic.com/technology/archive/2022/02/russia-ukraine-conflict-cyberwar/622931/)

¹ - ARTE France – Emission enregistrée le 25 mars 2022 , câbles sous-marins : l'autre guerre ? le dessous des cartes , www.youtube.com le 25 mars 2022 .

الفصل الثالث: تطور الجيوسياسة خلال الحرب العالمية الثانية و الحرب الباردة

و في هذا الإطار فإنه في 2013 مختص تقني في الكمبيوتر إدوارد سنودن Edward Snowden و هو أمريكي يعمل في جهاز المخابرات الأمريكية فجّر قضية تجسس المخابرات الأمريكية على ملايين المواطنين في العالم و حتى على الهواتف النقالة للمسؤولين السياسيين و منهم المستشارة الألمانية أنجيلا ميركل¹ . و قد فرّ سنودن إلى روسيا و في 2022 منحه الرئيس الروسي فلاديمير بوتين الجنسية الروسية . كما أنّ نظام تجسس **pegasus** الذي يتم تثبيته على أجهزة الهواتف الذكية المستهدفة والتي من خلال هذا البرنامج يستطيع مالكة التجسس على المستهدفين بمعرفة كل ما يقومون به على هواتفهم و تتبع مواقعهم و جمع بيانات التطبيقات التي يستخدمونها كفايسبوك أو تويتر و غيرها و يستطيع البرنامج التجسس حتى على هاتف آيفون المستعصي نوعا ما عن برامج التجسس الأخرى ، و قد إستهدف هذا البرامج شخصيات سياسية و قادة دول و صحافيين و غيرهم .

وفي هذا المقام نشير إلى التحالف الإستخباراتي **العيون الخمس Five Eyes** والذي يشمل كل من الولايات المتحدة الأمريكية و المملكة المتحدة و كندا و أستراليا ونيوزلندا والذي تعود أصوله إلى بداية الحرب الباردة و قد ركّز هذا التحالف لمراقبة إتصالات الإتحاد السوفياتي و حلفائه من خلال تطويرها نظام المراقبة إيكيلون و يستخدم الآن في مراقبة الإتصالات و شبكات الإنترنت عبر كل أنحاء العالم من خلال جمع معلومات المستخدمين في شركات التكنولوجيا الكبرى كجوجل و مايكروسوفت و عن طريق جمع المعلومات من كابلات الألياف البصرية ، و قد وصف إدوارد سنودن في الوثائق التي

¹ - pascal boniface, La Geopolitique , 50 fiches pour comprendre l'actualité, éditions Eyrolles , paris, France, 6eme édition, 2019, p 184 .

الفصل الثالث: تطور الجيوسياسة خلال الحرب العالمية الثانية و الحرب الباردة

سَرَّهَا سنة 2013 أن مكتب التحقيقات الفدرالي يتجسس على المواطنين و يشارك المعلومات التي يجمعها من العيون الخمس للتحايل على اللوائح المحلية التقييدية المتعلقة بمراقبة المواطنين .

و على ضوء ما سبق فإنّ الدول العظمى أضحت تتنافس على فرض نفوذها الجيوسياسي السبراني أي في هذا الفضاء الافتراضي بوضع إستثمارات كبرى في هذا المجال حيث يشير باسكال بونيفاس إلى قوة الشركات الأمريكية و بالأخص خمس شركات كبرى في مجال الإنترنت الجافام **GAFAM** و هي تضم google aple شركات facebook amazone microsoft و لهم إستثمارات كبرى في المجال الرقمي والروبوتيك و الذكاء الإصطناعي ، و أسهمهم في البورصة في تزايد مستمر و أصحابها من أكبر أغنياء العالم فبذلك يُشكلون قوة كبيرة في يد أمريكا لتوغلهم الكبير غير المسبوق في العالم و بدون منافس ، فهم أحسن دبلوماسيين أمريكيين و أكبر الإقتصادات العالمية و رمز النجاح المؤسسي الأمريكي أي قوة ناعمة في يد الولايات المتحدة تمنحها نفوذ قوي لبسط سيطرتها الناعمة عبر العالم . و رغم هذا النجاح إلا أنها إتهمت بعدة فضائح إقتصادية و سياسية و أخلاقية و تم مساءلتها لإعادة النظر في أنظمة حماية المعلومات الشخصية لمستعمليها و كذلك مسار الأموال الرقمية كالبيتكوين، و لقد حققت هذه الشركات أرباح طائلة خلال جائحة كوفيد 19 مما جعل الإتحاد الأوروبي يسعى إلى وضع ضرائب على هذه الشركات خال تجارتها داخل الدول الأوروبية .

الفصل الثالث: تطور الجيوسياسة خلال الحرب العالمية الثانية و الحرب الباردة

و يشير بونيفاس إلى أن الصين بإعتبارها قوة صاعدة فقد عززت نفسها إقتصاديا لمنافسة الولايات المتحدة على المستوى الرقمي من خلال مجموع شركات باتكس BATX وهي تضم Baidu للسيارات منذ 2001 ، و 1999 Ali Baba شركة للمبيعات تنافس أمازون ، و شركة Tencent 1988 أصبحت تنافس فايسبوك ، و شركة Xiaomi للهواتف النقالة و أصبحت تنافس آبل ، و رغم أن جافام إستثماراتها كبيرة إلا أنّ التطور الملحوظ ل باتكس أصبح يُشكّل مؤسسات إستراتيجية تنافس الصين بها الأمريكيين إلاّ أن سوقهم يبقى وطني أي داخل الصين فقط تقريبا .

فالصين كانت تملك 230 مليون هاتف ذكي للإستعمال سنة 2013 ثم تطور العدد ليصبح 850 مليون هاتف ذكي في 2020 ، و من 22 مليون مستعمل إنترنت في 2000 إلى 850 مليون مستعمل إنترنت في 2020 ، و بالتالي هذا المجال الافتراضي أصبح بالغ الأهمية في حياة الشعوب و الدول .

حرب باردة رقمية :

يشير باسكال بونيفاس أنّ الرئيس الأمريكي دونالد ترامب رأى في شركة الهواتف النقالة الصينية هواوي و في شركة تطبيق رقمي في الهاتف هي تيك توك الصينية منافسين للمؤسسات الأمريكية يجب كبحها خاصة في مجال الذكاء الإصطناعي و منع المؤسسات الأمريكية من بيعها المواد الإستراتيجية الرقمية للصين ، و هذه الأخيرة منعت إستيراد المواد الرقمية من الولايات المتحدة حتى تتمكن من تحقيق إكتفائها التكنولوجي و عدم إرتئانها لأمريكا . و لأول مرة تطبيق تيك توك الصيني يأخذ مكانة بين الشباب الأمريكي و هذا دليل على المنافسة القوية من قبل الصين في هذا المجال الافتراضي .

الفصل الثالث: تطور الجيوسياسة خلال الحرب العالمية الثانية و الحرب الباردة

ففضل هذا الفضاء الافتراضي السيراني نبح لحد بعيد إلى تقليص المسافات و توثيق ترابط الناس الدائم و المستمر من مختلف مناطق العالم أي تضيق الخارطة الجغرافية الكلاسيكية إلى حيز قرية صغيرة و هو ليس إيتوبي بل واقعي، فالوجهة التي تريد الذهاب إليها سيقودك إليها هاتفك النقال بتوجيه برمجي جغرافي مثبت فيه ، كما أن المعارك المسلحة أصبحت تدار من أماكن مغلقة بعيدة، تتم عبر أنظمة الإستشعار و نظم جغرافية رقمية متطورة و بكبسة زر تنتقل الصواريخ الباليستية إلى الأهداف المحددة بكل دقة في التنفيذ، كذلك المراقبة و الهجومات أصبحت تدار بالطائرات دون طيار هي الدرون ، والروبوت الجندي الآلي المتحكم فيه عن بعد بواسطة الحواسيب و غيرها من الأجهزة الرقمية التي أضحت أساسية في حياة الشعوب و الدول، فانتقلت الجغرافيا من الخرائط الورقية إلى جغرافيا الإستشعار عن بعد. و نظم المعلومات الرقمية الجغرافية التي سهلت عمل المخططين و التقنيين كثيرا في مختلف مجالات الحياة من تنظيم المدن و الزراعة والمشاريع التنموية و الصناعية و الإستراتيجيات العسكرية بما يحمي الأمن القومي للدول و السلام العالمي و مواجهة الأخطار الكونية و هو ما يسمى بالجيوسياسة الماورائية ، وبالتالي فالجيوسياسة السيرانية الافتراضية هي ليست خيالية و لا منعزلة عن الواقع بل مرتبطة به إلى حد التحكم الكبير فيه و بالتالي فأنصار القول بموت الجغرافيا يجابهه من يقول أن الإنترنت و الفضاء الرقمي السيراني قرّب الجغرافيا بين الشعوب و أضحى الجميع يتشارك محاسنها و يتّحد لمجابهة الأخطار العالمية التي قد تواجهه .

الفصل الثالث: تطور الجيوسياسة خلال الحرب العالمية الثانية و الحرب الباردة

فالمجال الحيوي للدولة أصبح مجالا غير ملموس غير مادي هو الفضاء السيبراني المليء بالمعلومات و من يتحكم فيها و يرصدها و يراقبها سيوسع مجاله الحيوي الذي من خلاله ييسط نفوذه كقوة عالمية .

المطلب الثاني : جيوسياسة الرياضة

إن الرياضة هي ليست فقط ألعاب ترفيهية أو مهرجانات للمنافسة ، بل إن الألعاب الرياضية تجلب إهتمام إعلامي و إجتماعي و جماهيري كبير ، هذا ما يمنحها طابع إستراتيجي هام و من خلالها يصبح اللاعبون الرياضيون المتميزون نجوم في مناطقهم و في العالم ككل الذي أصبح قرية صغيرة بفضل العولمة¹ ، ما يمنحهم تأثير عالمي كبير على الشعوب .

التحديات الاستراتيجية للرياضة

لقد تحولت الرياضة من مجرد ألعاب بدنية صحية و ترفيهية إلى ميادين للمواجهة بين الدول بطرق قانونية و سلمية ، و أصبحت اللجنة الأولمبية الدولية CIO المنظمة للألعاب الأولمبية JO ، و الإتحاد الدولية لكرة القدم FIFA لهما قوة جاذبية حيث لا تريد و لا دولة أن تكون منعزلة عنهما ، و إنهما يجمعان الدول حتى عندما تفشل هيئة الأمم المتحدة في جمع الدول المتنازعة ، و تجمع الآن الفيفا 211 عضو في حين تضم هيئة الأمم المتحدة 193 عضو² . هذا ما يمنحها بعد جيوسياسي هام .

¹ - Pascal Boniface , ATLAS des relations internationales – 100 cartepour comprendre le monde de 1945 à nos jours , ARMAND COLIN , paris , France , 2018 , p 56 .

² - Ibid p 56 .

الفصل الثالث: تطور الجيوسياسية خلال الحرب العالمية الثانية و الحرب الباردة

إنّ الألعاب الرياضية بكل أنواعها و على غرار الألعاب الأولمبية و كرة القدم فإنهما يمثلان حقيقة عولمة الرياضة، و أنّ العالم يعيش في قرية صغيرة تجمعهما هذه المنافسات الرياضية التي تمنح للفائز فيها نموذج للقوة الناعمة لبلده و دليل على المستوى الإجتماعي الجيد لهذا البلد الذي تَغَلَّبَ على سائر البلدان الأخرى، كما أنّ إستضافة أي بلد لهذه المنافسات العالمية يمنحه أفضلية في الترويج السياحي و الإستثمار الإقتصادي و الجذب العالمي له بصفته محل أنظار العالم ، و لهذا فإنّ القارة الأوروبية كان لها حصة الأسد في إستضافة هذه الألعاب منذ بدايتها سنة 1896 بالنسبة للألعاب الأولمبية و منذ 1930 بالنسبة لكأس العالم لكرة القدم ، و لم تحظى أفريقيا سوى بتنظيم مرة واحدة لكأس العالم لكرة القدم سنة 2010 ، و هذا ما يفسّر النفوذ القوي للدول الكبرى و التحالفات الدولية لتنظيم الرياضة جيوسياسيا .

إنّ كرة القدم هي الرياضة العالمية بإمتياز و التي تُمَثِّلُ رمز العولمة ، و أصبحت واسعة الإنتشار أكثر من الإقتصاد الرأسمالي و أكثر من الديمقراطية و أكثر حتى من الإنترنت، إذا فهي حقا الإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس ، لقد تطورت هذه الرياضة خلال قرن من الزمن بطريقة واسعة و سلمية ، مُحَرِّكة حماس الشعوب و بالتالي أضحت تسيطر عليهم و هذا صعب تحقيقه جيوسياسيا¹ ، و حسب الجيوسياسي باسكال بونيفاس المنظرّ لجيوسياسية الرياضة فإنّ كرة القدم هي إبتكار إنجليزي ففي 1863 إجتمع 17 ممثل للمدارس العمومية الإنجليزية و الذين يمارسون ألعاب الكرة فإنهم إجتمعوا في لندن ليضعوا و يوحدوا قوانين كرة القدم و تعززت في 1872 من خلال

¹ - Pascal Boniface , ATLAS des relations internationales – 100 cartepour comprendre le monde de 1945 à nos jours , ARMAND COLIN , paris , France , 2018 p 56 .

الفصل الثالث: تطور الجيوسياسة خلال الحرب العالمية الثانية و الحرب الباردة

التجارة العالمية للإمبراطورية البريطانية عبر العالم فقد نقلت ثقافة هذه اللعبة من خلال أسطولها البحري و تجارتها الواسعة ثم إنتشرت عبر أوروبا أولاً من خلال تأسيس الفيفا سنة 1904 ، لكن إنتشرت أساسا من خلال دمجها في الألعاب الأولمبية إبتداء من 1900 لينتشر عبر أنحاء العالم تدريجيا، و منذ 1928 قرّر الإتحاد الدولي لكرة القدم تنظيم بطولته الدولية الخاصة خارج نطاق الألعاب الأولمبية فكانت في 1930 التي نظمتها الأوروغواي و التي نظرا لبعدها عن أوروبا حيث إستغرقت الرحلات أسبوعين للوصول إلى البلد المنظم فقد تم تنظيمها في 1934 في إيطاليا ثم في فرنسا سنة 1938 و بعدها توقفت ل 12 سنة بسبب الحرب العالمية الثانية ، و في أوروبا فقد كان لكرة القدم الفضل في إعادة التوحيد الأوروبي بخلق الإتحاد الأوروبي لكرة القدم سنة 1954 ، و في كأس العالم 1954 المقامة في سويسرا فقد فازت بالكأس ألمانيا الغربية و هو فوز جعل من الشعب الألماني يفخر بكونه ألماني و بدون عقدة نقص أمام الشعوب الأخرى. و لا يفوتنا أن ننوه أنه كان لإختراع الراديو دور فعال في إنتشار كرة القدم و التعريف بها و خلق الحماس بين الشعوب و حسب بونيفاس فمنذ 1954 مع إختراع التلفزيون الذي أصبح يمثل ملعب إفتراضي عالمي ، و أصبح عدد المتفرجين يتضاعفون بشكل هائل و مع أواخر القرن العشرين و خلال القرن الواحد و العشرون أصبحت المشاهدات لمختلف الدورات الرياضية لكرة القدم تجلب أرباح كبيرة للمنظمين .

و يشير باسكال بونيفاس إلى أن الرياضة تعبير عن الهوية فرغم كون العولمة أدت إلى محو الهويات الوطنية من خلال محو الحدود و تقارب الشعوب إلا أنّ المنافسات الرياضية أعادت إبراز الهويات الوطنية و التأكيد عليها إلى حد الشوفينية أحيانا ، و بالتالي

الفصل الثالث: تطور الجيوسياسة خلال الحرب العالمية الثانية و الحرب الباردة

فالأبطال الأولمبيين و المنتخبات الوطنية التي تحقّق نجاحات مبهرة تساهم في توحيد المواطنين لذلك البلد و تُبرزه على الساحة العالمية ، و حتى في الدول ذات التوحيد الشعبي الضعيف نظرا للإثنيات المتعددة أو الإختلافات العرقية و الدينية فإن مناصرة الشعب للفريق الوطني يزيل كل هذه الإختلافات و يوحد صفوف الشعب حول العلم الوطني و يزيل كلّ الفوارق الطبقية .

و من الأحداث التاريخية التي كان لها التأثير الجيوسياسي الرياضي على الأحداث العالمية نذكر منها :

- إستغلال الرئيس موسوليني إستضافة كأس العالم سنة 1934م في إيطاليا للدعاية لنظامه الفاشي خاصة بفوز إيطاليا بتلك الطبعة و الطبعة التي تلتها و التي نظمتها فرنسا و بالتالي تأكيد موسوليني على إمتياز نظامه الفاشي و خلق بروباغوندا له ، وكذلك فعل هتلر مع أولمبياد برلين عام 1938، و عوقبت ألمانيا المنهزمة في الحرب بتغييبها عن البطولات العالمية التي تلتها.

- و فضلا عن ذلك فإن فريق كرة القدم أضحى يمثل رمز إستقلال الدول و من ركائز إبراز الهوية الوطنية خاصة الدول حديثة الإستقلال ، و حتى قبل الإستقلال كطريقة لتعبير عن رغبة الشعب في الإستقلال و النضال من أجله و أبرز مثال هو الجزائر قبل إستقلالها، حيث أنّ فريق كرة القدم لجبهة التحرير الوطني منذ سنة 1958 الذي شارك في أزيد من 60 مقابلة كان له دور كبير في التعريف بالجزائر و الدعوة للإعتراف بإستقلالها ، كما يشير بونيفاس إلى تايوان التي ليس لها مقعد في الأمم المتحدة إلا أن الفيضا إعترفت بها و هذا تعبیر للصراع الجيوسياسي بين الصين و تايوان التي تناضل هذه

الفصل الثالث: تطور الجيوسياسة خلال الحرب العالمية الثانية و الحرب الباردة

الأخيرة للإستقلال التام عن الصين ، و فلسطين التي إنضمت إلى الفيفا في 1998 ،
فالمباراة مع هذه الدول تعتبر إعتراف ضمني بوجودها و إستقلالها.

- في بطولة كأس العالم في المكسيك لعام 1986، وبعد حرب الفوكلانديين الأرجنتين والمملكة المتحدة، إتقت الأرجنتين وإنجلترا في الدور ربع النهائي، حيث سجّل دييغو مارادونا كلا الهدفين في إنتصار 2-1 للجنوب أمريكيين. سمّي كل من أهداف مارادونا يد الله الذي سجّل الهدف بيده ، و إعتُبر هدف القرن وُحُلِّدت ليس فقط في الأرجنتين ولكن حول العالم لأنّ كل واحد منهما إعتبر مثيراً للإعجاب، الكثير من الأرجنتينيين إعتبروا الفوز إنتقام من الإنجليز لما حصل في حرب الفوكلانديين .

- في كأس العالم لعام 1998، المقامة في فرنسا، سجّلت إيران أول نصر لها في كأس العالم في المباراة الثانية، بفوزها على الولايات المتحدة 2-1، مع تسجيل إستيلي ومهدافيكيا للأهداف لإيران، كانت المباراة مشحونة بالكثير من الإثارة بسبب الموقف السياسي لكلا البلدين بعد الثورة الإيرانية؛ ومع ذلك في سياق التحدي ضد كل أشكال الكره أو إدخال السياسة في الرياضة، قابل كل من الطرفين الآخر بالهدايا والزهور و وقفوا سويةً من أجل إلتقاط أول صورة جماعية قبل بدء المباراة و كانت قبل ذلك اليوم كل فرقة تأخذ صورة لوحدها .

- قد يكون أحيانا فوز في مباراة كرة القدم بمثابة إنتصار في حرب أو ربما أكثر، حيث أنه قد يكون للرياضي مكانة أعلى شأنًا من السياسي ، و هذا ما قام به ديديه دروغبا نجم منتخب تشيلسي عند تأهل منتخب بلاده ساحل العاج للمونديال لأول مرة في

الفصل الثالث: تطور الجيوسياسة خلال الحرب العالمية الثانية و الحرب الباردة

2005 و خاطب شعبه أن يوقفوا الحرب الأهلية داخل بلاده و التي إستمرت لسنوات و بالفعل كان من الأسباب الفعالة في توقف الحرب .

- كذلك تدعيم فريق برشلونة بإنفصال إقليم كتالونيا عن إسبانيا جعل القضية تصبح عالمية .

- قد تؤدي مباراة كرة القدم إلى حرب ، كالتي حدثت في 1969 للتصفيات النهائية المؤهلة لمونديال 1970 ، حيث وقعت هندوراس و السالفادور في مواجهة حاسمة لتحديد الفريق المتأهل إلى المرحلة النهائية ، فجاءت نتيجة أول مباراة بينهما بفوز هندوراس على ملعبها وسط إعتداء الجماهير على مشجعي سالفادور ، حيث هاجم مواطني هندوراس مواطني السالفادور مما دفعهم الفرار لبلدهم ، و بعدها المباراة الثانية بعد أسبوع واحد من المباراة الأولى لكن ربحت هنا السالفادور و قام مواطنو السالفادور بالاعتداء على جماهير هندوراس ، و بعدها جاءت المباراة الثالثة الفاصلة بين الفريقين في 14 يوليو 1969 و فازت السالفادور و تأهلت و مع نهاية اللقاء كانت الدولتان قد نشرتا قواتهما على طول الحدود بينهما و إنتهكت طائرة من الهندوس أجواء السالفادور و أطلقت الأخرى النيران و إشتعلت الحرب بينهما لكن تدخلت عديد الدول لحل النزاع و توقفت الحرب بعد خسائر كبيرة من الجانبين ، فرغم أن البلدين كانا يعيشان في نزاع بينهما إلا أن مباراة كرة القدم كانت القطرة التي أشعلت الحرب بينهما .

- ومرة أخرى، في 6 سبتمبر 2008 واجهت تركيا وأرمينيا بعضهما البعض في مباراة تصفيات كأس العالم لعام 2010 في يريفان. في خطوة غير مسبوقة، دعي الرئيس التركي عبد الله غول لمشاهدة المباراة، حيث جلسا سويا هو ونظيره الأرميني سيرج

الفصل الثالث: تطور الجيوسياسة خلال الحرب العالمية الثانية و الحرب الباردة

سرڪسيان ، وإن كان خلف الزجاج المضاد للرصاص. ومع ذلك، كاد النشيد الوطني التركي أن يُغرق بالهتافات من قبل 35.000 مشجع أرمني، مظهرًا أنه ما يزال هناك إنعدام الثقة بين البلدين. على أية حال فإن اللفتة بين الرئيسين تظهر أنهم آمنوا أن «دبلوماسية كرة القدم» حققت الهدف الأكثر أهمية. وكان هذا الأمر الأول من نوعه للبلدين المنقسمين بسبب إرث أول إبادة جماعية في القرن العشرين سنة 1915 في حق الأرمن من طرف الدولة العثمانية.

- كما أنّ منح المدن تنظيم الألعاب الأولمبية يعكس دائما ميزان القوى الجيوسياسي، فقبل الحرب العالمية الثانية كانت فقط أوروبا و الولايات المتحدة من تحظى بإمتياز إستضافة هذه البطولة ، و في 1964 منحت طوكيو إستضافتها و هو تعبير طي صفحة الحرب العالمية الثانية و دخولها في الحداثة ، و في 1968 مُنحت لمدينة مكسيكو كإعتراف بدول العالم الثالث ، و في 1972 مُنحت لبرلين كتلميح لعودة ألمانيا كقوة ، و في 1980 إستضافتها موسكو إلا أنها لقيت مقاطعة من طرف الولايات المتحدة الأمريكية و ما يقارب 50 دولة غربية على خلفية غزو الإتحاد السوفياتي لأفغانستان سنة 1979¹ ، و في 1984 أقيمت في لوس أنجلس الولايات المتحدة و كرد على مقاطعة الغرب لألعاب 1980 فقد قاطع الإتحاد السوفياتي و ما يقارب 15 دولة من الكتلة الشيوعية هذه الألعاب ، في حين أفريقيا و الشرق الأوسط و آسيا الوسطى لم يتسنى لها إمتياز إستضافة الألعاب الأولمبية ، فهل هذا راجع لعدم قدرتها على تنظيم هذه التظاهرات ؟ أم لسبب جيوسياسي ؟

¹ - Pascal Boniface , ATLAS des relations internationales – 100 cartepour comprendre le monde de 1945 à nos jours , ARMAND COLIN , paris , France , 2018 p 57 .

الفصل الثالث: تطور الجيوسياسة خلال الحرب العالمية الثانية و الحرب الباردة

و في 2022 بعد التدخل العسكري الروسي في أوكرانيا فإن اللجان الرياضية عاقبة الرئيس الروسي بوتين بمنع المنتخبات الروسية بالمشاركة في كأس العالم و غيرها من الملتقيات الرياضية . و هذا ما جعل السياسة تتحكم في الرياضة حيث أنه لم يتم منع أمريكا من المشاركة في الملتقيات الرياضية عندما كان لها تدخلات عسكرية في العراق مثلا .

كما أنه عند منع روسيا من المشاركة فهل هو عقاب للرئيس بوتين أم للشعب الروسي ؟ فإن كان عقاب للرئيس بوتين فما كان يجب منع المنتخبات الرياضية الروسية من المشاركة في المنافسات العالمية لأنها حق الشعوب ، و إن كان عقاب للشعب فهذا يعني أن روسيا هي دولة ديمقراطية و لا يجب إصدار أحكام بالدكتاتورية و الشمولية على الرئيس بوتين . كما أن الألعاب الرياضية و خاصة كرة القدم فإنها تسير بإقتصاد مالي يفوق التصورات أموال كبيرة تدور في فلكها فهي جالبة لإستثمارات مستمرة و متزايدة عبر كافة أنحاء العالم و مداخلها تفوق عديد المصانع و الشركات و تعتبر المنتخبات الرياضية بمثابة شركات كبرى متعددة الجنسيات، و إنه على سبيل المثال فإنّ كل الدول التي إستضافت كأس العالم لكرة القدم لم تستثمر أكثر من 15 مليار دولار إلا أن قطر إستثمرت 220 مليار دولار في إحتضانها لكأس العالم 2022 من منشآت رياضية و بنى تحتية تسعى إلى منحها أحسن صورة كقوة ناعمة إقليميا و مُنافسة للدول السياحية على غرار الإمارات العربية، و ممثلة لأول مرة في تاريخ كرة القدم لدول العالم العربي و الإسلامي الوحيدة التي إستضافت تظاهرة رياضية عالمية . و رغم عديد المعارضات حول تنظيم قطر للمونديال بحجج غياب الديمقراطية أو الفساد الرياضي أو حقوق الإنسان للعمال

الفصل الثالث: تطور الجيوسياسة خلال الحرب العالمية الثانية و الحرب الباردة

في قطر ، فإنه في نظر الفيفا هو توسيع لإمبراطورية كرة القدم ليشمل كل مناطق العالم حتى أنّ سبب الطقس الساخن صيفا في قطر فقد تم تعديل فترة إجراء منافسة كأس العالم لأول مرة في التاريخ من فصل الصيف إلى فصل الشتاء شهر نوفمبر أين يكون الجو معتدل في قطر و إضافة لذلك فقد جهّزت قطر كل الملاعب الرياضية بالمكيفات الهوائية .

يشير باسكال بونيفاس إلى أنّ أول كأس عالم لكرة القدم في 1930 كانت قد نظمها الأوروبيون هذا البلد الصغير المحصور بين بلدين عملاقين هما البرازيل و الأرجنتين ، فأراد هذا البلد أن يبرز وجوده من خلال تنظيمه لكأس العالم الذي يستضيف فيه كل بلدان العالم مبرزا حضوره بين البلدين العملاقين المجاورين ، و نفس الشيء بالنسبة لقطر هذا البلد الصغير المحصور بين بلدين عملاقين هما السعودية و إيران ، فإنه يريد أن يبرز ذاته بتواجده كقوة ناعمة و حضور تعترف به كل الدول المشاركة بالمونديال و كل دول العالم التي سترى هذا الحدث الذي يشاهده كل سكان العالم ، فحتى المقاطعة بين السعودية و حليفتها الإمارات العربية و دولة البحرين و مصر إتجاه قطر في 2017 لم يُنقص من عزمها في تنظيم هذا الحدث الهام الذي سيُكتب في تاريخ قطر رغم الصعوبات الكبيرة التي واجهتها و كانت قد تؤدي إلى فقدانها تنظيم المونديال ، إلا أنها تريد أن تبرز إسمها ممثلة لكل العرب و المسلمين و محل أنظار العالم.

و الجدير بالملاحظة أن مقولة كارل ماركس " الدين أفيون الشعوب " قد تحوّلت اليوم إلى " كرة القدم أفيون الشعوب " و هذا تعبير عن الإهتمام الكبير للشعوب بهذه الرياضة والتأثر بها إلى حد كبير يصل إلى الصراعات و الحروب بين الدول و قد يؤدي

الفصل الثالث: تطور الجيوسياسة خلال الحرب العالمية الثانية و الحرب الباردة

أحيانا إلى حروب أهلية و نزاعات طائفية في المباريات المحلية و تهتم الدول بهذه الرياضة بإهتمام خاص مقارنة بالرياضات الأخرى فقد تؤدي هذه الرياضة إلى سلم إجتماعي أو إلى الفوضى، من خلال الجماهير الغاضبة جراء الخسارة في مباراة كرة القدم .

و تأسيسا على ذلك فإن المنافسات العالمية تُبرز البعد الجيوسياسي للرياضة ، و أنّ المنظمات الرياضية العالمية أداة ضغط و نفوذ ناعم يتحكم فيها الغرب لحد الآن ، كما أنّ الصراع بين الشرق و الغرب مازال قائم، و إن رمزية الحصول دولة على أكبر عدد من الميداليات في المنافسات الأولمبية تعكس قوة و رفاهية شعبها و إعتبارها نموذج يقتدى به .

المطلب الثالث : الجيوسياسة الشعبية

و هي التصور الجيوسياسي للدولة الذي تُغذي به شعبها ليحملوا نفس توجه الدولة وهذه الأفكار التي تعد مصيرية بالنسبة للدولة تستمر بغرسها لتترسخ داخل المخيال الشعبي كجزء لا يتجزء من مصير الأمة ، حيث يتم تشكيل الجيوسياسة الشعبية بنظرة واضحة للقضايا المهمة للأمة و يتم نشرها بكافة الوسائل من الخطابات السياسية، القنوات الإعلامية ، وسائل التواصل الإجتماعي ، الأفلام ، المسرح و الروايات ، الجرائد و الكتب و المجلات و غيرها ، فبالثقافة الشعبية تُنشئ وعيا واسعا منتشرًا للتصور الجيوسياسي لدى المواطنين ليتطابق بين توجه الدولة و مصلحة الأمة .

و من أمثلة ذلك قضية إقليم ناغورنو كوراباخ ، فبالنسبة لأرمينيا فإنها تروج له بأنه جزء لا يتجزأ منها ، و من جهة أخرى ترسخ أذربيجان لدى شعوبها بأن إقليم ناغورنو

الفصل الثالث: تطور الجيوسياسة خلال الحرب العالمية الثانية و الحرب الباردة

كوراباخ جزء لا يتجزأ منها و يجب دائما الدفاع عنه و التضحية في سبيله ، كذلك قضية تايوان بالنسبة للصين حيث ترسخ هذه الأخيرة لدى شعبها أن تايوان جزء لا يتجزأ من الصين و بدونها تتوقف الصين عن كونها دولة عظمى ، و من جهة أخرى تسعى تايوان بتدعيم من الولايات المتحدة أن تثبت باستقلالها عن الصين و ترسخ في شعبها إختلافه عن الصين من حيث التحضر و الديمقراطية و حقوق الإنسان . كذلك قضية أوكرانيا بالنسبة لروسيا فهذه الأخيرة تراها من دول الخارج القريب و أنها ذات صلة وثيقة بها بإعتبار التاريخ المشترك و أنها كانت دائما جزءا منها و يجمعهما نفس العرق و التقاليد و المعتقدات و بدونها تتوقف روسيا عن كونها دولة عظمى و أنها لا تسمح أن تكون أوكرانيا تابعة للكتلة الغربية و ترفض تماما أن تنضم إلى حلف الناتو ، و هذا ما قاله ألكسندر دوغين و من خلال مؤلفاته يرسم جيوسياسة روسيا و يُرسخ جيوسياسة شعبية لدى الأمة الروسية بالدفاع عن مصالح روسيا العظمى .

و الجدير بالذكر فإن الولايات المتحدة الأمريكية هي أيضا تزرع جيوسياسة شعبية لدى مواطنيها بمساندتها في تدخلاتها الدولية كالعراق و أفغانستان و من قَبَل فيتنام و غيرها من القضايا التي تحتاج إلى قبول شعبي للمضي قدما فيه ، كما أنها ترسخ لدى شعبها مبدأ مونرو بأن لا تتقدم و لا قوة أجنبية في القارة الأمريكية سواء الشمالية أو الجنوبية بإعتبارها الحديقة الخلفية للولايات المتحدة و على سبيل المثال فإن قضية أزمة الصواريخ الكوبية لم تتحملها أمريكا و سارعت إلى التفاوض مع الإتحاد السوفياتي إلى نزعها مقابل أن تنزع الولايات المتحدة صواريخها من تركيا .

و في هذا السياق يحاجج كولين فلينت **Colin Flint** بأنه " إذا ما كان قتال الأعداء محتمًا ، فيجب أن يكون أساس العداوة واضحًا أيضًا ، كما من الضرورة تبرير أهوال الحرب . يتم تصوير الأعداء على أنهم برابرة أو شياطين و سياساتهم غير عقلانية " ¹ ، هذا التصوير و البروباغوندا هو جيوسياسة شعبية تسمح للدولة بالمضي قدما في قراراتها بقبول شعبي مضمون .

و مع إنتشار العولمة التي تعتبر سلاح ذو حدين، فإن لم تعرف الدولة كيف لها أن توظفها لصالحها كانت أداة فتاكة في يد العدو ضدها ، و من هذا المنطلق سعت الدول إلى تعزيز نشر تصوراتها الجيوسياسية في مخيال شعوبها و كيفية تلميع صورتها لدى الرأي العام العالمي ، من خلال المفكرين و الباحثين و الإعلاميين و المشاهير و الرياضيين والفنانين الذين يُعتبرون سفراء الدولة و ممثلها في مختلف المحافل الدولية كذلك الأفلام والأغاني و الرسوم الكرتونية و الشرائط الوثائقية و البحوث و المجلات العلمية الجامعية والمؤلفات السياسية و الإجتماعية و الثقافية و القنوات الإعلامية و غيرها، و التي من خلالها تُكوّن الدولة جيوسياسة شعبية لصالحها بالتالي تعزز القوة الناعمة للدولة .

يرى كولين فلينت أن الجيوسياسة الإفتراضية النقدية الما بعد حداثة و التي لا تعترف بإمكانية فهم الكيفية التي يعمل بها العالم ، و يرى الأمر الوحيد الذي نستطيع القيام به

¹ - أغنيشكا لغونسكا ، الجيوبوليتيك الجديدة - ما الجديد فعليا في هذا الحقل ؟ ، ترجمة جلال خشيب ، إدراك للدراسات و الإستشارات ، تركيا ، جانفي 2018 ، ص 11
Agnieszka legucka, Copernicus Journal of Political Studies, Issue 2 (4)
2013, Warsaw-Poland, PP: 05-10

الفصل الثالث: تطور الجيوسياسة خلال الحرب العالمية الثانية و الحرب الباردة

هو محاولة فهم الآليات و القوانين الجيوسياسية للدول ، فحسب وجهة النظر هذه فإن لكل بلد شيفرته و قوانينه الخاصة و التي تُعرف بتكونها من خمسة حسابات أساسية¹:

- 1 - من هم حلفاؤنا الحاليون و المحتملون .
- 2 - من هم أعداؤنا الحاليون و المحتملون .
- 3 - كيف يمكن المحافظة على حلفاؤنا الحاليون و رعاية حلفاؤنا المحتملون.
- 4 - كيف يمكن مواجهة أعدائنا الحاليين و التهديدات الصاعدة .
- 5 - كيف يمكن تبرير الحسابات الأربع لجمهورنا و للمجتمع الدولي أيضا .

و بناء على ما سبق فإن الجيوسياسة الشعبية أضحت تكتسي أهمية كبيرة لدى صناع القرار في الدول لرسم سياسة متطابقة بين توجه الدولة و شعبها، خاصة و أن النظريات الكلاسيكية للجيوسياسة قد تغيرت و لم يعد قلب واحد للعالم كما نظر إليه ماكندر بل لكل بلد و لكل منطقة قلب يجعل من المتحكم فيه إمتياز على المنطقة ككل، فبالنسبة للصين فإن بحر الصين الجنوبي و المحيط الهادي هو قلب العالم بالنسبة لها و من دون التحكم فيه لا تصبح الصين قوة عالمية ، و بالنسبة لإيران فإن قلب العالم هو منطقة الشرق الأوسط و من دون التحكم فيها لا تصبح قوة ، إذا على كل دولة وضع جيوسياتها الخاصة و إبرازها عن طريق الجيوسياسة الشعبية حتى يتسنى توحيد الرؤى بين الشعب و الدولة لتحقيق الأهداف الإستراتيجية المسطرة .

¹ - أغنيتشكا لغونسكا ، الجيوبوليتيك الجديدة - ما الجديد فعليا في هذا الحقل ؟ ، ترجمة جلال خشيب ، إدراك للدراسات و الإستشارات ، تركيا ، جانفي 2018 ، ص 11
Agnieszka legucka, Copernicus Journal of Political Studies, Issue 2 (4)
2013, Warsaw-Poland, PP: 05-10

المطلب الرابع : جيوسياسة المعرفة

و هو ما ذهب إليه يورغان هابرماس على وجود علاقة وثيقة بين المعرفة و المصلحة ، إذ تخدم المعرفة دائما شخص ما و هدف ما و مصلحة ما ، فهي نتاج إجتماعي تاريخي لا يمكن فصله عن محيطه . و لهذا عدة أمثلة كالأوراسية الجديدة لألكسندر دوغين فإنها تخدم المصلحة الروسية الحالية و كتاب رقعة الشطرنج الكبرى لبريجنسكي تخدم مصلحة الولايات المتحدة و قبله نظرية القوة البحرية لماهان ، كذلك نظرية هاوشهوفر تخدم مصلحة ألمانيا النازية ، على غرار المعرفة الإقتصادية و التكنولوجية و الطبية و الفضائية و العسكرية و غيرها ، لأنها تُحقق لها عدة إمتيازات تمنحها مجال واسع للمناورة لتحقيق أهدافها، لهذا تهتم الدول المعاصرة بـ **جيوسياسة المعرفة** و هذا ما تم التنويه به من خلال أعمال خبيرا الدفاع الأمريكان **جون أركيلا و ديفيد روزفلت** في كتابهما المعنون **إنبثاق سياسة المعرفة الصادر سنة 1999** و نظرية الحرب المعرفية الإفتراضية .

تجعل المعرفة معادلات التفوق الإستراتيجي متأرجحة بين الدول و بالتالي تغير مستمر في موازين القوى العالمي ، و إنّ المعرفة تُغيّر كثيرا من الجغرافيا فتجعل هذه ذات أهمية وتهمّش أخرى و منه فقد زاد إهتمام الدول بمراكز البحث و الجامعات الأكاديمية ذات أكبر منتوج علمي و جلب الطلبة من مختلف أنحاء العالم و إستثمارات كبيرة في هذا المجال و هذا ما إهتمت به كثيرا الولايات المتحدة الأمريكية. و في عصرنا الحالي تسعى الصين إلى الإضطلاع بمركز متفوق في هذا المجال بإنشائها عدة مشاريع عملاقة مبرزة قوتها المعرفية و مواجهة للتحديات الجيوسياسة العالمية .

الفصل الثالث: تطور الجيوسياسة خلال الحرب العالمية الثانية و الحرب الباردة

و من مشاريع الصين الهائلة نذكر جسر الذي يربط مدينة ماكاو بمدينة هونكونج والصينيتين و هذا الجسر يمر تحت الماء ينتقل من خلاله المواطنون إلى مدينة ماكاو التي لها عُمَلتها الخاصة و تتحول قيادة السير في الطرقات من اليمين إلى اليسار و جواز سفر لهونكونج و جواز سفر خاص بماكاو، هذا لتسهيل التنقل عبر كافة أقطار الدولة بأقل وقت و متحديّة كل الصعاب حتى المياه مبرزة قوتها المعرفية المتفوقة على عديد الدول .

وإستثمارات الصين في الميغا مشروع أي مشاريع ضخمة مثل مشروع سد الممرات الثلاثة barrage des Trois-Gorges و هو أكبر سد هيدروليكي في العالم في الصين و يُعد من أكبر المشاريع الهندسية في العالم الذي دخل حيز الخدمة في 2013 و يبلغ طول جدار السد 2,3 كيلومتر و يرتفع عن سطح البحر 183 متر بمساحة 1545 كيلومتر مربع و بالتالي يُوفّر كمية كبيرة من الطاقة الكهربائية و يواجه التحديات المستقبلية لجيوسياسة المياه .

ومن الجدير بالملاحظة فإن تايوان لا تملك موارد أولية و لا ميزة إستراتيجية هائلة لكن هي أول مصنّع للشرائح الإلكترونية في العالم و لها عديد المصانع الإستراتيجية بفضل الإستثمارات الأمريكية فيها ، فأهميتها في قدرتها المعرفية و بالتالي الإنتاجية و الصناعية، فإن دخلت الصين في حرب معها فستكون أزمة إقتصادية كبيرة للصين و في العالم أيضا، و الخاسر الأكبر هو الصين. حيث أن الإستراتيجية الأمريكية لمنع حدوث الحرب بين دولتين هو أن يكون للدولتين مبادلات تجارية و إقتصادية بحيث نشوب أي حرب بينهما سيكلّف خسائر للطرفين تفوق أي مكاسب من الحرب و هذا ما جعل الولايات المتحدة تستثمر في تايوان في مصانع إستراتيجية على غرار الشرائح الإلكترونية ، فقوة

الفصل الثالث: تطور الجيوسياسة خلال الحرب العالمية الثانية و الحرب الباردة

تايوان هي جيوسياسة المعرفة التي تلقى الدعم الكبير من الولايات المتحدة لتواجه بها الصين التي تسعى إلى ضمها التام إليها .

الصين تفسّر عدم سيطرتها التامة على بعض الأقاليم داخلها بأن جمهورية الصين الشعبية تحمل داخلها أنظمة حكم مختلفة، من خلال هته المدن التي تُعتبر ديمقراطية مثل تايوان ماكاو و هونكونج فكلّ منها له طابع خاص لكن لن تتنازل الصين عن أية واحدة منها و لن تقبل بإستقلالها و تعتبرها جزء لا يتجزأ من الصين .

و هنا يحملنا إلى السؤال ماذا يحدث لو وضعنا المعرفة في مكان معين ؟ هنا ستتحول تايوان من مجرد جزيرة للصيد أو ميناء للقوارب إلى جعلها من أهم المدن في العالم .

مشروع الولايات المتحدة في ترحيل العلماء و الباحثين الألمان إلى الولايات المتحدة سُمي عملية بابر كليب Operation Paperclip حيث رحّلت 1500 عالم غداة نهاية الحرب العالمية الثانية و لم تتوقف حتى سنة 1957 عندما إنتفضت حكومة ألمانيا الغربية في وجه الحكومة الأمريكية لتوقيف هجرة الأدمغة ، كما أخذت أمريكا الأسلحة السرية للرايخ الثالث، و بهذا تفوقت أمريكا في المجال العلمي خاصة في الحرب الباردة ، و من أشهر العلماء الألمان الذي تم ترحيلهم إلى الولايات المتحدة و التي إستفادت منهم هو وارنر فون بررون werher von braun 1912-1977 من مؤسسي وكالة ناسا مدير مركز الطيران الفضائي فيها سنة 1964 .

و لهذا يجب الإشارة إلى أنّ الألمان هم أول من إبتكر طائرة الهليكوبتر و نظارات الأشعة تحت الحمراء في 1944 .

الفصل الثالث: تطور الجيوسياسة خلال الحرب العالمية الثانية و الحرب الباردة

و في هذا المقام نشير إلى العالم الألماني فارنر هايسنبورغ Waerner Heisenberg و فيزيائي متحصل على شهادة نوبل في الفيزياء سنة 1932 بإكتشافه الميكانيك الكمية ، كما أنه ساهم في البحوث النووية في الحرب العالمية الثانية للرايخ الثالث النازي ، و من المؤرخين من يقول أنه كان يسعى إلى تخريب مشروع ألمانيا النووي لأنّ وصول ألمانيا للقنابل النووية ستؤدي إلى تدمير العالم . و تم القبض عليه بعد إنتهاء الحرب و أُسر ثم أُطلق صراحه ليكمل حياته الأكاديمية في ألمانيا الغربية . و لنا أن نتصور إن أنتجت ألمانيا النازية القنابل النووية قبل الولايات المتحدة الأمريكية كيف كانت ستتتهي الحرب ، أكيد لصالح هتلر و لإنقلبت موازين القوى ، و منه ترجع أهمية القوة المعرفية .

كما تجدر الإشارة إلى أنّ نابوليون عندما أراد أن يتمكن جنوده من قراءة رسائله ليلا و بدون أن يشعلوا المصابيح حتى لا يتم إكتشافهم ، فتم إبتكار كتابة عسكرية، هي التي تم تطويرها فيما بعد من قبل برايل و سميت بإسمه ، فتم تطوير الكتابة العسكرية من أجل الحرب و إنتقلت فيما بعد من إختراع عسكري إلى الحياة المدنية و هي كتابة برايل يقرأ بها المكفوفون اليوم .¹ و لهذا فعدد العلوم خاصة الإستراتيجية الهامة تكون عند الجيش ثم تنتقل من الميدان العسكري إلى الميدان المدني .

فالصراع في العالم بين القوى العظمى هو حول السلطة و بسط النفوذ و جيوسياسة المعرفة هي التفاعل بين السلطة و المعرفة ، و هي كيفية بسط النفوذ .

¹ - Idriss j. Aberkane , Geopolitique de la connaissance , conferece au Cercle Aristote, 18 aout 2022
www.youtube.com/watch?v=BOfdULZsQqE 19 aout 2022 .

الفصل الثالث: تطور الجيوسياسة خلال الحرب العالمية الثانية و الحرب الباردة

و المعرفة جعلت من حروب التجسس تنتقل إلى مستويات عُليا يصعب كشفها و لقد كان برنامج التجسس البريطاني على ألمانيا النازية دون أن يكتشفوا ذلك جعل من المعرفة المسبقة لعمليات هتلر ترجّح كفة بريطانيا في المعارك .

و تجدر الإشارة أيضا إلى أن رئيس الوزراء الباكستاني ذو الفقار علي بوتو قدّم تصريح عام 1965 و الذي تولى دعم البرنامج النووي الباكستاني بقوله : " إذا بنت الهند القنبلة النووية فإننا سنقتات الأعشاب و الأوراق بل حتى نعاني آلام الجوع و لكننا سنحصل على قنبلة من صنع أيدينا " ، و في عام 1974 عبّر عن عزم بلاده تطوير السلاح النووي بعد تفجير نووي هندي فقال " حتى يتسنى لباكستان البقاء كدولة مستقلة فإنّ عليها إنشاء برنامج نووي " فكانت مساهمات عبد القدير خان لباكستان أساسية في سبيل إمتلاكها للسلاح النووي و هو الذي ولد في بوبال في الهند فترة الإحتلال البريطاني و درس في كاراتشي و إنتقل من جامعتها إلى جامعة برلين و نال الماجستير من جامعة دلفت التكنولوجية في هولندا و نال الدكتوراه من جامعة لوغين البلجيكية ، و عمل في شركة FDO الهندسية التي لها صلة وثيقة بمنظمة اليورنكو أكبر منظمة أوروبية بحثية لتخصيب اليورانيوم المدعومة من أمريكا و هولندا و ألمانيا ، ثم عاد لباكستان ليكلفه رئيس الوزراء بوتو برئاسة برنامج باكستان النووي و عدم الرجوع إلى هولندا، و بفضل مجهودات عبد القدير خان الذي إستفاد من المعرفة الغربية و نقلها لبلاده فتمكنت باكستان من تحصيلها القنبلة النووية .

و بالتالي يقول إدريس أبركان أن المعرفة يمكنها أن تُغيّر تماما مجرى التاريخ ، لكن تبقى الإشكالية حين تتحكم السلطة في المعرفة ، و في هذا الصدد فإن جيوسياسة المعرفة هي

الفصل الثالث: تطور الجيوسياسة خلال الحرب العالمية الثانية و الحرب الباردة

التفاعل بين السلطة و المعرفة ، من يتحكم في الآخر ؟ هل المعرفة تتحكم في السلطة أم السلطة تتحكم في المعرفة ؟ لكن العديد من التجارب التاريخية تشير إلى أن السلطة هي التي تتحكم في المعرفة . و قد قال الرئيس الأمريكي آيزنهاور الحرب هي **توظيف أحسن المعارف لزماننا** . و منه فإن أحسن المعارف يتم الإنتباه إليها خاصة عندما تنتج أسلحة. فليوناردو دي فنشي لم يُهتم به كرسام لكن بمجرد قيامه باختراعات حربية تم الإهتمام به، كذلك نوبل إخترع أسلحة ، آينشتين كان مشارك في أول مشروع أمريكي للأسلحة النووية ، تاسلا أيضا عمل على الأسلحة ، السلطة تهتم بمن يمنحها التفوق المعرفي العسكري أكثر من المجالات الأخرى و لهذا فمازالت السلطة هي التي تحكم المعرفة .

و منه فإن تحديات العصر هي مدى تملك الدول من الذكاء الإصطناعي و من أجهزة التحكم و المعرفة .

و بالرجوع إلى توماس هوبز "العلوم هي السلطة"، و التاريخ يكشف أن صراع المعرفة هو الذي حسم الحرب الباردة لصالح الولايات المتحدة الأمريكية . و يقول ميشال فوكو : " أن المعرفة هي إمتداد لمن يمتلك السلطة ، من يمتلك السلطة أو القوة هو الذي يحدد مضمون المعرفة " أي من يمتلك السلطة يشكّل المعرفة .

و الجدير بالذكر فإن إن-كيو-تل In-Q-Tel هو صندوق الإستثمارات الأمريكي أنشأته وكالة الإستخبارات الأمريكية CIA ، و دوره هو تحديد و تمويل المؤسسات التكنولوجية التجارية بغرض جمع معلومات المستخدمين و القيام بالتحريات و مواكبة

الفصل الثالث: تطور الجيوسياسة خلال الحرب العالمية الثانية و الحرب الباردة

التطورات التكنولوجية للمؤسسات الإقتصادية و هذا الصندوق من أول تمويل الفايستوك منذ بداياته ، و بالتالي ليس فقط جمع المعلومات لكن أيضا تحصيل الأرباح .

و يمكن ملاحظة النزاع الروسي الأوكراني الذي إندلج منذ 24 فيفري 2022 فهو من أكبر تجليات الحروب المعرفية بين قوتين عالميتين روسيا من جهة و من جهة أخرى الولايات المتحدة و الدول الغربية عبر المساعدات لأوكرانيا التي تقوم بحرب بالوكالة عنهم، و يشهد هذا النزاع أسلحة تكنولوجية متطورة على غرار الطائرات بدون طيار درون الحربية ، و أخرى جد صغيرة لجمع المعلومات و الصور عبر الأقمار الصناعية الجد متطورة و الروبوتات المقاتلة و الأسلحة البيولوجية الفتاكة .¹

و كذا العقوبات الإقتصادية من الغرب على روسيا مثل عزلها عن النظام البنكي سويفت و SWIFT و الذي من خلاله تتم جل التحويلات البنكية بين الدول و بدون تصعب جدا التجارة الدولية التي أصبحت أساسية في إقتصادات الدول ، كذلك منع بيعها الشرائح الإلكترونية التي أضحت أساسية في كل الأجهزة الإلكترونية الحالية من سيارات و طائرات و أجهزة منزلية و إدارية و صناعية و التي تملك الولايات المتحدة أفضل تكنولوجيا من حيث الحجم فيها .

كما أن إنتشار العولمة و الأجهزة التكنولوجية و الرقمية جعل العالم يتنافس على الإكتشافات الجديدة و براءات الإختراع ، و قد ساعدت العولمة هذا التنافس ليتشارك الجميع مهمة البحث و الابتكار و تقديم الخدمات النوعية ، كما أنّ معظم البحوث موجودة في الإنترنت حتى المحاضرات يمكن مشاهدتها في أي وقت و مترجمة بكافة

¹ - Idriss j. Aberkane , Geopolitique de la connaissance , conferece au Cercle Aristote, 18 aout 2022
www.youtube.com/watch?v=BOfdULZsQqE 19 aout 2022 .

الفصل الثالث: تطور الجيوسياسة خلال الحرب العالمية الثانية و الحرب الباردة

اللغات، وبالإمكان حضور ملتقيات دولية مباشرة و إلقاء محاضرات مباشرة من أي مكان في العالم، و حتى الكتب الورقية أصبحت رقمية و يمكن تحميلها و قراءتها عبر الكمبيوتر والأجهزة الرقمية، حتى الكتب الورقية اليوم يمكنها أن تحتوي على فيديوهات من خلال وضع خانة كود بار QR و بمجرد تصويرها بالهاتف النقال الذكي ينبثق فيديو تتم مشاهدته بصفة عادية ، وهذه براءات الإختراع تمنح مالكيها إمتياز معرفي و معلوماتي وإقتصادي.

وتماشيا مع ما تم ذكره فإن الولايات المتحدة تعمل دائما على تشجيع البحث العلمي وتطويره ، و بذلك فإنها تصدر قائمة الحاصلين على جائزة نوبل بنسبة 33 بالمئة تليها بريطانيا بنسبة 12 بالمئة تتبعها فرنسا بنسبة 5,9 بالمئة . و هذا يعكس حجم الإهتمام الأمريكي بالمعرفة العلمية و منه فإن مدينة سيليكون فالي بولاية كاليفورنيا في الولايات المتحدة فقد أصبحت ذات شهرة عالمية من حيث البحوث العلمية و براءات الإختراع و تتواجد بها أكبر الشركات العالمية، و يوجد بها عدد كبير من مطوري الشرائح السيليكونية حيث أصبح إسم المنطقة مرادف لمصطلح التقنية العالية و تساهم بثلاث العائدات الإستثمارية في مجال المشاريع الجديدة في الولايات المتحدة و منها شركة آبل وجوجل وإنتل وياهو وفايسبوك وأمازن و نيتفليكس وباي بال و يوتوب والعديد من الشركات الأخرى إضافة إلى أنّ شركات عالمية كبرى فتحت مكاتب لها في السيليكون فالي للإستفادة من خبرات الشركات الأخرى في إطار الشراكات و الإتحادات العلمية .

و مما لا يدع مجالا للشك فإنّ هذا التفوق العلمي منح الولايات المتحدة إمتياز في جعلها من أكبر إقتصادات العالم و قوة ناعمة تجعلها ذات نفوذ في الأسواق العالمية و تمنحها

الفصل الثالث: تطور الجيوسياسة خلال الحرب العالمية الثانية و الحرب الباردة

إمكانية جمع المعلومات و البيانات على مختلف شعوب العالم و حتى الحكومات أحيانا ومنه فإنّ إنتشار الشركات الأمريكية عبر القارات بإمتلاكها التكنولوجيا الحديثة تجعل الدول لا تستغني عنها ، و هي بذلك تُشكّل نفوذ داخل الدول و تجعلها حكومة خفية في التسيير و مصطلح الحكومة الخفية يعود إستخدامه إلى الرئيس الأمريكي ثيودور روزفلت الذي حدّر من هيمنة الشبكات المالية على سياسة الولايات المتحدة ، إلا أن هذه الأخيرة بفضل بنوكها و مؤسساتها المالية و شركاتها التجارية أضحت هي الحكومة الخفية في عديد دول العالم فُتحرك سياساتهم الكبرى و إقتصاداتهم و تتحكم في مقدرات الأمم و مصائر الشعوب ، و على سبيل المثال بنك جولدمان ساكس و شركة أمازون و جوجل . كما أنّه تعتبر شركة بلاك روك Black Rock, Inc التي هي شركة أمريكية متعددة الجنسيات لإدارة الإستثمار و يقع مقرها في نيويورك تأسست حديثا في 1988 و هي الآن أكبر شركة لإدارة الأصول في العالم و تُحرّك جزءا كبيرا من الإقتصاد العالمي بتسييرها لـ 7800 مليار دولار في 2020 و قد وصلت في 2022 إلى تسييرها لـ 10 آلاف مليار دولار بـ 16 ألف عامل متواجدين في 38 دولة فهي ذات نفوذ قوي في الإقتصاد العالمي ، و نتيجة لذلك فهي تعتبر أداة من أدوات جيوسياسة المعرفة تمنح إمتياز كبير في يد الولايات المتحدة الأمريكية .

كما أن السِّباق نحو التسلح لم يتوقف بل يزداد التطور العلمي في المجال العسكري من الطائرات فرط صوتية و السفن حاملات الطائرات و الغواصات المتطورة حتى أنّ الأزمة التي حدثت بين أستراليا و فرنسا اللتان كانتا قد أبرمتا إتفاق لشراء أستراليا من فرنسا غواصات حربية بقيمة ما يزيد عن 60 مليار دولار لشراء 12 غواصة تقليدية تعمل

الفصل الثالث: تطور الجيوسياسة خلال الحرب العالمية الثانية و الحرب الباردة

بالديزل و الكهرباء من شركة نافال الفرنسية ، إلا أنه في 2021 ألغت أستراليا هذه الإتفاقية مسببة خسائر كبيرة لفرنسا و الدول الأوروبية المشاركة في صناعة ملاحق هذه الغواصات . مقابل إتفاق أسترالي أمريكي بريطاني لشراء أستراليا 8 غواصات تعمل بالدفع و التكنولوجيا النووية و هي غير مزوّدة بالأسلحة النووية، إلا أنه بإمكانها حمل رؤوس نووية و صواريخ باليستية ، و هذه الغواصات يمكنها البقاء أطول في أعماق المياه بدون الحاجة إلى الشحن عكس الغواصات التقليدية وسرعتها كبيرة و يمكنها الهروب من تعقب العدو بسرعة عكس التقليدية ، و هذا الإتفاق جاء لمجابهة النمو الصيني في المحيطين الهادي و الهندي . إلا أن فرنسا تضررت كثيرا من جراء فسخ الإتفاقية . و التطور التكنولوجي هو متزايد أكثر فأكثر من خلال طائرات درون و الأسلحة البيولوجية و غيرها ، فأضحت المعرفة العلمية تخلق الفارق في القوة و بالتالي التفوق الجيوسياسي ، ولعل المناورات العسكرية بين الدول هي لإبراز التطور العلمي و التقني و اللوجستي . وفي هذا الصدد يقول جون بول سارتر " على المرء أن يُظهر قُوته حتى لا يكون مضطراً لإستعمالها " .

إنّ تطوير روسيا لمنظومة الدفاع S400 ، هي من جهة منظومة دفاعية و منظومة إستخباراتية حيث أنّ هذه المنظومة يمكنها رصد إنطلاق إي صاروخ أو طائرات أو بواخر حربية أو مدنية على بعد 600 كيلومتر من مكان تواجد هذه المنظومة و بالتالي يمكن تدمير أي خطر من على بعد هذه المسافة ، و بطبيعة الحال تحلل هذه المنظومة البيانات و المعلومات لمالكها كما أنّها ترسلها عبر الساتيليت إلى روسيا ، فهذه الأخيرة تبيع هذه المنظومة الدفاعية للدول ذات الجغرافية الإستراتيجية بداية بالدول الحلفاء و الدول

الفصل الثالث: تطور الجيوسياسة خلال الحرب العالمية الثانية و الحرب الباردة

ذات البعد الإستراتيجي كتركيا التي إشتقتها من روسيا رغم عدم موافقة أمريكا خاصة لكون تركيا عضو في الناتو ، و أفضل تفسير هو أنّ الرئيس أردوغان إشتراها لحماية نظامه من أي إنقلاب محتمل خاصة بعد الذي حدث في 2016 و الذي قد تُستعمل فيه أسلحة غربية ، لهذا أراد من خلال هذه الصفقة بعث رسائل للغرب بعدم التدخل في المسائل الداخلية لتركيا ، و هناك من يشير إلى أن هذه المنظومة لم يفعلها أردوغان بعد .

كما أن سقوط الطائرات أو العتاد الحربي سواء من خلال الحوادث أو في إحدى النزاعات المسلحة كالتجري بين روسيا و أوكرانيا فإنه يجب أن لا يستحوذ العدو على الأسلحة حتى المحطمة لكي لا يأخذ منها القطع التقنية و يُطورها ، أو يتمكن من إكتشاف تقنياتها .

إن العديد من المذاهب و النظريات العلمية ، لم تلقَ لها وجود و لا صدى داخل المجتمعات لأنّه لم تتبنّاها أيّ سلطة ، فعبر التاريخ كان دائما من يمتلك السلطة هو من يمتلك المعرفة . لكن تجدر الإشارة إلى أنّ العديد من الأنظمة التي تمتلك السلطة قد إنهارت و تلاشت و منها من وصل إلى السقوط لعدم إمتلاكها المعرفة.

الخلاصة :

تعتبر الفلسفة التفكيكية التي نادى بها جاك دريدا جسر الإنتقال من فلسفة الحداثة إلى فلسفة ما بعد الحداثة . فقد جاءت ما بعد الحداثة لتعبر عن ضرورة إستكمال مسار

الفصل الثالث: تطور الجيوسياسة خلال الحرب العالمية الثانية و الحرب الباردة

الحدثة و التنوير صوب الحرية و التحرر من جميع أشكال الخضوع و الهيمنة . باختصار، "ما بعد الحدثة" هي حركة و مشروع للتحرر من "الحدثة" .

هذا التحرر هو تحرر من جميع الأطر الجاهزة و المتناهية للمعتقدات و الميكانيزمات التفكيرية السائدة و هدم الأنساق المعرفية المغلقة ، أي السعي لتحرير الإنسان من الرهانات السلطوية عليه و تستجيب للتحديات الراهنة للوجود الإنساني ككل ، فإن كانت الحدثة قد سعت إلى تحرير الإنسان إلا أنها من جهة أخرى وضعت في أشكال جديدة من العبودية فياسم الحدثة أصبح الإنسان آلة و جعلته رهينها و إنتقلت به من الإنسان الحدائي إلى الإنسان الأداة ، هذا ما جعل عدة مفكرين يعملون على الخروج من هذه القيود على غرار جاك ديريدا و ميشال فوكو ، و يمكن القول أن ما بعد الحدثة جاءت لتقدم نفسها فلسفيا على أنها إستكمال للتحرير الكامل للإنسان الذي بدأته موجة الحدثة .

و في خضم هذا النقاشات الفلسفية و بعد مقاطعة الدول للجيوسياسة الكلاسيكية بإتهامها بنزعتها الإستعمارية و التوسعية بأنها كانت من أسباب الحرب العالمية الثانية و ما سببته من دمار ، فإن الجيوسياسيون الجدد بحثوا في تجديد حقل علم الجيوسياسة بما يتماشى مع الأفكار الفلسفية لما بعد الحدثة فحدثت **قطيعة إستمولوجية مع الجيوسياسة الكلاسيكية** المتميزة بطابع الحتمية الجغرافية و التي شهدت تراجعاً كبيراً خلال الحرب الباردة التي سادت فيها النسبية الجغرافية وهي الأخرى تراجعت ، فإن كانت الجيوسياسة الكلاسيكية تتسم نظرياتها بالصراع و التنافس على الحتمية الجغرافية بأبعادها البرية و البحرية و الجوية و إن كانت النسبية الجغرافية تتميز بدور

الفصل الثالث: تطور الجيوسياسة خلال الحرب العالمية الثانية و الحرب الباردة

صانع القرار في تفعيل الجغرافيا و إبراز أهميتها أو إهمالها ، فإن الجيوسياسيين الجدد ميّزوا العلاقات الجيوسياسية المعاصرة بكونها وضعت قطيعة إبستمولوجية معها و خلقت بُعد آخر للتنافس الدولي هو البعد الجيوسياسي الافتراضي السيبراني بأبعاده السيرنيتيقية و المعرفية و الشعبية و الرياضية ، هذا البعد الذي أضحي يتغلغل داخل الدول متجاوزا حدودها الإقليمية و يُمَيِّع جغرافيتها بحيث لا تحميها سلاسل الجبال الطويلة و لا البحار و المحيطات و لا الطائرات ، فبفضل العولمة و التطور التكنولوجي والرقمي أضحت الجيوسياسة الافتراضية محل إهتمام الدول و الشعوب و تحوّل المحلي إلى كوني و صار الممثلون و الرياضيون و الفنانون هم دبلوماسيو الدولة و أضحي الجميع يساهم في الإعلام و نقل المعلومة و تحليلها و ليست حكرا على الدولة فقط كما أن الحروب إنتقلت من الحروب العسكرية التقليدية إلى حروب الجيل الخامس و الهجمات السيرانية و الحروب البيولوجية و الصواريخ العابرة للقارات و مضادات الصواريخ حيث لا تحتاج نقل الجنود و العتاد الحربي في حالة صراع القوى العظمى و التي يتم تفاديها لحد الآن لأنها ستكون حرب فناء و ليست حرب عالمية .

إن القطيعة الإبستمولوجية مع الجيوسياسة الكلاسيكية خلقت تحديات كبيرة للجيوسياسة الافتراضية التي شهدت تطورا كبيرا و تنافسا علميا تشارك فيه كل الدول فمثلا دولة قطر ذات المساحة الصغيرة جدا أمكن لها أن تكون لها قوة من خلال قنواتها الإعلامية المنتشرة خاصة في الوطن العربي و كذا إستثماراتها في عديد الشركات العالمية ومواردها الطاقوية جعلها ذات قوة إقليمية بارزة خاصة منحها إستضافتها كأس العالم لكرة القدم 2022 ، كما أن جيوسياسة المعرفة أضحت محل إهتمام الدول من خلال

الفصل الثالث: تطور الجيوسياسة خلال الحرب العالمية الثانية و الحرب الباردة

تشجيع البحث العلمي و الابتكارات و إنشاء المؤسسات و حاضنات الأعمال Startup التي قد تكون مجرد فكرة بسيطة ثم تتحول بفضل فضاء الإنترنت إلى شركات عالمية كبرى كتويتر الذي وصل حتى حجب الرئيس الأمريكي دونالد ترامب من الكتابة و التعليق فيه ، كما أنّ الفضاء الرقمي أضحى سوق عالمي تتم من خلاله كل المعاملات التجارية و التحويلات البنكية و متاحة للجميع، و من جهة أخرى فإن قرصنة الإنترنت متواجدون أيضا بكثرة مما يستدعي برامج أمنية لهذا الفضاء لأنه أضحى ضمن الأمن القومي للدول .

إن الجيوسيسة الافتراضية أضحت واسعة المجال و متشعبة التخصصات و يزداد التنافس بين الدول فيها نظرا لأهميتها الكبيرة لدى الدول و الشعوب ، و هنا برزت عدة تيارات نادى بموت الجغرافيا و نادى أيضا بموت الجيوسياسة، و كون الجيوسياسيون الجدد أبرزوا أهمية علم الجيوسياسة الدائم في حياة الدول بإبرازهم البعد السيبراني الجيوسياسي ، فإنه من الواجب إعادة التفكير هل حقا ماتت الجغرافيا ؟ و هل حقا تلاشت الجيوسياسة الكلاسيكية ؟ و هل تغيرت النظريات الجيوسياسية التي نظرت بالصراع الأبدي بين القوى البرية و القوى البحرية ؟ و هل توقفت الدول عن الحروب العسكرية الكلاسيكية ؟ نسعى للإجابة عن هذه التساؤلات في الفصل الرابع .

الفصل الرابع:

الجيوستياسة في القرن الواحد و العشرون

المبحث الأول : إنتقام الجغرافيا و عودة الجيوستياسة الكلاسيكية

المطلب الأول : زيغنيو بريجنسكي رقعة الشطرنج الكبرى

المطلب الثاني : ألكسندر دوغين الأوراسية الجديدة

المطلب الثالث : روبرت كابلن إنتقام الجغرافيا

المبحث الثاني : الجيوستياسة المعاصرة

المطلب الأول : جوزيف ناي القوة الناعمة

المطلب الثاني : الفوضى الخلاقة

المطلب الثالث : جون ميرشايمر بنية النظام الدولي

المبحث الأول : إنتقام الجغرافيا و عودة الجيوسياسة الكلاسيكية

المطلب الأول : زيغنيو بريجنسكي رقعة الشطرنج الكبرى

إن الحرب العالمية الثانية أدت إلى دمار كبير شمل كل دول العالم إما مباشرة بتدمير مدنها ومصانعها و قواها العسكرية و بناها التحتية خاصة في أوروبا و آسيا، أو بطريقة غير مباشرة بتحطّم الإقتصاد العالمي و التضخم و نقص الموارد الغذائية و الطبيعية و إنتشار المجاعة والأزمات الإقتصادية و غيرها من الآفات الإقتصادية و الإجتماعية و الثقافية و السياسية العالمية، و بقية آثارها بارزة على العالم أجمع ، ثم إنّ إعادة بناء ما دمرته هذه الحرب قد أدى إلى تغيير في النظام الدولي من إنشاء هيئة الأمم المتحدة و نظام نقدي جديد أصبح الدولار الأمريكي مركزه، إضافة إلى مشروع مارشال لبناء أوروبا ومعاهدات وإتفاقيات بين دول الحلفاء كان لها الأثر حول بناء نظام عالمي جديد برزت فيه الشائبة القطبية ، و كانت المادة الأولى التي إتّهمت أنّها سبب إندلاع الحرب العالمية الثانية هي الجيوسياسة فقد تم محاربتها و مهاجمتها و مقاطعتها في جل المراكز البحثية و المعاهد العلمية و الجامعات والوسائل الإعلامية .

لكن من جهة أخرى لم يتوقف الصراع بين الأمم داخل النظام العالمي بل نشأت نزاعات جديدة بين دول الحلفاء تتمثل في المعسكر الشرقي الشيوعي الإشتراكي بزعامة الإتحاد السوفياتي من جهة و بين المعسكر الغربي الرأسمالي الديمقراطي بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية من جهة أخرى، مُشكّلة الحرب الباردة حيث ألغيت الصراعات العسكرية الكلاسيكية التي أضحت مع التطور التقني للقنابل النووية و الهيدروجينية و النيترونية

الفصل الرابع : الجيوسياسة في القرن الواحد و العشرون

والصواريخ العابرة للقارات و غيرها قد جعلت من هذه الصراعات معادلة صفرية فلا أحد سيكون له الإنتصار النهائي بل تدمير كل الأطراف ، لهذا إنتقلت الصراعات إلى التنافس الدولي بحرب النجوم و غزو الفضاء و التحالفات الإيديولوجية و التكتلات الإقتصادية أسفرت عن تفكك الإتحاد السوفياتي و إنتهاء الحرب الباردة .

لكن سرعان ما برزت قوى أخرى من جديد على غرار الصين خاصة بقوتها الإقتصادية و عودت القوة الروسية من جديد للمنافسة العالمية مُشكِّلة بذلك كبح تصوُّر النظام العالمي أحادي القطب و خلق نظام عالمي متعدد الأقطاب ، و بعد أن تمَّ تجاوز الجيوسياسة الكلاسيكية خاصة نظرية ماكندر و سبيكمان، إلا أن عصر القرن الواحد و العشرون يثبت عودة الجيوسياسة الكلاسيكية و إنتقام الجغرافيا التي كانت قد تجاهلتها القوى العظمى و إعتبرتها طيِّعة في يد التكنولوجيات العسكرية الحديثة .

المطلب الأول : زيغنيو بريجنسكي رقعة الشطرنج الكبرى

زيغنيو بريجنسكي أمريكي من أصول بولونية ، مستشار الأمن القومي للرئيس الأمريكي جيمي كارتر من 1977 الى 1981 . أستاذ في جامعة بالتيمور ، و ملحق بالمركز الإستراتيجي و الدولي للطلبة ، كتب في 1997 مؤلفه " رقعة الشطرنج الكبرى " **le grand echiquier** الذي يُبرز فيه نظرياته للتفوق الأمريكي في كل المجالات

الفصل الرابع : الجيوسياسة في القرن الواحد و العشرون

الإستراتيجية و الأدوات التي أدت لهذا التفوق .¹ كما يحدد هذا الكتاب اللاعبين الجيوستراتيجيين و المحاور الجيوسياسية الأساسية في لعبة الشطرنج التي يكون مسرحها هي القارة الأوراسية أي أوروبا و آسيا ، و يعتبر هذا الكتاب بمثابة الكتاب المقدس للولايات المتحدة و الغرب بصفة عامة .

فبريجنسكي يستند إلى كل النظريات الجيوسياسية الكلاسيكية و كل التجارب السابقة في الصراعات العالمية ليوظفها في رؤية خاصة لعودة الجيوسياسة و الحتمية الجغرافيا بكل أبعادها .

يرى بريجنسكي أن نهاية الحرب العالمية الثانية أسفرت عن إنتصار قوتان هما الولايات المتحدة الأمريكية و الإتحاد السوفياتي ، اللتان أصبحتا وريثتي المطلب الأوروبي غير المنجز بالسيادة على العالم ، و بالتالي هيمنت القوتان على الخمسين سنة التالية من أجل السيادة العالمية، أي القوة البحرية المسيطرة على المحيطين الهادي و الأطلسي و القوة البرية المسيطرة على قلب القارة الأوراسية، و في هذا الصراع بين القوتين فإن المنتصر سيكون سيد العالم .

و هنا نستحضر أبعاد التفكير الجيوسياسي الأمريكي من خلال حوار لبريجنسكي مع جريدة نوفال أوبسورفاتور 11 جانفي 1998 :²

الصحفي : إنّ المدير السابق لوكالة الاستخبارات الامريكية CIA روبرت جات Robert Gate يؤكد في مذكراته « from the shadows » أن المخابرات الأمريكية بدأت في مساعدة المجاهدين الأفغان 6 أشهر قبل التدخل السوفياتي في

¹ - sophie chautard, L'indispensable de la géopolitique, groupe studyrama-vocatis, France 2009 sans édition, p 30 .

² - Extraits de l'interview de Zbigniew Brezezinski , par Vincent Jauvert, Le Nouvel Observateur, 11 janvier 1998.

أفغانستان. في وقتها كنت مستشار الرئيس كارتر للأمن القومي ؛ إذا لقد كان لك دور أساسي في هذه القضية . هل تؤكد ذلك ؟

بريجنسكي : نعم . لكن التصريحات الرسمية تقول أن مساعدات الولايات المتحدة بدأت في 1980، أي بعد التدخل السوفياتي في أفغانستان الذي بدأ في 24 ديسمبر 1979 . لكن الحقيقة التي بقية سرية هي أنه في 3 جويلية 1979 الرئيس كارتر أمضى أول المساعدات للمعارضين للنظام الأفغاني المؤيد للسوفيات . و في هذا الوقت كتبت تقرير للرئيس أوضح له رأيي أنّ هذه المساعدات ستؤدي إلى تدخل عسكري من السوفيات .

الصحفي : بالرغم من هذه الخطورة كنت مشارك في هذه العملية السرية . و ربما كنت مؤيد لها و تبحث للتدخل السوفياتي في أفغانستان ؟

بريجنسكي : نحن لم نقم بدفع السوفيات للتدخل ، لكن زدنا من احتمالية هذا التدخل .

الصحفي : لما برر السوفيات تدخلهم بتأكيدهم أنه لمحاربة التدخل السري للولايات المتحدة في أفغانستان ، لم يصدقهم أحد رغم أنها كانت الحقيقة ... هل أنت نادم ؟

بريجنسكي : أندم على ماذا ؟ هذه العملية السرية كانت فكرة جيدة إستطاعت جلب السوفيات لفتح أفغانستان و تريدني أن أندم ؟ عندما دخل السوفيات في أفغانستان فعليا ، كتبت للرئيس كارتر " الآن لقد منحنا السوفيات حرب الفيتنام " لقد بقي السوفيات ما يقارب 10 سنوات في حرب مُنهكة و عنيفة . حرب ساهمت في الإحباط و الفوضى أدت إلى تفكيك الإمبراطورية السوفياتية .

الصحفي : لكن ألسنت نادم على منح إمتيازات لجماعات أصولية إسلامية ، و منحهم أسلحة حربية و إستراتيجيات عسكرية تجعلهم في المستقبل إرهاب ؟

الفصل الرابع : الجيوسياسة في القرن الواحد و العشرون

بريجنسكي : ما هو الأهم في نظر تاريخ العالم ؟ طالبان أم سقوط الإمبراطورية السوفياتية ؟
بعض المتطرفين الإسلاميين أم تحرير أوروبا الوسطى و نهاية الحرب الباردة ؟
الصحفي : بعض المتطرفين ! لكن نقول و نؤكد أن الأصولية الإسلامية تمثل اليوم تهديد
عالمي .

بريجنسكي : نقول أنّ الغرب له سياسة إتجاه الإسلامويين . هذا غباء : لا يوجد إسلام
شامل بمعنى متأصل و ليس ديماغوجي أو عاطفي . الإسلام هو الدين الأول العالمي بـ
1,5 مليار مسلم ، لكن هل يوجد تحالف أو تشابه بين العربية السعودية الأصولية و بين
المغرب الحديث و بين باكستان العسكري ، و مصر المؤيدة للغرب ، و آسيا الوسطى ؟¹
لقد شارك بريجنسكي في عديد القرارات الأمريكية سواء المتعلقة بحرب الفيتنام و العلاقات
الصينية الأمريكية و تايوان و حرب أفغانستان و الإتحاد السوفياتي و الحروب و الأزمات
العالمية خاصة خلال الحرب الباردة .

بعد تنبأ بريجنسكي بسقوط الشيوعية في كتابه الإخفاق الكبير الصادر عام 1988، ها
هو يتنبأ و يعد بعالم متعدد الأقطاب، مع تجنب التنبؤ من ستكون تلك القوى التي لا محال
ستكون الولايات المتحدة إحداها . فهو يقصي أهم مرشحي إعتلاء مكانة القوة العالمية
و أعني روسيا و الإتحاد الأوروبي في حال كانت وجهة كل واحدة منهما لا تروق لأمريكا .²

¹ - Olivier Zajec , INTRODUCTION A L'ANALYSE GEOPOLITIQUE , histoire , outils , methodes , Edition du rocher , Monaco , France , 2018 , 4eme édition augmentée et mis a jour , p 69 .

² - زيغنييف بريجنسكي ، رقعة الشطرنج الكبرى - النفوق الأمريكي و ضروراته الجيوستراتيجية الملحة ، ترجمة سليم أبراهام ، دار علاء الدين للنشر و التوزيع و الترجمة ، دمشق ، سوريا ، ط 9 ، 2015 ، ص 5 .

إن الحرب الباردة جعلت العالم يتساءل: ماذا تكيد أمريكا للعالم ؟ لكن هذا التساؤل كان هناك من يجابهه في القرن الماضي ، أما في القرن الحالي هل يقف العالم كله متفرجا على ما ستفعله أمريكا رافعا يديه إلى السماء داعيا أن يكون ما ستفعله خيرا¹ . فكتاب رقعة الشطرنج الكبرى يرفع بريجنسكي من خلاله الستار عن جيوسياسة الولايات المتحدة الأمريكية إتجاه العالم و يرسم جيوستراتيجيتها على رقعة الشطرنج الكبرى التي بها عدة لاعبين تعتبر هي المسرح العالمي بكل فواعله .

يقول بريجنسكي أن رقعة الشطرنج الأوراسية (أي أوروبا و آسيا) الضخمة الممتدة من لشبونة إلى فلاديفوستوك توفّر مسرحا من أجل اللعبة ، فإذا أمكن جذب الساحة المتوسطة بإطراد لفلك الغرب الآخذ بالإتساع (حيث تسيطر أمريكا)، و إذا لم تخضع المنطقة الجنوبية لهيمنة لاعب وحيد، و إذا لم يتّحد الشرق بطريقة يدفع إلى ترحيل أمريكا من قواعده الساحلية، عندئذ يمكننا القول إنّ أمريكا تسود² .

هكذا يُؤكّد بريجنسكي على الأهمية الأوراسية للسيطرة على العالم و هو بذلك يميل لأكثر إلى ماكندر بنظريته الهيرتلاند و يتتعد نوعا ما عن سبيكمان بدون أن ينفي أنّ الولايات المتحدة هي القوة البحرية التي تريد السيطرة على الهيرتلاند .

و يرى أنّه إذا صدّت الساحة المتوسطة الغرب، و أصبحت كيانا مستقلا ثابتا، و إكتسبت السيطرة على الجنوب أو شكّلت حلفا مع اللاعب الشرقي الرئيسي، عندئذ تتقلص أولوية أمريكا في أوراسيا بشكل دراماتيكي. و الحالة تكون نفسها إذا كان على اللاعبين الشرقيين الرئيسيين أن يتحدوا نوعا ما معا . و أخيرا إنّ أي نبذ لأمريكا من قبل شركائها الغربيين من

¹ - نفس المرجع ، ص 5 .

² - نفس المرجع ، ص 44 .

مختمها على الطرف الغربي سيعلن تلقائيا نهاية إسهام أمريكا في اللعبة على رقعة الشطرنج الأوراسية، رغم أنّ ذلك قد يعني في النهاية خضوع الطرف الغربي للاعب منبعت من جديد يحتل الساحة المتوسطة.¹

و يُبرز بريجنسكي التغيرات التي طرأت على طبيعة الوضع العالمي في الألفية الجديدة التي لم يعد فيها الحروب من أجل كسب الأراضي غاية للدول إلا في أشكال الإستقلال لتقرير المصير أو النزاعات على ترسيم الحدود ، كما أنّ الأسلحة النووية و الصواريخ العابرة للقارات و الأقمار الصناعية قللت بشكل كبير صلاحية الحرب كأداة في السياسة أو حتى التهديد ، رغم أن التنافس بين الدول الكبرى لازال قائما إلا أنه أضحي يأخذ أشكال أخرى مثل القوة الإقتصادية و العلاقات الدبلوماسية و التحالفات الإستراتيجية سواء العسكرية كالتاتو أو الإقتصادية و غيرها ، فإختيار الحلفاء و الإنتشار المدروس لمصادر القوة السياسية للدولة هي العناصر الرئيسية للممارسة الناجحة للقوة الإستراتيجية على رقعة الشطرنج الأوراسية .

يؤكد بريجنسكي أن الموقع لايزال هو نقطة الإنطلاق لتحديد الأولويات الخارجية لأمة-دولة ما ، و يبقى أيضا حجم الأرض الوطنية أحد المعايير الرئيسية للمكانة و القوة .²

فيرى أنّ رقعة الشطرنج الأوراسية تضم 5 لاعبين جيواستراتيجيين و 5 محاور جيوسياسية رئيسية : الجيواستراتيجيين هم فرنسا و ألمانيا و روسيا و الصين و الهند و هم لاعبين كبار و نشطين ، في حين بريطانيا العظمى و اليابان و إندونيسيا رغم أنهم بإعتراف الجميع بلدان

¹ - زيغنييف بريجنسكي ، رقعة الشطرنج الكبرى - التفوق الأمريكي و ضروراته الجيواستراتيجية الملحة ، ترجمة سليم أبراهام ، دار علاء الدين للنشر و التوزيع و الترجمة ، دمشق ، سوريا ، ط 9 ، 2015 ، ص 44 .

² - زيغنييف بريجنسكي ، رقعة الشطرنج الكبرى - التفوق الأمريكي و ضروراته الجيواستراتيجية الملحة ، ترجمة سليم أبراهام ، دار علاء الدين للنشر و التوزيع و الترجمة ، دمشق ، سوريا ، ط 9 ، 2015 ، ص 46 .

مهمة جدا إلا أنهم ليسوا مؤهلين لذلك، أما أوكرانيا و أذربيجان و كوريا الجنوبية و تركيا و إيران يلعبون دور المحاور الجيوسياسية المهمة ، مع أنّ إيران و تركيا ضمن قدراتهم الأكثر محدودة يعدان أيضا إلى حد ما نشطين جيواستراتيجيا .¹

فكل من ألمانيا و فرنسا لديهما رؤية لأوروبا متحدة رغم أنهما يختلفان على الكيفية والنمط الذين يجب أن تبقى أوروبا مرتبطة بأمريكا، أما بريطانيا فهي ليست لاعب جيواستراتيجي إلا أنّ لها نفوذ عالمي كبير خاصة من خلال الكومنولث و هي ضد توحيد أوروبا ، لكن هي داعمة لأمريكا و حليف مخلص و قاعدة عسكرية حيوية و شريكة في النشاطات الإستخباراتية مع أمريكا .

و تبقى روسيا لاعب جيواستراتيجي رئيسي رغم حالة الضعف التي تمر بها و عليها أن تحدد خياراتها إمّا أن تكون صديقة أمريكا أو خصمها ؟ فعليها إختيار إما أن تبقى إمبراطورية أوراسية أو ديمقراطية أوروبية .

يقول بريجنسكي أنّ على روسيا خيار جيواستراتيجي وحيد هو الإنضمام إلى أوروبا الأطلسية ذات مشروع توسيع الإتحاد الأوروبي و حلف الناتو و من المحتمل أن تبقى مرتبطة على نحو وثيق بأمريكا ، و بهذا فقط تتجنب روسيا العزلة الجيوسياسية الخطيرة . فروسيا حسب بريجنسكي ضعيفة كثيرا لتكون شريكا لأمريكا إلا أنها لا تزال قوية جدا لأن تكون ببساطة مريضتها ، و إذا ما سعت روسيا لهذا الطريق الأوروبي الأطلسي فلن يكون لها خيار آخر في النهاية غير محاكاة النهج الذي إختارته تركيا ما بعد العهد العثماني ، عندما قررت إلقاء المطامح الإمبراطورية و باشرت بشكل مدروس طريق التحديث و الأوربة

¹ - نفس المرجع ، ص 50 .

الفصل الرابع : الجيوسياسة في القرن الواحد و العشرون

والدمقرطة . وبالتالي على روسيا شجب الماضي الإمبراطوري و عدم المراوغة فيما يخص روابط أوروبا السياسية و الأمنية المتوسعة مع أمريكا و قبول وجود أوكرانيا المستقلة .¹ أي أنّ بريجنسكي يريد أن تنضم روسيا إلى الإتحاد الأوروبي و إلى الناتو بشرط أن تتخلى عن طموحاتها الإمبراطورية و أن تقبل بالإستقلال التام لأوكرانيا و إنضمامها للناتو و أن تقبل روسيا بالقواعد العسكرية الأمريكية داخلها ، أي أن تحذو روسيا حذو الدولة العثمانية غداة نهاية الحرب العالمية الأولى و أصبحت تركيا متخلية عن مطامحها الإمبراطورية و إنضمت إلى الناتو في 1952 .

الصين كذلك لاعب بارز و قوة إقليمية و لها طموحات كبيرة خاصة بقوتها الإقتصادية، لكن هذا النمو سيجعل القضية التايوانية مُعلّقة و سيؤثر حتما على المكانة الأمريكية في المنطقة ، كما أن روسيا ستتأثر بظهور الصين أكثر نشاطا على الساحة العالمية .

اليابان هي قوة بارزة في الشؤون العالمية ، و التحالف الأمريكي الياباني من أهم العلاقات الثنائية ، فاليابان تمتلك قوة سياسية كواحدة من أقوى الإقتصادات في العالم، و هي مثل بريطانيا تتحاشى أي طموحات من أجل الهيمنة الإقليمية مانحة المجال لأمريكا لتلعب دور أمني مركزي في الشرق الأقصى . أندونيسيا في قائمة اللاعبين الجيوسياسيين فهي أهم بلد في جنوب شرق آسيا إلا أنّ قدراتها و إقتصادها ضعيف لتبسط نفوذها . في حين الهند تسير بثبات لتفرض نفسها كقوة إقليمية و ترى أنها لاعب عالمي رئيسي و منافس للصين، و رغم أنّها قوة نووية إلا أنّها مهيمن إقليمي رديء .²

¹ - زيغنييف بريجنسكي ، رقعة الشطرنج الكبرى - التفوق الأمريكي و ضروراته الجيوستراتيجية الملحة ، ترجمة سليم أبراهام ، دار علاء الدين للنشر و التوزيع و الترجمة ، دمشق ، سوريا ، ط 9 ، 2015 ، ص 132 - 133 .

² - زيغنييف بريجنسكي ، رقعة الشطرنج الكبرى - التفوق الأمريكي و ضروراته الجيوستراتيجية الملحة ، ترجمة سليم أبراهام ، دار علاء الدين للنشر و التوزيع و الترجمة ، دمشق ، سوريا ، ط 9 ، 2015 ، ص 49 - 54 .

تعد أوكرانيا ساحة جديدة و مهمة على رقعة الشطرنج الأوراسية و محورا جيوسياسيا، و بدون أوكرانيا تكف روسيا على أن تكون إمبراطورية أوراسية و تبقى تناضل فقط من أجل أن تكون قوة إقليمية آسيوية فقط و ليس أوراسية أو عالمية و هنا تسعى روسيا للسيطرة على آسيا الوسطى و هذا ستعارضه الصين ، لكن في حال سيطرة موسكو على أوكرانيا بسكانها 52 مليون نسمة و مواردها الكبيرة إضافة إلى قدرتها للوصول للبحر الأسود ستكون بإمكانيتها أن ترجع إمبراطورية قوية ممتدة فوق أوروبا و آسيا .¹

فخسارة أوكرانيا لإستقلالها سيكون له تبعات على أوروبا تطبيقا لنظرية الدومينو محوالة بولونيا إلى لاعب جيوسياسي و نفوذ أوسع لروسيا في منطقة قلب العالم .

أذربيجان هي أيضا مهمة جيوسياسيا بموارد الطاقة الكبيرة التي تمتلكها و تعتبر سدادة الزجاجة لحوض بحر قزوين و آسيا الوسطى² ، فإستقلال دول آسيا الوسطى لن يكون له معنى إذا أصبحت أذربيجان تحت سيطرة موسكو ، فأذربيجان مستقلة مرتبطة بالأسواق الغربية عن طريق خطوط أنابيب لا تمر من منطقة تسيطر عليها روسيا ، فأذربيجان تربط آسيا الوسطى بأوروبا بعيدا عن روسيا .³

تعتبر كل من تركيا و إيران محورين جيوسياسيين هامين و هما منشغلتان في تثبيت قدر ما من النفوذ في منطقة بحر قزوين و آسيا الوسطى مُستغلّتان الفراغ الذي تركته روسيا لِمَلئِهِ ، فتركيا تحفظ إستقرار البحر الأسود و توازن روسيا في القوقاز و الملاذ الجنوبي لحلف الناتو. و إيران متحالفة مع أرمينيا نتيجة خوف إيران من أذربيجان أن يطالب الأذر بأراضيهم في

¹ - نفس المرجع ، ص 55 .

² - تضم آسيا الوسطى كل من كازاخستان، غيرغستان، أوزباكستان، طاجاكستان، تركمانستان

³ - زيبغنييف بريجنسكي ، رقعة الشطرنج الكبرى - التفوق الأمريكي و ضروراته الجيوستراتيجية الملحة ، ترجمة سليم أبراهام ، دار علاء الدين للنشر و التوزيع و الترجمة ، دمشق ، سوريا ، ط 9 ، 2015 ، ص 56 .

الفصل الرابع : الجيوسياسة في القرن الواحد و العشرون

إيران ، و تعد إيران العائق من أي تهديد روسي للمصالح الأمريكية في الخليج العربي بغض النظر عن العداء الإيراني لأمريكا، فإيران قوية ستمنع أي تواجد روسي داخلها أما إن كانت إيران ضعيفة فستحتاج إلى التواجد الروسي لتكمل نقصها في مواجهة أمريكا ، لذا ففي صالح أمريكا أن تكون إيران قوية .

ويشير بريجنسكي أيضا لكوريا الجنوبية كمحور جيوسياسي في الشرق الأقصى تحمل إتحاد قوي مع الولايات المتحدة . فتمكّن أمريكا من حماية اليابان و منعها من أن تصبح قوة عسكرية كبيرة و مستقلة ، دون أي وجود ثقيل لأمريكا داخل اليابان ، و أي تغيير لكوريا الجنوبية كتحويلها لحليف الصين سيغيّر دور أمريكا في الشرق الأقصى و بالتالي تغيير دور اليابان كذلك .¹

و بهذا يرسم بريجنسكي رقعة الشطرنج المتمثلة في أوراسيا أي أوروبا و آسيا لكونها ذات أهمية بالغة حيث يعيش بها نحو 75 بالمئة من سكان العالم و بها معظم ثروات العالم و تُنتج نحو 60 بالمئة من الناتج القومي العالمي و كل اللاعبين الإستراتيجيين متواجدين بها ما عدى واحدة و هي أمريكا إضافة إلى المحور الجغرافي للتاريخ الذي حدده ماكندر بأن قلب العالم هو شرق أوروبا و غرب آسيا و من يتحكم فيه يتحكم في الجزيرة العالمية و من يتحكم فيها يتحكم في العالم .

- إن العقوبات الأمريكية إتجاه روسيا بعد تدخلها في أوكرانيا في 24 فبراير 2022 وجدت الموافقة التامة من الأوروبيين على كل المطالب و المقترحات و أوامر الولايات المتحدة الأمريكية حتى العقوبات التي تضر بمصالح الدول الأوروبية و تهدد إقتصاداتها وافقوا عليها ،

¹ - نفس المرجع ، ص 57 .

لكن الدول الأوروبية الأعضاء في حلف الناتو قبّلت هذه الإجراءات ليس من باب حق الأوكرانيين في تقرير المصير أو إحقاقا لمبادئ الديمقراطية و حقوق الإنسان بل لإعتبرات أخرى نستشفها في مقولة لبيسمارك يستشهد بها هنري كيسنجر في كتابه النظام العالمي :

" ما من سياسة عاطفية تعرف معنى التبادل ... كل حكومة أخرى لا تلتمس المعايير لتحركاتها إلا إذا كانت في مصلحتها ، مهما حاولت تغليفها بإستنتاجات قانونية ... ما من تحالفات عاطفية يكون فيها الوعي بأداء عمل خيري جالبا للمكافئة الوحيدة على تضحيتنا ... يبقى الأساس الصحي و السليم الوحيد بالنسبة إلى أي قوة عظمى متمثلة بالأناية لا بالرومانسية الحالمة ... العرفان بالجميل و الثقة لن يدفعا أي إنسان إلى الميدان في صفنا ، وحده الخوف يفعل ذلك ، إذا وظفناه بحذر و مهارة ... السياسة هي فن الممكن ، هي علم ما هو نسي ."¹

إذا فالخوف من التوغل الروسي في أوكرانيا ثم إلى الدول الأوروبية هو ما جعل الأوروبيون يقبلون وضع نفس العقوبات الأمريكية على روسيا ، إضافة للخوف من معاداة الولايات المتحدة الأمريكية الدولة النووية و القوية عسكريا و إقتصاديا ، و الخوف من الإنشقاق بين الدول الأوروبية و تفكك الإتحاد الأوروبي و الإختيار الإقتصادي لهم ، كما أن هذا الإنشقاق قد يتبعه تحالفات منقسمة بعضها مع الولايات المتحدة و البعض مع روسيا و البعض الآخر ربما مع الصين ، و قد يؤدي إلى حرب أوروبية أو حتى عالمية و هذا ما تخاف منه أوروبا التي خرجت من حربين عالميتين محطمة تعرف معنى الحرب آثارها . إذا فالخوف

¹ - هنري كيسنجر ، النظام العالمي - تأملات حول طلائع الأمم و مسار التاريخ ، ترجمة فاضل جتكر ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، 2015 ، ص 81 .

الفصل الرابع : الجيوسياسة في القرن الواحد و العشرون

هو الذي جعل أوروبا تقبل تطبيق العقوبات التي فرضتها الولايات المتحدة على روسيا رغم أنّ هذه العقوبات تضر بأوروبا مؤقتاً ، فهي حرب وجودية .
و نشير إلى أنّه في أمريكا يوجد نوعين من المنظرين ، أحدهم يريد لأمريكا أن تهيمن على العالم وحدها و الآخر يريد لأمريكا أن تقود العالم ، فبريجنسكي من التيار الثاني الذي يدعو أمريكا أن تقود العالم عبر مشاركتها لقوى أخرى ، حتى تتحمل معها أعباء القيادة و لا تتحملها وحدها من خلال شبكة من التحالفات بشرط أن تكون الولايات المتحدة على رأس هذه الشبكة .

المطلب الثاني : ألكسندر دوغين الأوراسية الجديدة

وُلد ألكسندر دوغين سنة 1962 و نشأ في عائلة مميزة بإعتباره ابن عقيد في الإستخبارات العسكرية السوفياتية ، و قد كان جده جنرالاً في الجيش ، توفي والده منذ أن كان طفلاً لذا فبعد تخرجه من المدرسة الثانوية دخل إلى معهد موسكو للطيران ، لكن قطع تعليمه لعدم كفاية نتائجه الدراسية أو بسبب القبض عليه بتهمة إرتكابه بعض الأنشطة المنشقة ، فكما تزوي التقارير فقد أُلقي عليه القبض سنة 1983 بعد أن كان يعزف على القيتار في حفلة صغيرة للأغاني الصوفية المعادية للشيوعية و إعتقل لفترة وجيزة، ثم بعدها إشتغل كعامل نظافة و في المساء يذهب لمكتبة لينين ليواصل قراءته .¹

هذه رواية من الروايات عن حياته لكن هناك رواية أخرى تقول أنّه ترك معهد الطيران لأسباب شخصية ثم بدأ العمل في أرشيف الكا.جي.بي حيث قرأ العديد من الكتب عن

¹ - ألكسندر دوغين ، الخلاص من الغرب – الأوراسية – الحضارات البرية مقابل الحضارات البحرية و الأطلسية ، ترجمة علي بدر ، مكتبة دار ألكا ، بغداد ، العراق ، ط 1 ، 2021 ، ص 12 .

الفصل الرابع : الجيوسياسة في القرن الواحد و العشرون

الماسونية و الفاشية و الوثنية ، ثم إنخرط في مجموعة سرية من المثقفين الغنوصيين و إستمرت الحركة حتى عام 1989 ، و لقد أصبح دوغين بعد سنوات من التعلّم الشاق يجيد تسع لغات ، و قد ذكر دوغين أن دائرتهم التي إنضم إليها العديد من الكتاب هم " السادة الحقيقيون للنخبة الباطنية في موسكو " ¹

الفيلسوف الروسي ألكسندر دوغين يبشّر بالحركة الثقافية الأوراسية و التي تشمل على أطروحة فلسفية سياسية معادية لليبرالية تماما و معادية للنظم الغربية و للحضارات الأطلسية و يُبيّن عبر قراءة معمقة تناقضاتها و إنخيارها الوشيك إذ ستسمح كحتمية تاريخية للنظرية الأوراسية بالانتصار الساحق و لكنها كفلسفة لا تدعي عالميتها و لا قطبيتها الوحيدة و لا تفرض نفسها على الثقافات الأخرى كما فعلت الليبرالية طوال القرن العشرين و بداية هذا القرن ² . فالأوراسية هي نظرية تشمل جميع الثقافات و الديانات و الإيديولوجيات الأوراسية .

عمل دوغين على تعزيز الأفكار الأوراسية حيث أنه بعد فشل النظريات الثلاث كل من الشيوعية الفاشية و الليبرالية تأتي نظرية دوغين و هي **النظرية الرابعة** أي النظرية الأوراسية و التي تضم أربع حضارات هي السلافية و الصينية و الهندية و الإسلامية ، أي أنها لا تقصي الحضارات الأخرى كما تفعل الحضارة الغربية بل تسعى النظرية الأوراسية إلى التركيز على مركزية الدول و الأمم .

¹ - نفس المرجع ، ص 16 .

² - ألكسندر دوغين ، الخلاص من الغرب - الأوراسية - الحضارات البرية مقابل الحضارات البحرية و الأطلسية ، ترجمة علي بدر ، مكتبة دار ألكا ، بغداد ، العراق ، ط 1 ، 2021 ، ص 6 .

الجدير بالذكر أن المدرسة الجيوسياسية السوفياتية قدّمت عديد النظريات و الأعمال المهمة التي أضحت من ركائز الجيوسياسة الروسية على غرار **ألكسندر ديسفرسكي** بنظرية القوة الجوية مفتاح البقاء و **بيتر نيكولاقتس ساقيتسكي** الذي أتى بنظرية بؤرة التطور و التي تطرقنا إليها من قبل فهو بذلك يحاكي نظرية المجال الكبير لكارل شميت ، و تُعتبر بؤرة التطور هي المجال الذاهب في الإتساع ليشمل كل المكونات التي تحمل نفس الثقافة و الإيديولوجيا و أن ينسجم الوسط السياسي و الثقافي للأمة مع الجغرافيا التي يعيش عليها ليُكوّن كتلة واحدة . و هذه النظرية التي من خلالها سيطور **دوغين** نظريته الأوراسية .

لقد عرفت بداية التسعينات تطورا ملحوظا عرف بالأوراسية الجديدة و قد مثل **ألكسندر بينارين Alexander panarin** أحد أكثر وجوهها المعاصرة شهرة حسبما يذكر **غوردن هان** الذي يصف آراءه بالوضوح في مناهضة الولايات المتحدة إذ يرى في الجيش الأمريكي و الهيمنة الثقافية الأمريكية بإعتبارها أساس العولمة التدميرية ، فالأوراسية حسبه هي الطرف المواجه لهذه الثقافة التدميرية ، فهي بديل عن العولمة التكنولوجية الإقتصادية التي تهدد العالم ¹.

فينارين أراد إعادة إحياء النظرية الأوراسية و جعلها فلسفة سياسية لروسيا ما بعد الحرب الباردة التي أضحت تعيش في فلك المجهول لا هي في طريق الغرب و العولمة و الإقتصاد الليبرالي و لا هي إشتراكية ، فهنا بدأت عديد المحاولات لإعادة بناء العقيدة الروسية من قبل العديد من المفكرين، و قد كان أشهرهم **ألكسندر دوغين** و الذي وجد آذانا صاغية

¹ - جلال خشيب ، الجيوبوليتيك الروسية الحديثة و المعاصرة طموح النظرية و حدود التطبيق ، مجلة " رؤية التركية " 2018 ، مركز إدراك للدراسات و الاستشارات ، ص 12 .

الفصل الرابع : الجيوسياسة في القرن الواحد و العشرون

له في الكريملن بصياغته النظرية الرابعة الأوراسية لتكون توجه فكري سياسي ثقافي و فلسفي لروسيا خلال القرن الواحد و العشرون .

ترجع الملامح الأولى للجيوسياسة الدوغينية إلى سنة 1991 حينما نشر دوغين مقالا بعنوان " حرب القارات " و قد تضمن المقال تصورات دوغين الجيوسياسية الكبرى للعالم ، حيث وصف الصراع العالمي بين نمطين مختلفين من القوى العالمية : هي القوى البرية المتمثلة في روما الخالدة و التي تركز على الدول المستقلة و الجماعات المحلية المثالية و تَفُوقُ الخير المشترك ، في مقابل القوى البحرية قرطاج الخالدة و التي تركز على مبادئ مختلفة، مثل النزعة الفردية و المادية و التجارية .¹ و قد عزز هذه الأطروحة في سنة 1997 بكتاب أسس الجيوبوليتيكا - مستقبل روسيا الجيوبوليتيكي و الذي يعتبر الكتاب المقدس للأوراسيون الجدد .

بالنسبة لدوغين فقد تجسدت القوة البحرية أي التالاسوكراتيا في قرطاج ثم مَثَلَتْها أثينا الديمقراطية و الإمبراطورية البريطانية ثم الولايات المتحدة الأمريكية في عصرنا الحالي و تمتاز بالسائل الجاري كالمياه ، أما القوة البرية التيليروكراتيا فَمَثَلَتْها روما الخالدة و اليوم روسيا الإتحادية و تمتاز بالبر الثابت الصلب ، و تعاضمت هاتين القوتين عبر عديد الأزمنة والصراعات إلى أن إتخذت صيغة الرعب النووي الذي فرض عليهما إما المواجهة و فناه الجميع أو نقل الصراع إلى مجالات أخرى كحرب النجوم و غزو الفضاء و الحروب بالوكالة وغيرها ، و إنّ إنتصار القوى البحرية بتفكك الإتحاد السوفياتي و بسط سيطرتها بغرس

¹ - جلال خشيب ، الجيوبوليتيك الروسية الحديثة و المعاصرة طموح النظرية و حدود التطبيق ، مجلة " رؤية التركية " 2018 ، مركز إدراك للدراسات و الاستشارات ، ص 13 .

الفصل الرابع : الجيوسياسة في القرن الواحد و العشرون

العولمة في إطار القطب الواحد لا يكاد يكون إلا مرحلة مؤقتة ثم تعود الإمبراطورية البرية في روسيا الإتحادية لتكتمل رسالتها القارية .

و يناقش دوغين أهم النظريات الجيوسياسية منذ نهاية القرن التاسع عشر إلى عصرنا الحالي و يبرز أهمية نظريات كل من ساقيتسكي و كارل شميت خاصة المتعلقة بالمواجهة بين البر والبحر و إستعار لهما رمزين ورد ذكرهما في العهد القديم و هما : البوهيمون و الليفياثن ، و يبرز مفهوم الإيديوكراتيا الجديد .¹

ومن المثير للإهتمام إشارة دوغين إلى المفكرين الجيوسياسيين بقوله " مصائر العلماء - مصائر الدول " حيث يفصل بين العلماء الذين أنصتوا إليهم دُوهُمُ و العكس ، فمن عاملتهم بلادهم بتقدير و إنصات قد نهضوا بِدُوهُم و أوصلوها إلى الهيمنة ، أما الدول التي لم تُقدّر علماءها و مفكرها كألمانيا و بريطانيا فقد إنحدر مستواهم إلى الحضيض مثل روسيا . و لهذا حققت دول الغرب السيطرة العالمية بينما دفعت ألمانيا سقوطها من التاريخ لمدة نصف قرن لإهمالها أطروحات الجيوسياسيين (كغزو هتلر للإتحاد السوفياتي المرتبط به بتحالف قوى البر رغم معارضة هاوشهوفر) و كذلك الإتحاد السوفياتي الذي تقلّصت مساحته و تدهور إقتصاده .² بعد أن أقصى ستالين كل المفكرين الجيوسياسيين .

يضع دوغين مراكز لعب القوة البرية الروسية على رقعة الشطرنج الأوراسية التي سيواجه بها القوى البحرية الأطلسية التي وضعها كيسنجر .

¹ - ألكسندر دوغين ، أسس الجيوبوليتيكا - مستقبل روسيا الجيوبوليتيكي ، ترجمة عماد حاتم ، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1 ، 2004 ، ص 9 .

² - ألكسندر دوغين ، أسس الجيوبوليتيكا - مستقبل روسيا الجيوبوليتيكي ، ترجمة عماد حاتم ، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1 ، 2004 ، ص 11 .

الفصل الرابع : الجيوسياسة في القرن الواحد و العشرون

فيرى أنّ معركة روسيا من أجل السيادة على العالم لم تنته بعد ، و لهذا فهو يقترح إعادة بناء إمبراطورية أوراسية جديدة بعدة محاور :

- المحور الغربي موسكو برلين : من خلال روسيا و أوروبا الوسطى التي تُشكّل معها جسر ترابط يمتد جنوبا إلى إيطاليا و إسبانيا ، و من المنطقي إعتبار برلين العاصمة الجيوسياسية لأوروبا الوسطى فهي ذات الأفضلية الإثنية و الإقتصادية و الموقع الجغرافي المتميز فهي تشمل بالإضافة لألمانيا بولندا و غرب أوكرانيا و بروسيا و قد كانت ألمانيا القارية الإيديوكراطية تقف تقليديا في وجه بريطانيا البحرية ، حيث أنّ بريطانيا هي قاعدة بحرية للولايات المتحدة يجب عزلها و تشجيع الحركات الانفصالية داخلها من خلال دعم الروح الانفصالية للقومية الإيرلندية و السكوتلندية و الويلز ، أما فرنسا ذات الطابع الأطلسي العدواني إلا أنّ لها تيار الخط القاري الذي يعود لنابليون و تجسّد في ديغول و الذي بحث مع الألمان لتأسيس إتحاد أوروبي كونفدرالي مستقل عن الولايات المتحدة ، فإحياء الحلف الفرانكو جرمانى يؤسس للإمبراطورية الأوروبية و بإقامة المركز الجيوسياسي موسكو برلين حتى يتسنى لأوروبا التحرر من الهيمنة الأمريكية .

لقد قال تيريار: "الخطأ الرئيسي لهتلر هو أنّه أراد أن يجعل أوروبا ألمانية ، بينما كان عليه أن يتطلع إلى جعلها أوروبية"¹

و يرى دوغين أنّ مهمة موسكو هي تخليص أوروبا من سيطرة الولايات المتحدة الأمريكية والناتو ، و العمل على توحيد أوروبا الغربية مع الوسطى ، أو جعلها محايدة مع بناء علاقات إقتصادية و مبادلتها بالموارد الأولية و الشراكة العسكرية الإستراتيجية.¹

¹ - ألكسندر دوغين ، أسس الجيوبوليتيكا - مستقبل روسيا الجيوبوليتيكي ، ترجمة عماد حاتم ، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1 ، 2004 ، ص 269 .

- محور موسكو طوكيو : فيرى دوغين أن الهند رغم أنها تميل إلى روسيا إلا أنّ إقتصادها لا يسمح لها بأن يكون لها الدور الأمامي لأوراسيا ، أما الصين فلها طموحات خاصة وكانت دائما تمثل القاعدة الأهم للأنجلوساكسونية في القارة الآسيوية، فالصين يعتبرها حليف محتمل لمواجهة الولايات المتحدة ، لكن اليابان كانت لها علاقات مع المحور الأوروبي و لها إقتصاد قوي و لها ضغينة من الغطرسة الأمريكية، إضافة إلى أنها لا تنسى الإبادة النووية التي تعرّضوا لها و لا ينسوا الإحتلال السياسي لبلادهم من طرف الولايات المتحدة الأمريكية، و لن تجد روسيا حليفا أفضل من اليابان في آسيا .

- محور موسكو طهران : يرى عدة إتجاهات : الإتجاه الأصولي الإيراني ، التيار العلماني التركي ، التيار العربي ، التيار الأصولي السعودي الوهابي ، و صور مختلفة للإشتراكية الإسلامية ، إلا أن دوغين يرحّب محور موسكو طهران لتأمين خروج روسيا إلى البحار الدافئة و التي ظلّت تسعى لقرون لتحقيقه .

يرى دوغين أن وجود أوكرانيا ضمن الحدود الحالية و في وضع الدولة ذات سيادة شبيه بتوجيه ضربة قاصمة إلى الأمن الجيوسياسي لروسيا و هو يعادل إختراق أراضيها ، فيرى أنه من غير المسموح به الوجود المقبل لأوكرانيا الموحدة و يجب أن تُقسّم هذه البقعة إلى عدة شرائط تتفق مع مجموعة ألوان الوقائع الجيوسياسية و الإثنو- ثقافية :²

1- أوكرانيا الشرقية : كل شرق الدينير ، من تشيرنيغوف حتى بحر آزوف ، و هي منطقة كثيفة السكان و متطورة تقنيا و سكانها غالبيتهم إثنو روس مرتبطين بروسيا

¹ - نفس المرجع ، ص 424 .
² - ألكسندر دوغين ، أسس الجيوبوليتيكا - مستقبل روسيا الجيوبوليتيكي ، ترجمة عماد حاتم ، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1 ، 2004 ، ص 435 .

ثقافيا و إثنيا و تاريخيا و دينيا ، فعليها أن تكون مستقلة ذاتيا و ذات حلف غير مشروط و أشد الإلتحاق مع موسكو .

2- القرم : هي تشكل جيوسياسي خاص ، تتشكل فيها أهالي روسيا الصغرى (أوكرانيا) و روسيا الكبرى و تاتار القرم المتجهون نحو تركيا و لهم عداء إتجاه روسيا، و تركيا تُشكّل العدو الجيوسياسي المباشر لروسيا ، فالضم المباشر للقرم قد يكون له رد فعل سلبية بين الأهالي ، كما أنّ التخلي على القرم لأوكرانيا ذات سيادة هو أمر مستحيل ، فيجب إعطاء القرم وضع خاص بإستقلالها الذاتي مع السيادة الإستراتيجية المباشرة لموسكو .

3- القسم الوسط من تشيرنيغوف حتى أوديسا و الذي تقع ضمنه كييف يسيطر فيها إثنوس روسيا الصغرى لكن الطائفة المسيطرة هي الأرثودوكسية ، فهي تمثل واقعا جيوسياسيا مستقل لكن يميل ثقافيا إلى أوكرانيا الشرقية .

4- أوكرانيا الغربية و هي غير متجانسة .

المشكلة الأوكرانية في نظر دوغين هي المشكلة الأهم و الأكثر جدية ، و في حال تدخّل الغرب فإن مسألة أوكرانيا تطالب موسكو بإجراءات جوابية فورية ما دام الحديث يدور حول تسديد ضربة إستراتيجية قي الوقت الحالي (يقصد به وقت كتابة مؤلفه هذا في 1997) إلى روسيا ، ضربة لا يملك المحور الجغرافي للتاريخ الحق في أن لا يرد عليها¹ . يرى دوغين أن روسيا تمثل من وجهة النظر الإستراتيجية كتلة قارية هائلة تتماها مع الأوراسية نفسها ، و بعد إستصلاح سيبيريا و تكاملها تطابقت روسيا مع المفهوم الهيرتلاند

¹ - ألكسندر دوغين ، أسس الجيوبوليتيكا - مستقبل روسيا الجيوبوليتيكي ، ترجمة عماد حاتم ، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1 ، 2004 ، ص 438 .

الجيوسياسي أي "الأرض المتوسطة في القارة " و قد حدد ماكندر المدى المكاني الروسي الكبير بأنه " المحور الجغرافي للتاريخ " ، فهي وضع مستقل و خاص لا هي من الشرق ولا هي من الغرب، ومن وجهة نظر الجيوستراتيجية فإن روسيا تتماها مع الأوراسية نفسها، فروسيا هي محور التاريخ و جميع الدول والأراضي الأوراسية الأخرى الساحلية هي الريملاند.¹

و هنا يريد دوغين إبراز الخصوصية الثقافية و الحضارة و الطابع السكاني و الصناعي الخاص بمركز الأرض الذي يتماها في روسيا و التي تتماها في الأوراسية فأمنها و إستقلاليتها من إستقلالية القارة كلها .

وإستقلاليتها لا تعني إنعزالها بل تعني تميّزها عن الحضارة و الثقافة الغربية الليبرالية الأمريكية، و بالتالي عليها أيضا أن تجلب إليها الخارج القريب مثل دول أوروبا الشرقية ودول آسيا الوسطى و ليس هذا فقط بل أيضا الخارج البعيد كدول أوروبا الغربية خاصة المعسكر فرانكو جرمانى الذي يتطلع إلى التحرر من الرعاية الأطلسية للناتو المناصر لأمريكا، والشرق القاري إيران الهند و اليابان في الحلف الأوراسي الإستراتيجي الجديد و عليها أن تجد مدخلا للوصول إلى المياه الدافئة لتطور أسطولها البحري . و في حالة لم تختار روسيا طريق إستجماع إمبراطوريتها فإن دول أخرى و تحالفات ستتبنى رسالة القارية و تصبح روسيا هدفا إستراتيجيا لتلك القوى و تعلن نفسها قلعة الأوراسيا الجديدة ، قد تقوم الصين بقفزة يائسة نحو الشمال كازاخستان و سيبيريا الشرقية ، أو تتحرك أوروبا الوسطى بإتجاه الأراضي الروسية الغربية و أوكرانيا و بيلاروسيا ، أو يقوم المعسكر الإسلامى بمحاولة التكامل مع

¹ - نفس المرجع ، ص 207 .

آسيا الوسطى ، لكن حسب دوغين إنّ هذا سيؤدي إلى نزاع أوراسي بشع لا مستقبل له، و بالتالي على روسيا أن لا تتخلى عن مشروعها الأوراسي في مواجهة المشروع الأطلسي . و إنّ توحيد الأراضي الروسية تحت حماية روسيا كمحور للتاريخ مخوف اليوم بصعوبات محددة ، إلا أن هذه الصعوبات زهيدة جدا أمام تلك الكوارث التي تُحدِّق إذا لم يجر البدء بتجميع الإمبراطورية في أسرع وقت .¹

دوغين يعتبر الجيوسياسة واحدة من العلوم الأساسية التي تمكّن بصورة صحيحة من صياغة العقيدة العالمية و العسكرية للدولة بالإضافة إلى علوم أخرى لا تقل عنها أهمية، فلكي تكون الفيزياء علما دقيقا عليها أن تتجرد من الكيمياء و قوانينها (و هذا لا يعني أن الفيزياء ترفض الكيمياء)، و هكذا الجيوسياسة فلكي تكون علما صارما يجب عليها أن تتخلص من المقاربات الأخرى غير الجيوسياسية و التي يمكن بل يجب أن تؤخذ في الحسبان عند إتخاذ القرارات النهائية المتعلقة بمصير الدولة و الشعب مضافة إلى الجيوسياسة .²

و في مشروعه الأوراسي الجديد يدعو دوغين روسيا لأن تتجنب التحول إلى مجرد ملحق للإمبراطورية الأمريكية ، و بالتالي عليها إيجاد مراكز متعددة للقوة لا تكون مرتبطة بالولايات المتحدة و لا عولمتها بل على روسيا خلق فضاءات كبرى عبر شبكة من التحالفات بين دول عديدة تشكل مركزا جديدا للقوة أو الإمبراطوريات الناشئة مستقبلا كالإتحاد الأوروبي .

¹ - ألكسندر دوغين ، أسس الجيوبوليتيكا - مستقبل روسيا الجيوبوليتيكي ، ترجمة عماد حاتم ، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1 ، 2004 ، ص 216 .

² - نفس المرجع ، ص 214 .

الفصل الرابع : الجيوسياسية في القرن الواحد و العشرون

و تعتبر أفكار ألكسندر دوغين موجودة قبل مجيء بوتين لرئاسة روسيا، لكن عند مجيء الرئيس فلاديمير بوتين تطابقت توجهاتهما ، خاصة و أنه كانت تمر عدة أزمات على روسيا منها أزمة تفكك الإتحاد السوفياتي العميقة و الأزمة الإقتصادية الكبيرة و حرب الشيشان ، لهذا فكان بوتن مقيّد للإعلام ، لهذا فإن ظهور دوغين المتكرر في وسائل الإعلام الروسية دليل على توافق رؤى بوتين مع أفكار دوغين ، حتى أصبح يسمى بالعقل المدبر لبوتين ، حيث أنه في عديد الخطابات الرسمية للرئيس بوتين تتكرر أفكار دوغين و توجهاته فمثلا في خطاب بوتين سنة 2022 بعد تدخله العسكري في أوكرانيا التي تسير كما رسمها دوغين إضافة إلى ذلك فإن خطابات بوتين في هذه المرحلة تعيد أفكار و توصيات دوغين ، فكلام بوتين عن المليار الذهبي الذي تطرق له دوغين في كتابه الجغرافيا السياسية لما بعد الحداثة- عصر الإمبراطوريات الجديدة الخطوط العامة للجغرافيا السياسية في القرن الحادي و العشرين¹ الصادر في 2007، و غيرها من الأفكار و المصطلحات لهو خير دليل على تأثير دوغين و المفكرين الروس في صنع القرار الروسي و هذا تصحيح لما لم يقيم به الإتحاد السوفياتي بعدم سماعه للجيوسياسيين والمفكرين السوفيات من قبل .

المطلب الثالث : روبرت كابن إنتقام الجغرافيا

وُلد روبرت كابن في الولايات المتحدة الأمريكية بنيويورك سنة 1952 و تخرّج من جامعة كونيتيكت سنة 1973 ، سافر بين عامي 1973 – 1974 في جميع أنحاء أوروبا والشرق الشيوعي و أجزاء من الشرق الأدنى و منذ 1975 عمل كمراسل صحفي في جميع

¹ - ألكسندر دوغين، الجغرافيا السياسية لما بعد الحداثة- عصر الإمبراطوريات الجديدة الخطوط العامة للجغرافيا السياسية في القرن الحادي والعشرين، ترجمة إبراهيم إستنبولي، مراجعة إسكندر الكفوري، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت لبنان، ط 1، 2022

أنحاء العالم العربي و منطقة البحر المتوسط حيث قضى 16 عام خارج الولايات المتحدة وألف 15 كتابا و عديد المقالات ، كما عمل مستشار للقوات الخاصة في الجيش الأمريكي و حاضر في مختلف الأسلاك الأمنية للولايات المتحدة و الجامعات الكبرى . ومن 2009 إلى 2011 عيّنه وزير الدفاع روبرت غيتس عضوا في مجلس السياسات الدفاعية في البنتاغون .¹

- بعد الحرب العالمية الثانية شهدت الجيوسياسة هجوما كبيرا عليها بتحميلها مسؤولية إندلاع هذه الحرب و أنها كانت السبب الرئيسي في شحن النازية و الفاشية ضد الدول المستقلة والتي إستقرت على المبادئ الوستفالية ، و بالتالي قد تم مقاطعة العلوم الجيوسياسية في مختلف مراكز البحث و المؤسسات الجامعية و القنوات الإعلامية ، و رغم الصراعات بعد الحرب العالمية الثانية و دخول العالم في الحرب الباردة إلا أن الدراسات الجيوسياسية كانت جد محتشمة إلا في بعض الأوساط العلمية مثل المدرسة الفرنسية التي أحيها إيف لاكوست ثم إنّ العولمة بكل أدواتها الثقافية و العلمية و الإقتصادية و التجارية و الشركات العابرة للقارات والقنوات الإعلامية و الإنترنت و تقريب المسافات عن طريق الإتصالات التي أضحت متاحة في كل أماكن العالم حتى المناطق النائية إضافة لتطور وسائل النقل البرية و البحرية و الجوية و زيادة سرعتها و وسائل الراحة على متنها و التجارة عن طريق الإنترنت و حتى العمل عن بعد عبر الإنترنت ، مما جعل العالم يشهد حالة من موت الجغرافيا التي لم تعد مستعصية ولا ذات أهمية مركزية في التنظيرات سواء الجيوسياسية أو العلاقات الدولية إضافة إلى تطور الوسائل العسكرية من الطائرات التي زادت من قدراتها

¹ - روبرت . د . كابلان ، إنتقام الجغرافيا - ما الذي تخبرنا به الخرائط عن الصراعات المقبلة و عن الحرب ضد المصير ، ترجمة إيهاب عبد الرحيم علي ، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب ، الكويت ، 2015 ، ص 439 .

الفصل الرابع : الجيوسياسة في القرن الواحد و العشرون

لتصل إلى ما فوق سرعة الصوت، إضافة للصواريخ العابرة للقارات التي مَيَّعت الأرض و لم تجعلها مستعصية إضافة إلى السفن حاملات الطائرات التي أضحت تسيطر على البحار و الغواصات و الأقمار الصناعية التي غزت الفضاء و كل ما تحمله من أنظمة معلوماتية و مراقبة للأرض، و ظهرت الجيوسياسة الافتراضية بعدها الرابع للجغرافيا هو الفضاء السيبرنتيقي فأضحت الوسائل التكنولوجية تربطها الإنترنت أكثر من الجغرافيا، حيث صار الإنسان يتحكم في تحركاته و مصيره بدون الحتمية الجغرافية التي شهدها العالم خاصة خلال حقبة الجيوسياسة الكلاسيكية أي ما قبل الحرب الباردة .

فهل للجغرافيا القدرة أن تعود كأداة مركزية في التحليلات الجيوسياسية للقرن الواحد والعشرين ؟

و هل أدى تراجع دور الجغرافيا خلال الحرب الباردة و ما بعدها في تفسير ظواهر السياسة العالمية إلى موت الجيوسياسة ؟

إنّ إنتصار الليبرالية بعد تفكك الإتحاد السوفياتي أدّى إلى بروز أطروحات فكرية تُمجّد و تُنبئ بعصر جديد تسود فيه القيم و الأفكار الليبرالية ، عصر حَمَلَ شعار " النهايات " (نهاية التاريخ ، نهاية الدولة ، نهاية الإيديولوجيا ، نهاية الجغرافيا) و هذا بفعل التقدم التقني و الإكتشافات العلمية في شتى المجالات و الميادين .¹ خاصة مع مقال فوكواما نهاية التاريخ معلنا فيه أنّه على الرغم من أنّ الحروب و الثورات ستستمر فإن التاريخ بالمعنى الهيجيلي (أي صيرورة التاريخ تتحرك بإتجاه حالة محددة ؛ و هي تحقق الحرية الإنسانية)

¹ - راقي عبد الله، الجيوبوليتيكا و العولمة : في الحديث عن نهاية الجغرافيا ،مجلة دفاتر السياسة و القانون، العدد 17، جوان 2017، ص 210.

قد إنتهى لأن نجاح الديمقراطيات الليبرالية الرأسمالية قد أنهى الجدل حول ماهية نظام الحكم الأفضل للبشرية .¹

لقد عاش العالم خلال الحرب الباردة صراع إيديولوجي لم يحدث في ساحة قتال معينة هذا نظرا لكون إختراع السلاح النووي و القنابل الذرية التي كانت نقمة على البشرية ، لكن من جهة أخرى أضحت نعمة على البشرية حيث ألغت الحروب الشاملة والعالمية خاصة بين القوى العظمى لكون أن إستعمالها سيؤدي إلى فناء الجميع و هذا ما جعل العالم يشهد تراجع كبير في الحروب العسكرية إلاّ بعض الأمثلة المحدودة مثل حرب الفيتنام أو حرب كوسوفو أو أمثلة معدودة أخرى ، و كان الصراع الإيديولوجي يحدث داخل وسائل الإعلام المكتوبة و المسموعة و المرئية و وسائل التواصل الإجتماعي و من خلال جيوسياسة المعرفة من التطور الصناعي و الزراعي والتقني و الثقافي أي كلّ قوة تستعمل إمكانياتها في الترويج لنموذجها من خلال بروباغوندا واسعة النفوذ عبر العالم لكن تبقى مساح الجغرافيا هي التي ستحدد مجالات التوسع الإيديولوجي .

و حتى لو لم يكن الشخص مؤمنا بالحتمية الجغرافية لكي يدرك أن الجغرافيا تمتلك أهمية حيوية ، و كلّما إزداد إهتمامنا بالأحداث الجارية إزدادت أهمية الأفراد و إختياراتهم لكن كلّما زاد تدبرنا لما وقع في القرون الغابرة إزداد إقتناعنا بأن الجغرافيا تؤدي دورا مهما .²

¹ - روبرت . د . كابلان ، إنتقام الجغرافيا – ما الذي تخبرنا به الخرائط عن الصراعات المقبلة و عن الحرب ضد المصير ، ترجمة إيهاب عبد الرحيم علي ، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب ، الكويت ، 2015 ، ص 22 .
² - نفس المرجع ، ص 16 .

لكن من جهة أخرى رأى الجيوبوليتيكيون الجدد أن العولمة لم تقتل الجغرافيا بل كان لها الأثر الإيجابي في زيادة أهميتها بحيث قلّصت المسافات و سرعة التواصل و المواصلات لتجعل الجميع يكتشف الجغرافيا و يمنح أهمية أكبر.

و في هذا الصدد يحاجج الباحث ستانيسلاو بيلين Stanislaw Bielen بأنّ كل من العولمة و الجيوبوليتيك وجهان لعملة واحدة و كلاهما مهم في عملية تحليل العلاقات الدولية ، فالجيوبوليتيك تهتم بموازن القوى و توزيعها، في حين تقوي العولمة عملية نمو الإعتماد المتبادل و التعاون الدولي و عملية إنضاج التكاملات الدولية و الإقليمية.¹ لهذا فإن روبرت كابن يعيد من جديد التنبيه لأهمية الجغرافيا كعامل أساسي في التحليلات الجيوسياسية .

و الجدير بالذكر أن روبرت كابن في كتابه الصادر سنة 2012 بعنوان إنتقام الجغرافيا - ما الذي تخبرنا به الخرائط عن الصراعات المقبلة و عن الحرب ضد المصير² ، من خلال هذا الكتاب يسعى كابن إلى إبراز الأخطاء الجسيمة التي إرتكبتها الدول عند إهمالها للعامل الجغرافي وفي كثير من الأحيان إنتقمت منها الجغرافيا، معززا طرحه بالعديد من الأمثلة و كيف أنّ الجغرافيا هي التي حددت مصير النزاعات و مصير الأمم .

لقد تزامن كتابة كابن لهذا المؤلف بالربيع العربي الذي يشير فيه إلى أنّ المنطقة الواقعة من المغرب إلى أفغانستان واقعة في خضمّ أزمة تتعلق بالسلطة المركزية و رغم أنّ هذه الدول هي جمهوريات ديمقراطية إلا أنّ أنظمتها إستبدادية .

¹ - جلال خشيب ، الجيوبوليتيك في القرن الحادي و العشرين- إنتصار الجغرافيا و عودة عالم ثيوسيديس ، المجلة العربية للعلوم السياسية ، المجلد 19 ، عدد 4 ، 2021 ، ص 95 .

² - Robert D. Kaplan , The Revenge of Géography- What the Map Tells Us About Coming Conflicts and The battle Against Fate , Random house , New york , USA , 2012 .

لقد عملت القنوات الفضائية و الشبكات الإجتماعية عبر الإنترنت على خلق مجتمع واحد من المتظاهرين في جميع أنحاء العالم العربي ، بحيث إستلهم دُعاة الديمقراطية في أماكن متباينة في مصر و اليمن و البحرين ما بدأت شرارته في تونس ، و مع تواصل الثورة كل بلد صاغ روايته الخاصة و التي تتأثر بدورها بتاريخه العميق و جغرافيته المتميزة، و كلما إزدادت معرفة المرء بتاريخ و جغرافية أي دولة بعينها خاصة في الشرق الأوسط تناقص إندهاشه من مسار الأحداث هناك .¹

فتونس منذ القدم كانت تُمثّل الحضارة قديمة العهد، أمّا بالنسبة إلى ليبيا فقد كانت منطقتها الغربية المتمثلة في إقليم طرابلس Tripolitania موجّهة نحو تونس عبر التاريخ بينما كانت منطقتها الشرقية المتمثلة في إقليم برقة Cyrenaica أي بنغازي موجّهة دائما نحو مصر.² و رغم أنّ الكتاب صدر قبل تطور الأحداث في ليبيا إلا أن الجغرافيا أثبتت ذلك، حيث أن الإنشقاق إلى يومنا هذا في ليبيا منقسم إلى شقين الغربي في طرابلس في حكومة الدبيبة مختلفة عن شرقها تحت حكم الجنرال خليفة حفتر حليف مصر .

يشير كابلان إلى جزئية مهمة من التاريخ حيث أن طوال ألفي سنة كلما إزداد القرب من قرطاج و هو موقع تونس في العصر الحديث زاد مستوى التطور ، و لأنّ التمدن في تونس بدأ من ألفي سنة فإن الهوية القبلية المبنية على البداوة التي قال عنها ابن خلدون "أنّها تعرقل الإستقرار السياسي" كانت ضعيفة ، و في الواقع بعد أن تمكّن الجنرال الروماني سكيبيو من هزيمة هنيبل في عام 202 قبل الميلاد على مشارف مدينة تونس فقد قام بحفر

¹ - روبرت . د . كابلان ، إنتقام الجغرافيا – ما الذي تخبرنا به الخرائط عن الصراعات المقبلة و عن الحرب ضد المصير ، ترجمة إيهاب عبد الرحيم علي ، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب ، الكويت ، 2015 ، ص 16 .

² - نفس المرجع ، ص 16 .

خندق لترسيم الحدود و هي ما عُرفت بإسم الحفرة الملكية و التي لا تزال آثارها باقية، فإنّ من يسكن خارجها كان يعرف بالبربرية و التي لا تزال إلى اليوم يسودها الفقر و البطالة ، ففي بلدية سيدي بوزيد بدأت الثورة في تونس سنة 2010 عندما عمد بائع الفواكه لإضرام النار في نفسه كعمل من أعمال الإحتجاج ، فإنها تقع خارج خطوط سبيكو بقليل .¹

قد يقول شخص ما أنها الصدفة لكن يمكن القول أيضا أنّ الجغرافيا لازالت تُفسّر الحياة المدنية و السياسية للدول .

كما يشير كابنن إلى أنّ تونس و مصر لها حضارات منذ القدم و تمتلك تاريخ طويل كدول، في حين تفتقر إلى هذا كل من ليبيا و سوريا و اليمن و هي مناطق تتأرجح بين المركزية و الفوضى بسبب الهشاشة المتأصلة فيها ، فيقول أن الصراع من أجل بناء أنظمة ليبرالية فيها صعب لكون القبائل فيها تتسم بقوتها في حين الحكومة المركزية تتسم بضعفها ، و رغم أن الكتاب صدر في 2012 فقد كان معرفته للجغرافيا بمثابة قراءة للمستقبل حيث بعد مرور 10 سنوات من صدور الكتاب إستطاعت مصر و تونس في مدة قصيرة من إنتخاب رئيس و عودة الحياة النظامية في البلد ، لكن مازالت ليبيا و سوريا و اليمن تعيش حالة من الفوضى و اللاإستقرار . إذا حسب كابنن فإن الجغرافيا تُقدّم وسيلة لفهم جزء على الأقل مما تعنيه الإضطرابات السياسية .

وإنّ العديد من المفكرين وجدوا في سقوط جدار برلين و إنتصار الغرب في الحرب الباردة أنّه سيكون إنتشار للديمقراطية و السلام العالمي في كل مناطق العالم لكونها متصلة بالتلفاز

¹ - روبرت . د . كابنن ، إنتقام الجغرافيا – ما الذي تخبرنا به الخرائط عن الصراعات المقبلة و عن الحرب ضد المصير ، ترجمة إيهاب عبد الرحيم علي ، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب ، الكويت ، 2015 ، ص 16 .

وتجارة الأسواق الحرة و حرية التعبير ، إلا أنّ الحروب لم تتوقف و شهدتها مناطق مختلفة من العالم على غرار أفريقيا كرواندا و الهجمات الإرهابية غرب أفريقيا و الحرب في دول البلقان البوسنة و كوسوفو و غيرها ، فالديمقراطية لا تنتشر حتما عبر التلفاز بل تبقى للجغرافيا كلمتها .

فيشير كابالن إلى أنه رغم مرور مئة سنة عن نظرية ماكندر الهيرتلاند فقد أثبتت أنها وثيقة الصلة على نحو ملحوظ بديناميات الحرب العالمية الأولى ، و الثانية ، و الحرب الباردة ، وعند تفكيكهما فقد دارت الحربان العالميتان حول ما إذا كانت ألمانيا ستهيمن أو لا على المنطقة المركزية لأوراسيا و التي تقع شرقها.¹

ورغم تحالف هتلر مع ستالين إلا أنه بعد مدة قصيرة غزا هتلر الإتحاد السوفياتي في عملية بربروسا بـ 4 ملايين جندي ليتمكن من السيطرة على المنطقة الشرقية لقلب العالم .

بينما ركزت الحرب الباردة بهيمنة الإتحاد السوفياتي على شرق أوروبا أي الحدود الغربية للهيرتلاند ، فأوروبا الشرقية السوفياتية تضم في نطاقها ألمانيا الشرقية و هي بروسيا التاريخية التي تمثّلت دوافعها الإقليمية تقليديا في التوسع شرقا إتجاه المنطقة المركزية في حين إحتوى الجزء الداخلي من الناتو ألمانيا الغربية .²

فيشير الجغرافي الأمريكي شاول ب . كوهين بأنّ " المنطقة التي تفصل ألمانيا الشرقية والغربية ... هي واحدة من الأقدم في التاريخ " فهي المنطقة التي كانت تفصل بين الفرنجة والقبائل السلافية ، في العصور الوسطى . و الجدير بالذكر أنه في عام 1919 عندما كتب

¹ - روبرت . د . كابالن ، إنتقام الجغرافيا - ما الذي تخبرنا به الخرائط عن الصراعات المقبلة و عن الحرب ضد المصير ، ترجمة إيهاب عبد الرحيم علي ، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب ، الكويت ، 2015 ، ص 29 .
² - نفس المرجع ، ص 29 .

ماكندر نظريته ببصيرة ثابتة فإن الخط المار عبر ألمانيا في تحديده لقلب العالم هو نفسه الخط الذي قسمها في الحرب الباردة.¹ (أنظر خريطة الهيرتلاند ، ماكندر) .
و لهذا يُبرز كوهين أنه إن إجتهدت ألمانيا متحالفة مع جهة الشرق سيكون له عواقب وخيمة على بولندا و المجر و بلدان أخرى و الذي سيكون إنتصارا لروسيا القوة البرية ، أما إن إجتهدت إلى تحالف مع الغرب ناحية المملكة المتحدة و الولايات المتحدة فهو إنتصار للقوة البحرية .

و بالنسبة للتدخلات الأمريكية بعد الحرب الباردة ، حيث كانت مكروهة نظرا للتجربة المريرة التي خاضتها في الفيتنام لكن من جهة أخرى هناك من يرى أنه على أمريكا أن تقوم بدورها في تحقيق السلام العالمي بصفقتها صاحبة الهيمنة العسكرية العالمية ، فيقول ليون ويسلتير Wieseltier المحرر الأدبي لمجلة The New Republic " إن حربا ضد الإبادة الجماعية يجب أن يخاض غمارها بغضب ، لأن الغضب هو ما تحاربه ...
فإستخدام القوة ليس حلا أخيرا بل هو الخيار الأول ... " ² (و يضرب مثلا عن الجزيرة التي وقعت في رواندا 1994 و راح ضحيتها نصف مليون شخص من قبيلة التوتوسي و التي صنّفها هيئة الأمم المتحدة بالإبادة ، فيشير إليها ويسلتير قائلا : " إنّ ورطة عسكرية غربية ، لو كنا قد تدخلنا لوقف القتل ، كانت ستكون أفضل مما حدث بكل تأكيد " ³

¹ - روبرت . د . كابلان ، إنتقام الجغرافيا – ما الذي تخبرنا به الخرائط عن الصراعات المقبلة و عن الحرب ضد المصير ، ترجمة إيهاب عبد الرحيم علي ، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب ، الكويت ، 2015 ، ص 29 .

² - نفس المرجع ، ص 34 .

³ - روبرت . د . كابلان ، إنتقام الجغرافيا – ما الذي تخبرنا به الخرائط عن الصراعات المقبلة و عن الحرب ضد المصير ، ترجمة إيهاب عبد الرحيم علي ، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب ، الكويت ، 2015 ، ص 35 .

كما أنّ ويستلر يشير إلى الطريقة التي تدخل بها حلف الناتو بقيادة أمريكا في كوسوفو لتحرير الألبان المسلمين و التي كانت متأخرة حيث ضربت المدن الصربية عن طريق الجو والتي كانت نتائجها كارثية و خلقت معاناة كبيرة ، في حين كان مؤيّدوا مبدأ التدخل الإنساني هو تحرير مدن كوسوفو بواسطة القوات البرية .

لكن يشير أنتوني ليك مستشار الأمن القومي للرئيس بيل كلينتون بقوله : " قبل أن نُرسل قواتنا إلى بلد خارجي يجب أن نعرف كيف و متى سنقوم بإخراجهم." ¹

في حرب الخليج الثانية كان توسع صدام حسين في الكويت، ثم هدفه الثاني السعودية أي السيطرة على ثروات المنطقة مع بحر الخليج العربي الفارسي في 1991 جعل على أمريكا التدخل سريعا عن طريق الجو و أدّى ذلك مباشرة إلى تراجع صدام حسين ، و بذلك تُؤكد أمريكا سيطرتها على الجو في صحراء الشرق الأوسط و في جبال البلقان المستعصية ، فرغم تواجد قرابة نصف مليون جندي أمريكي و مشاركة 30 دولة في الحرب ضد صدام سنة 1991 إلا أنّ الرئيس الأمريكي جورج بوش الأب لم يأمر جنوده بالزحف إلى بغداد و هذا لخشية المؤسسة العسكرية الأمريكية أن يُقتل جنودها خلال تدخلهم البري لأن المسألة حُسمت مباشرة عن طريق الجو و بالتالي عدم إسقاط صدام ، و لنفس السبب لم يتدخل بيل كلينتون سنة 1999 في حرب البلقان بجيشه البري بل إكتفى بالتدخل الجوي لنفس سبب سابقه و بذلك أيضا لم يسقط سلوبودان ميلوسوفيتش (إلا بعد مدة) و هذا ما يشير إليه ويستلير .

¹ - نفس المرجع ، ص 35 .

و لهذا فبعد الحرب الباردة كان التساؤل هل يُفترض بقاء الناتو أم لا ؟ و هل عليه أن يتوسع أم لا ؟ لقد كانت هذه الحروب هي الداعم الرئيسي إلى بقاء الناتو و أكثر من ذلك إلى توسيعه .

و تجدر الإشارة إلى أنّ أحداث **11 سبتمبر 2001** كانت بمنزلة بيرل هاربر، و التي لا يفترض السكوت عليها، كما أنّها إعتداء على مبدأ مونرو بأن لا يتدخل أحد في أمريكا، فلا يمكن أن يمر تدخّل في قلب أمريكا ببساطة و حقيقة كانت فارقة كبيرة في حقل العلاقات الدولية ، حيث صعد رواد الواقعية و البراغماتية إلى إهتمام كبير من المجتمع الأمريكي و العالمي فسمح لأمريكا بالتدخل في أفغانستان كحق مشروع و لكون الخطر القادم من العراق بإعتبارها دولة مارقة يجب كبحها و نزع الأسلحة النووية التي كان يُروّج أنّ صدام حسين يمتلكها فهي بمثابة حرب عادلة للرأي العالم الأمريكي خاصة، و رغم هذا لقي معارضة أمريكية .

و بالتزامن مع الإحترام الجديد لمبدأ الواقعية تجدد الإهتمام بفيلسوف القرن السابع عشر توماس هوبز ، الذي يمجّد المنافع المعنوية للخوف و ينظر إلى الفوضى العنيفة بإعتبارها الخطر الرئيسي الذي يتهدد المجتمع ، فبالنسبة لهوبز فإنّ الخوف من الموت العنيف هو حجر الزاوية في المصلحة الذاتية المستنيرة، و عن طريق بناء الدولة يستبدل الرجال الخوف من الموت العنيف و هو خوف شامل و مشترك بخوف لا يحتاج أن يخشاه سوى أولئك الذين ينتهكون القانون.¹

¹ - روبرت . د . كابلان ، إنتقام الجغرافيا – ما الذي تخبرنا به الخرائط عن الصراعات المقبلة و عن الحرب ضد المصير ، ترجمة إيهاب عبد الرحيم علي ، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب ، الكويت ، 2015 ، ص 41 .

الفصل الرابع : الجيوسياسة في القرن الواحد و العشرون

فيشير هنا كابلن إلى أنّ فترة ما بعد الحرب الباردة التي جعلتهم يحاربون الأنظمة الشمولية وهذا منذ الحرب العالمية الثانية، قد تكون أحيانا أفضل من الحالة التي لا يقود فيها أحد زمام الأمور ، و التي هي أسوء من الشمولية .

ففي 24 فبراير 2006 عندما فُجّر المسجد العسكري الشيعي في سامراء من قبل متطرفي تنظيم القاعدة ، مما أطلق العنان لعاصفة من الفظائع الطائفية في العراق، و التي لم يتمكن الجيش الأمريكي من وقفها ، فجأة صار يُنظر للقوات البرية الأمريكية بإعتبارها عاجزة وسط القوى البدائية للكراهية و الفوضى ، فخرافة القوة العسكرية القاهرة الجديدة للولايات المتحدة التي وُلدت في بنما و حرب الخليج الأولى و التي إنتهكت قليلا في الصومال قبل أن يتم تلميعا في هايتي و البوسنة و كوسوفو ، كانت قد تحطمت جنبا إلى جنب مع المثالية التي ذهبت معها.¹

لقد كان كابلن في 2004 رفقة الجيش الأمريكي الذي يروي رحلته من الكويت إلى بغداد و صعوبة التنقل عبر الصحراء التي تخللها الكثير من الأعطاب في السيارات إضافة إلى ثقل الحمولة في الشاحنات التي وجدت صعوبات جمّة مع العواصف الرملية و الرياح القوية و تهديدات تماطل الأمطار و المسافة التي تبعد مئات الكيلومترات و إطعام الآلاف من المشاة، و تعقيدات لوجستية كبيرة ، فيقول أنّ هذا كان الجزء السهل و غير العنيف من الإحتلال العسكري الأمريكي لكل أرجاء البلاد ، سرعان ما إتّضح الحجم الهائل لتورط أمريكا في العراق ، فكان من الخطأ بكل تأكيد أن يشير البعض بأن التّضاريس الجغرافية لم تعد مهمة .

¹ - نفس المرجع ، ص 40 .

إن الطبيعة البشرية من منظور بانثيون Pantheon المكمّون من الخوف – المصلحة الذاتية – و الشرف تدعم علما من الصراع و الإكراه المتواصل و لأن الواقعيون مثل مورغانثو يتوقعون نشوب الصراع و يدركون أنه لا يمكن تجنُّبه فهم أقل عرضة من المثاليين لأن يبالغوا في الإستجابة له ، فهم يدركون أن الميل إلى الهيمنة هو عنصر طبيعي في جميع التعاملات البشرية أو بين الدول، لقد كتب مورغانثو أنه في نهاية المطاف فإن وجود ضمير أخلاقي عالمي و الذي ينظر إلى الحرب بإعتبارها كارثة طبيعية و ليس إمتدادا طبيعيا للسياسة الخارجية لبلد ما هو وحده ما يقلل من فرص وقوع الحرب .¹

لهذا فكل نظرية تنظر بمنظورها الخاص فالتدخل قد يؤدي إلى نتائج كارثية كما أنّ عدم التدخل قد يؤدي للإنعزالية و هو ما كان في الحرب العالمية الثانية حيث كانت أمريكا منعزلة و لم ترد الدخول في الحرب رغم إلحاح وينستون تشرشل على الرئيس روزفلت بمساعدته إلا أنه كان يرفض دائما رغم قبوله إمداده ببعض المساعدات و لم تدخّل أمريكا الحرب إلا بعد أن هاجمتها اليابان في بيرل هاربر ، هذا ما يجعل دراسة كل أزمة سياسية بإعتبارها خاصة يسمح بدراسة كل جوانبها خاصة الجغرافية و التاريخية فلا يكون القرار إرضاء للنزعة المثالية الأخلاقية الديمقراطية و لا إرضاء للواقعية المفرطة .

يقول أشلي . ج . تيليس : " إن الواقعية غريبة عن التقاليد الأمريكية ، فهي غير أخلاقية عن عمد ، حيث تُركّز على المصالح و ليس على القيم في عالم وضع . لكن الواقعية لا تموت أبدا لأنها تعكس بدقة كيف تتصرف الدول في الواقع ، خلف واجهة خطابها المبني على القيم " فالواقعية الحقيقية هي فن أكثر منها علم، و جدورها تعود إلى

¹ - روبرت . د . كابلان ، إنتقام الجغرافيا – ما الذي تخبرنا به الخرائط عن الصراعات المقبلة و عن الحرب ضد المصير ، ترجمة إيهاب عبد الرحيم علي ، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب ، الكويت ، 2015 ، ص 46 .

2400 سنة أي إلى رؤى تيوسيدائيس **Thucydides** الخالية من الوهم بشأن السلوك الإنساني في الحرب البيلوبونية.¹

و على ذكر أهمية الجغرافيا نستذكر مقولة سبيكمان في عام 1942 أن " الجغرافيا لا تجادل، فهي ما هي عليه ببساطة " و يقول : " الجغرافيا هي العامل الأكثر أهمية في السياسة الخارجية للدول، لأنها أكثر ديمومة. يأتي الوزراء و يذهبون، و حتى الطغاة يموتون، لكن السلاسل الجبلية تظل راسخة في مكانها " .²

و هذا ما يُوضِّح سياسات الدول و توجُّهاتها الإستراتيجية لهذا فإنَّ سبيكمان يضرب مثالا من عمق التاريخ عن أهمية الجغرافيا حيث أنَّ قيصر روسيا ألكسندر الأول 1801 – 1825 فقد أورت جوزيف ستالين ليس فقط أراضي روسيا بل أيضا كفاحه الذي لا ينتهي للوصول إلى البحر و المياه الدافئة، و يشير كابلن أنَّ الحليف الإستراتيجي لروسيا هو الزمن و المسافة ما جعل روسيا تنتصر بهما على نابوليون و هتلر، كما أنَّ الصين والبرازيل تمتلكان مساحة كبيرة و كثافة سكانية أيضا كبيرة إلا أنَّ المحيط الأطلسي عزل البرازيل في حين بحر الصين الجنوبي جعل من الصين قطب إقتصادي هام و نشيط .

فأي شخص يعتقد حقا أن الجغرافيا قد تضاءلت أهميتها بصورة محورية هو شديد الجهل بالخدمات اللوجيستية العسكرية ، فهي العلم المعني بنقل الرجال و المعدات الحربية و التقنية والغذائية و الطبية من منطقة إلى أخرى ، و نقلهم عبر آلاف الأميال عن طريق السفن من

¹ - روبرت . د . كابلان ، إنتقام الجغرافيا – ما الذي تخبرنا به الخرائط عن الصراعات المقبلة و عن الحرب ضد المصير ، ترجمة إيهاب عبد الرحيم علي ، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب ، الكويت ، 2015 ، ص 47 .
² - نفس المرجع ، ص 50 .

الفصل الرابع : الجيوسياسة في القرن الواحد و العشرون

أمريكا الشمالية إلى الخليج العربي في حرب العراق¹ ليس بالأمر السهل و قد يؤدي إلى تغيير مجرى الحرب و عدم تحقيق الأهداف المسطرة .

ورغم وجود الطائرات و الصواريخ الباليستية فإنّ القوات البرية فقط من تسيطر على الأرض وليس القوى الجوية التي لا أحد يُنكر أهميتها و أهمية القوى البحرية، لكن بسط السيطرة يتم عبر القوات البرية .

لهذا يأتي روبرت كابلن بمصطلح إنتقام الجغرافيا يحتاج فيه كيف أنّ الأمم التي تجاهلت الجغرافيا قد إنتقمت منها و دفعت الثمن غالبا ، و يضرب كابلن عدة أمثلة أبرزها :

ما سمي الحرب الأمريكية على الإرهاب فحينما إحتلت الولايات المتحدة أفغانستان ثم العراق ظنّ المحافظون الجدد أن القوة العسكرية الضخمة و التكنولوجيا العسكرية الخارقة التي تمتلكها الولايات المتحدة ستُمكنها من إطاحة نظام طالبان بكل سهولة ثم نظام صدام بالعراق يليها كل من النظامين المارقين إيران و سوريا و كل الدول المارقة تباعا، و ذلك من دون خسارة أي جندي بفضل الطائرات و الصواريخ و هي نظرية الصفر جندي للعسكري أندرو كرينييفتش و التي طبقها وزير الدفاع الأمريكي دونالد رامزفيلد².

لقد نسي الأمريكان التجربة الفيتنامية، و بمعرفتهم المؤكدة بعدم إمتلاك العراق و أفغانستان أي أسلحة نووية، هذا إضافة إلى ضعف جيشي البلدين و مع البروباغوندا الإعلامية التي مارستها أمريكا قبل غزوها للعراق يكون صدام حسين دكتاتور و أنّ أمريكا ستُحلّص

¹ - روبرت . د . كابلن ، إنتقام الجغرافيا - ما الذي تخبرنا به الخرائط عن الصراعات المقبلة و عن الحرب ضد المصير ، ترجمة إيهاب عبد الرحيم علي ، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب ، الكويت ، 2015 ، ص 54 .

² - جلال خشيب ، الجيوبوليتيك في القرن الحادي و العشرين- إنتصار الجغرافيا و عودة عالم ثيوسيديس ، المجلة العربية للعلوم السياسية ، المجلد 19 ، عدد 4 ، 2021 ، ص 104 .

الشعب العراقي منه، كانت عوامل كثيرة تُطمئن أمريكا بأنّ إنتصارها حتمي و ستلقى تأييد شعبي .

لكن النتيجة كانت صادمة جدا إذ خسرت القوة العظمى في العالم حربي أفغانستان والعراق و إنتقلت جبال توروو بورا بأفغانستان و تضاريس العراق الوعرة و مناخها الحار من العقل الأمريكي الذي تجاهل دور الجغرافيا الفعّال أثناء وضعه لخططه بالرغم من أفضلية التكنولوجيا الحربية التي يجوزها، إلاّ أنّ الخسائر المادية و البشرية التي تكبدتها الولايات المتحدة عالية جدا أكثر من 3 ترليونات دولار، و هذا حسب كل من جوزيف شتغلتر و لندا بلمز في كتابهما الشهير حرب التريلونات الثلاثة.¹

سنة 2018 أصدر كابلان كتابًا جديدًا بعنوان: عودة عالم ماركو بولو: الحرب، الإستراتيجية، والمصالح الأمريكية في القرن الحادي والعشرين، وبالرغم من أنّ الكتاب عبارة عن تجميع وترتيب لمقالات سابقة له جرت في نفس السياق إلاّ أنّه تأكيد آخر منه لأهمية العامل الجغرافي في تكوين عالما الحالي، أو بعبارة أخرى إستمرار الدور الفاعل للعامل الجغرافي في القرن الحادي والعشرين بنفس الطريقة التي كانت عليه في عالم الجغرافيين القدماء على غرار ماركو بولو.²

¹ - نفس المرجع ، ص 104 .
² - جلال خشيب ، الجيوبوليتيك في القرن الحادي و العشرين- إنتصار الجغرافيا و عودة عالم ثيوسيديس ، المجلة العربية للعلوم السياسية ، المجلد 19 ، عدد 4 ، 2021 ، ص 106 .

المبحث الثاني : الجيوسياسة المعاصرة

المطلب الأول : جوزيف ناي القوة الناعمة

ولد جوزيف ناي في 19 جانفي 1937 بالولايات المتحدة الأمريكية و هو أستاذ العلوم السياسية و محلل سياسي للعلاقات الدولية و عميد سابق لمدرسة جون كندي الحكومية بجامعة هافارد و هو الآن أستاذ فيها .

لقد عُرف جوزيف ناي بكونه من أكثر الأساتذة في العلاقات الدولية إقترابا من عالمنا المعاصر و يضيف أداة أخرى من أدوات الجيوسياسة و هي **القوة الناعمة** و هي التي لا تعتمد بالدرجة الأولى إلى القوة الصلبة التقليدية بل إلى القوة الناعمة الثقافية و الفكرية والفنية و الرياضية و غيرها من وسائل التأثير الناعم .

و يرى عبد المنعم سعيد¹ أنّ جوزيف ناي أضاف بُعد آخر في توازن العلاقات الدولية بعد القوة الناعمة هي **القوة الذكية** التي أضافت العولمة و التكنولوجيا و العلم كساحة جديدة لتوازنات القوى و تجعلها أقرب إلى السلام أكثر منها إلى الحرب .

لقد بدأ ناي مقدمته في مؤلفه **القوة الناعمة - وسيلة النجاح في السياسة الدولية** الصادر سنة 2004 ليصحح ما أتى به نيكولو ماكيافيل قبل 4 قرون الذي نصح أمراء إيطاليا بأن يكون المرء مهابا أهم من أن يكون محبوبا ، فيقول ناي اليوم أنه على المرء أن يكون مالكا لهاتين الصفتين معا ، مانحا مجال آخر للقوة يجب ملؤه مع التقدم التكنولوجي والرقمي و الإعلامي و الإتصالي .

¹ . عبد المنعم سعيد رئيس مجلس إدارة صحيفة المصري اليوم بالقاهرة ، و رئيس مجلس ادارة و مدير المركز الاقليمي للدراسات الاستراتيجية .

وتتعدد تعاريف القوة إلا أنه يرى بأنها " القدرة على التأثير في سلوك الآخرين للحصول على النتائج التي يتوخاها المرء ".¹

وعلى عكس القوة الصلبة التي تتميز بالقوة المادية العسكرية و الإقتصادية المالكة لوسائل العنف و التهديد فإن الوجه الآخر للقوة هو عامل الجذب و الإغراء و التأثير الثقافي وجعل الآخرين يريدون ما تريد و يفعلون ما تريد بدون إرغامهم، و هذا ما توجه إليه ناي بعدم إستعمال العصا و الجزرة بل بالقوة الناعمة و هي ليست فقط بالإقناع و إن كانت من ضمنها بل أيضا بالجاذبية الثقافية و القيم السياسية و المعنوية و الأخلاقية .

لكن رغم تركيز ناي على أهمية القوة الناعمة إلا أنه لم يدعو الدول أن تتجاهل القوة الصلبة إذ يقول " إن القوتين الصلبة و الناعمة مترابطتان لأنهما معا من جوانب قدرة المرء على تحقيق أغراضه بالتأثير على سلوك الآخرين " ² و هذا ما كان قد أبرزه من قبل ابن خلدون بأن المغلوب مولع أبدا بالإقتداء بالغالب في شعاره و زيه و نخلته و سائر أحواله و عوائده و السبب في ذلك أن النفس تعتقد الكمال في غالبها فتتشبه به لهذا لم يدعوا ناي لتجاوز القوة العسكرية الصلبة بل إلى أداة أخرى يحقق من خلالها الأهداف المسطرة بإتباع إستراتيجيات جديدة ملائمة للعملة و العصر الرقمي .

كما أن القوة الصلبة هي ليست دائما معيار القوة العالمية . فالدبابات ليست مصدر القوة العسكرية في المستنقعات أو الغابات، كما أنّ الفحم و الفولاذ ليسا من مصادر القوة

¹ جوزيف.س. ناي ، القوة الناعمة وسيلة النجاح في السياسة الدولية ، ترجمة محمد توفيق البجيرمي ، العبركان للنشر ، المملكة العربية السعودية ، ط 1 ، 2007 ، ص 20 .

² . نفس المرجع ، ص 27 .

الفصل الرابع : الجيوسياسة في القرن الواحد و العشرون

الكبرى إذا كان البلد لا يملك قاعدة صناعية،¹ و معرفية و ثقافية كبيرة. فمصدر القوة يعتمد على السياق الذي تتحرك فيه هذه القوة سواء الصلبة أو الناعمة بحيث تكون من الأدوات الإستراتيجية لتحقيق الأهداف المسطرة .

و من المفارقات أن الأسلحة النووية كانت مقبولة للردع و لكنها أثبتت أنها رهيبة و مدمرة إلى درجة أنها صارت عضلات مربوطة و مُقَيِّدَة ، أي ذات تكلفة أكثر من اللازم عند إستعمالها في الحرب إلا عند أقصى الظروف القاهرة ، و هكذا إنتصرت فيتنام الشمالية غير النووية على أمريكا النووية كما أنّ الأرجنتين غير النووية لم ترتدع عن مهاجمة جزر الفوكلاند التابعة لبريطانيا رغم مكانة بريطانيا النووية.²

فالثقافة و التجارة و الأفلام و الموسيقى و الفنون و الرياضة و المؤسسات التعليمية والثقافية و الكتب و البرامج و القوانين و سياسات الحكومة داخل الدولة و خارجها و المؤسسات الدينية و الشركات التجارية و غيرها من أدوات القوة الناعمة كلها حاملة لقوة تأثير على المتلقي تجعله ينجذب و يتأثر، و بالتالي يقوم بما تريد بدون أن تأمره أو تُهدده بأن تستعمل معه القوة الصلبة ذات التكاليف العالية و التي تعطي صورة مشينة لصاحبها و تبدد قوته الناعمة .

كما يشير ناي إلى سقوط جدار برلين الذي كان قد تم إختراقه بالتلفزيون و الأفلام السينمائية قبل زمن طويل من سقوطه في عام 1989 ذلك أن المطارق و الجرافات ما كانت لتحطّم الجدار لولا إنتقال الصور و الأفكار من ثقافة الغرب الشعبية على مدى

¹. جوزيف.س. ناي ، القوة الناعمة وسيلة النجاح في السياسة الدولية ، ترجمة محمد توفيق البجيرمي ، العبركان للنشر ، المملكة العربية السعودية ، ط 1 ، 2007 ، ص 33 .

². نفس المرجع ، ص 43 .

الفصل الرابع : الجيوسياسة في القرن الواحد و العشرون

سنوات طوال فإخترقت الجدار قبل أن يسقط .¹ و بذلك فإن الدولة المؤثرة تواجه مقاومة أقل في تحقيق أهدافها المسطرة .

إن نظرية جوزيف ناي للقوة الناعمة هي بمثابة عودة لأفكار صن تزو في القرن الخامس قبل الميلاد الذي قال : " الإنتصار في المعارك ليس هو النجاح التام فالنجاح التام هو أن تكسر مقاومة العدو بدون قتال " و هذا ما أصبح اليوم متاحا للعديد من الدول بعد التطور التكنولوجي و الإتصالي و يقول صن تزو " القائد المثالي يعرف كيف يجمع بين الصلابة و المرونة " أي أن تجمع القوتين أفضل من إحداها فتعزز إحدهما الأخرى ومعرفة الطريقة الأنجع في إستخدامها و هذا ما يجعلنا نستنتج لماذا عَنَوَنَ صن تزو كتابه بـ " فن الحرب " و ليس العمليات الحربية أو الإستراتيجيات الحربية، فالفن يقصد به إبداع صانع القرار في تسيير قدراته القتالية و حسن إستعمال قوته الصلبة و الناعمة .

فتعريف القوة الكلاسيكي هي قدرات الفاعل في إمكانية فرض رغباته على الآخرين ، أو قدرته على تغيير رغبات الآخرين لتحقيق مصالحه . و المصلحة هي تفاعل القوة التي تحتم على الطرف الضعيف الخضوع للطرف القوي ، فالقوة في تعريفها الكلاسيكي تقتصر على القدرات المادية من عسكرية و إقتصادية للدولة و ثروتها الطبيعية و مواردها الأولية و حجم مساحة أراضيها .²

¹ . جوزيف.س. ناي ، القوة الناعمة وسيلة النجاح في السياسة الدولية ، ترجمة محمد توفيق البجيرمي ، العبركان للنشر ، المملكة العربية السعودية ، ط 1 ، 2007 ، ص 10 .

² - pascal boniface, La Geopolitique , 50 fiches pour comprendre l'actualité, éditions Eyrolles , paris, France, 6eme édition, 2019, p 164 .

الفصل الرابع : الجيوسياسة في القرن الواحد و العشرون

لكن في العالم المعاصر لما بعد الحداثة تطوّر مفهوم القوة ليشمل عدة مجالات متعددة التجليات فهي القدرة على بسط النفوذ بالوسائل المتاحة و الإمكانيات المستغلة .
فعوامل القوة الكلاسيكية قد تصبح عائق اليوم ، فدولة ذات ثروات طبيعية كبيرة قد تكون نقمة عليها إذا كانت غير متطورة عسكريا و ذات مساحة صغيرة مثلا الكويت التي جعلت منها ثروتها الطبيعية محل أطماع العراق الذي غزاها في حرب الخليج الثانية و بذلك فهي إلى اليوم محل حماية أمريكية ، في حين دول صغيرة مثل كوريا الشمالية قد جعل من إمتلاكها السلاح النووي دولة قوية رغم فقرها من الموارد الطبيعية ، لكن دولة مثل قطر رغم عدم إمتلاكها قوة عسكرية تقليدية كبيرة و لا ذات مساحة شاسعة إلا أنّ قوتها الإعلامية خاصة مجمع قنوات الجزيرة من قنوات إخبارية و ثقافية و رياضية جعلها تملك قوة تأثير كبيرة خاصة في الوطن العربي أي إمتلاكها القوة الناعمة جعلها تُغطي نقص إمتلاكها للمساحة و القوة الصلبة العسكرية .

دول ذات تعدد عرقي و ثقافي قد يكون نعمة مثل الولايات المتحدة الأمريكية أو نقمة جالبة للحروب الأهلية مثل يوغوسلافيا سابقا .¹

هذا يعني أنه الآن ممكن لدولة قوية بالمفهوم الكلاسيكي أن تنهار بدون غزوها و هذا ما حدث للإتحاد السوفياتي ، كما أنّ بلد صغير مثل كوبا قد يلعب دور حاسم في قلب موازين القوى . لكن بإضافة عناصر العولمة فإنّ جوزيف ناي يُشخص بدقة ميزان القوة الناعمة بالنسبة للقوة الصلبة التقليدية .

¹ - pascal boniface, La Geopolitique , 50 fiches pour comprendre l'actualité, éditions Eyrolles , paris, France, 6eme édition, 2019, p 163 .

تعريف القوة جوزيف ناي : يقول أنّ القوة مثل الطقس يعتمد عليه و يتحدث عنه كل شخص و لكن لا يفهمه إلا القليلون¹ فهي القوة الجذابة و هي إمكانية التأثير على الآخرين بإقناعهم لتحقيق ما تريد فعندها لن تضطر إلى إستخدام العصا و الجزرة .

و بإمكانك فعل هذا ب 3 طرق :

1- بإمكانك إجبارهم على ذلك و هو ما يسمى بالعصا .

2- أن تغريهم بالمال و هذا نسميه الجزرة .

3- أن تجذبهم لصفك و تقنعهم و هذا نسميه القوة الناعمة .

فالقوة الناعمة هي الجذب و الإقناع و هناك طرق كثيرة لإكتساب هذه القوة و التي تعتبر بُعد آخر للقوة، و على الدول التي لا تملك قوة صلبة كبيرة أن تُركّز على خلق قوة ناعمة مؤثرة تناور بها لحماية مصالحها القومية .

و بين ما يصعب حُلّه بالقوة الناعمة كمشكلة كوريا الشمالية النووية إقترح جوزيف ناي القوة الذكية و هي محاولة لحل الأزمات بالجمع بين القوة الصلبة و القوة الناعمة . و لقد قالت هيلاري كلينتون أنّ إدارة أوباما إختارت القوة الذكية كمبدأ لسياستها الخارجية . ويضرب ناي مثالا على أنه في علاقة أو زواج ما ، لا تتركز القوة بالضرورة في يد الشريك الأكبر ولكن في كمية الجاذبية . و ليست القيادة قضية إصدار الأوامر بل بالقدوة و إجتذاب الآخرين لفعل ما تريد ، فالممارسات المعاصرة لأعمال الشرطة القائمة على أساس

¹ - جوزيف.س. ناي ، القوة الناعمة وسيلة النجاح في السياسة الدولية ، ترجمة محمد توفيق البجيرمي ، العبركان للنشر ، المملكة العربية السعودية ، ط 1 ، 2007 ، ص 19 .

إجتماعي تعتمد على جعل رجال الشرطة ودودين بما يكفي لجعل مجتمعهم يرغب بمساعدتهم على تحقيق أهداف الجميع المشتركة.

و يقول ناي هذا لا يعني أنّ من يمتلك القوة سيكون هو المنتصر بل تتطلب خطط إستراتيجية جيدة التصميم و قيادة بارعة ، ففي كثير من الأحيان ما يسيء القادة في تقدير قوتهم و كيفية إستعمالها و تشهد على ذلك اليابان بغزوها على بيرل هاربر في 1941 ، و كذلك صدام حسين عام 1990 .

كما أنّ حرب أمريكا على الفيتنام لاقت معارضة واسعة في بريطانيا و فرنسا و ألمانيا وإيطاليا و بإستطلاع الرأي فإنه بإستثناء فرنسا كانت هناك آراء إيجابية إتجاه الولايات المتحدة طيلة عمليات الحرب الكبرى لكن ترك آثار على قدرة الحكومة الأمريكية على تحقيق النتائج المرغوبة لسياستها فعرقل فقدان الجاذبية الرئيس جونسون للحصول على دعم البلدان الأخرى للحرب في فيتنام و قد أضر هبوط القوة الناعمة بالسياسات الأخرى ، ففي فرنسا مثلا أسهمت فيتنام في الدعم الشعبي الذي أدام موقف ديغول المتزايد العداء لحلف شمال الأطلسي و للولايات المتحدة .¹

ويذكر ناي أن الديمقراطية ما بعد التصنيع تركز على الرفاهية بدلا من المجد ، وإستخدام القوة يتطلب تبريرا أخلاقيا منفصلا و بإحكام متقن لضمان التأييد الشعبي ، وهو ما جعل أمريكا تخلق تبريرات لغزو أفغانستان و العراق .² لكن في المقابل كذلك يستعمل الإرهابيون القوة الناعمة لتحقيق أهدافهم بإجتذاب الدعم من الجمهور بطريقة تعادل قدرته على تدمير

¹ - جوزيف.س. ناي ، القوة الناعمة وسيلة النجاح في السياسة الدولية ، ترجمة مجد توفيق البجيرمي ، العبركان للنشر ، المملكة العربية السعودية ، ط 1 ، 2007 ، ص 67 .

² - نفس المرجع ، ص 44 .

الفصل الرابع : الجيوسياسة في القرن الواحد و العشرون

إرادة القتال عند عدوه و منه ما يطلق عليه متلازمة ستوكهولم ، و يستعمل الأدوات خاصة التكنولوجيا المتاحة التي هي سلاح ذو حدين من الأنترنت و وسائل التواصل الاجتماعي و التحويلات البنكية عن بعد و الأنترنت المظلم و وسائل الإعلام و غيرها و تدخل ضمن حروب الجيل الخامس .

كما أنّ جوزيف ناي يُبرز مصادر كثيرة للقوة الناعمة الأمريكية و تمنحها سمعة و جاذبية فائقة :

- 1- ما يقارب من نصف أكبر 500 شركة في العالم هي شركات أمريكية أي أكثر بخمسة أضعاف ما لدى اليابان التي تحتل المرتبة الثانية .
- 2- إثنين و ستين بالمئة من أهم العلامات التجارية العالمية هي أمريكية .
- 3- قبول عدد المهاجرين الأجانب ب ستة أضعاف ما تستقبله ألمانيا التي تليها .
- 4- أمريكا هي أوّل و أكبر مصدر للأفلام و البرامج التلفزيونية في العالم رغم أنّ بوليوود الهندية تنتج أكثر منها أفلاما في العالم .
- 5- ثمانية و عشرون بالمئة من الطلاب المسجلين في الجامعات عبر العالم مسجلين في جامعات أمريكية .
- 6- الولايات المتحدة الأمريكية أكبر ناشر للكتب .
- 7- الولايات المتحدة تباع المؤلفات الموسيقية ضعف اليابان التي تليها .
- 8- لديها مضيفون في الأنترنت ضعف المضيفين في اليابان .
- 9- تحتل المرتبة الأولى في الفوز بجوائز نوبل في الفيزياء و الكيمياء و الإقتصاد .
- 10- تحتل المرتبة الثانية لصيقة بفرنسا في عدد جوائز نوبل للآداب .
- 11- إضافة للمقالات العالمية و الدولية .

الفصل الرابع : الجيوسياسة في القرن الواحد و العشرون

إن هذه العولمة عن طريق القوة الناعمة تبدو كإستعمار جديد خاصة مع التفوق الأمريكي، فإنّ العديد من الدول تعتبرها إمبريالية أمريكية ناعمة ، لكن رغم عدم تفوق أمريكا في كل المجالات على سبيل المثال في كرة القدم التي لها تأثير كبير على الشعوب فإنها تتفوق في عديد الرياضات الأخرى، و هي صاحبة المركز الأول في الميداليات في الألعاب الأولمبية، وهذا ما يسمى جيوسياسة الرياضة التي تستعملها أمريكا لإيصال قيمها الثقافية، و جيوسياسة المعرفة إضافة إلى الثقافات الشعبية الأمريكية بصفة عامة من طريقة اللبس كالجينز والأكل السريع ماكدونالدز و كوكاكولا و السياحة و اللغة الإنجليزية و عملة الدولار العالمية حيث كانت خطة مارشال و منظمة حلف شمال الأطلسي أداتين فائقتي الأهمية للقوة الإقتصادية و العسكرية الهادفة إلى تعزيز القوة الأمريكية . و مهما قاومتها بعض الدول و منعت الثقافة الأمريكية من دخول أقاليمها كالصين و إيران فإن التطور العلمي من خلال التلفزيون و الإنترنت و الهواتف المحمولة و وسائل التواصل الإجتماعي جعل من المستحيل منعها، مخترقة كل الحدود، فالثقافة الأمريكية و الغربية بصفة عامة توغلت داخل الدول بقوة التطور التكنولوجي.

لكن يُنوّه ناي أنّ أدوات الثقافة الشعبية ليست ساكنة أو جامدة فتأثير الثقافة الأمريكية قد يزداد أو يتناقص في المستقبل ، فمثلا الأفلام الأمريكية لا زالت تحصد 80 بالمئة من عائدات صناعة السينما في العالم لكن بالمقابل التلفزيون الأمريكي شهد هبوطا في حصته من السوق العالمية .

فالقوة يجب معرفة كيفية توزيعها (إنتشارها) و تحويلها (إستثمارها) .

الفصل الرابع : الجيوسياسة في القرن الواحد و العشرون

يقول ناي أنّ العالم اليوم لم يعد له بُعد واحد لمعرفة هل هو ذو قطب واحد أو متعدد الأقطاب فلم تعد القوة العسكرية وحدها المعيار في قياس الأقطاب بل يوجد المعيار الإقتصادي و الصناعي و التجاري و الثقافي و المعلوماتي و التكنولوجي و المعرفي و الفواعل الأخرى و يتطلب مواجهة عديد الأخطار كالتغير المناخي و الإرهاب الدولي و أزمة الطاقة و الغذاء وغيرها ، و هم مثل صفوف رقعة الشطرنج فالصف الأول القوة العسكرية و التي تعتبر أمريكا هي الأقوى بإعتبار أنها ممكن تصل لأي مكان في الأرض بسرعة أكبر و الصف الثاني القوة الإقتصادية و يوجد فيه الولايات المتحدة و الإتحاد الأوروبي و أيضا الصين و الصف الثالث الإعتبارات الأخرى و تتوزع خلال تحركاتها فلا يوجد مسار واحد يضمها ، هذا في كتابه مستقبل القوة **the future of power**.

كما له مؤلف آخر بعنوان **خطوة نحو القيادة** حيث بعد 2001 شعر الأمريكيون أنهم أقوىاء جدا و بإمكانهم أن يفعلوا ما يشاءون و هذا ما تسبب في أخطاء كبرى مثل غزو العراق .

المطلب الثاني : الفوضى الخلاقة

لقد كان تفكك الإتحاد السوفياتي بمثابة فراغ دولي كبير رأت أمريكا ذلك الفراغ أن يكون منظّما على منهجها و بالتالي ملأ الفراغ و محاولة بسط نظام عالمي جديد يتّسم بالولاء أولا إليها ثم أن يكون ديمقراطيا و ليبراليا ، لهذا فقد كان لأحداث 11 سبتمبر 2001

الفصل الرابع : الجيوسياسة في القرن الواحد و العشرون

الذريعة الأسمى لأن تعتبر أي دولة و أي منطقة جغرافية تُمثّل تهديد لها و بالتالي تُمنح أمريكا نفسها الحق في أن تخوض حروب إستباقية ضد أي دولة تعتبرها عدو محتمل .
و هو ما جرى في أفغانستان أولا سنة 2001 ثم في العراق سنة 2003 حيث إعتبرت أنّ عراق صدام حسين يمتلك أسلحة نووية و بالتالي على كل الدول قبول تدخل أمريكا فيه للحد من إنتشار أسلحة الدمار الشامل و بالتالي فهي حرب عادلة في نظرها رغم عدم وجود أي أدلة على هذه الأسلحة .

فإنتهجت أمريكا منطق التفكيك و التركيب لتكوين نظام عالمي جديد ذو القطب الواحد أمريكي بإمتياز ، فكان صدى طروحات هنتغتون صدام الحضارات يحرك أحجار الشطرنج داخل الوطن العربي عبر نظرية الفوضى الخلاقة بميكانيزمات حديثة تدفعها القوة الناعمة عن طريق البروباغوندا الإعلامية و الحروب بالوكالة و الهندسة الإجتماعية و غيرها من إستراتيجيات الإختراق التي أدّت إلى ما دعت إليه كوندليزا رايس و هو الفوضى الخلاقة أو الربيع العربي أو الثورات الملونة و غيرها من التسميات التي مفادها تغيير الأنظمة التي لا تتمشى مع العقيدة الأمريكية تحت مسمى نشر الديمقراطية. فوضعت أمريكا برنامجها، مع إنتهاجها نظرية الدومينو التي يكفي إسقاط حجرة واحدة فتسقط كل الأحجار التي تليها تنابعا، كانت بداياتها أولا في الدول التي تفككت عن الإتحاد السوفياتي، ثم الدول العربية بداية بتونس ثم تلتها الدول العربية الأخرى ليست كلها بل فقط التي لا تتناسب مع العقيدة الأمريكية ، مع السعي دائما إلى حماية الأمن القومي الأمريكي و توفير الإزدهار لشعبه ثم حلفائه و إسقاط أعدائه في الفوضى و الحروب الأهلية و حتى العقوبات الإقتصادية إذا لزم الأمر .

الفصل الرابع : الجيوسياسة في القرن الواحد و العشرون

في لقاء مع كوندليزا رايس وزيرة خارجية الرئيس الأمريكي بوش الابن عندما سُئلت عن الفوضى التي قد تُحدثها تدخلات الولايات المتحدة الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط فقالت: " إنّ الوضع الحالي ليس مستقرا ، و إنّ الفوضى التي تفرزها عملية التحول الديمقراطي في البداية هي فوضى خلاقه ، ربما تنتج في النهاية وضعاً أفضل مما تعيشه المنطقة حالياً " ¹

لقد كان تجسيد أفكار بريجنسكي الجيوسياسية محل التطبيق تدريجياً بداية من ثورة الزهور أو الثورة الوردية في جورجيا التي إستمرت 20 يوم من 3 حتى 23 نوفمبر 2003 أدت لإنتخابات رئاسية في جانفي 2004 أطاحت بنظام الرئيس إدوارد شيفردنادزه المدعوم من موسكو حيث كان وزير خارجية الإتحاد السوفياتي (من 1985 حتى 1990 مع الرئيس ميخائيل غورباتشوف قبل تفكك الإتحاد) و أوصلت ميخائيل ساكاشفيلي المدعوم من الغرب، خاصة و أنه أكمل دراساته في الحقوق بفرنسا و الولايات المتحدة الأمريكية و لكن تجدر الإشارة إلى أنّ الغرب لم يساعده في النزاع الحاصل سنة 2008 في أوسيتيا الجنوبية و أبخازيا بل تركه يصارع أمره المحتوم بالخسارة مقابل روسيا .

فأمريكا سعت في بداية الأمر إلى تعيين نظام موالي لها عبر الفوضى الخلاقه ثم جعله بيدق يقوم بحرب بالوكالة ضد روسيا لجلبها إلى نزاعات عسكرية خارج حدودها لإنهاكها و إستنزافها من جهة و جعلها منبوذة من طرف دولها المجاورة من جهة أخرى ، و في حالة لم تتحرك روسيا لحل نزاع أوسيتيا الجنوبية فإن الولايات المتحدة الأمريكية تضم جورجيا إلى

¹ - رمزي المنياوي ، الفوضى الخلاقه - الربيع العربي بين الثورة و الفوضى ، دار الكتاب العربي ، دمشق، سوريا ، ط 1 ، 2012 ، ص 9 .

الفصل الرابع : الجيوسياسة في القرن الواحد و العشرون

حلف الناتو وبالتالي تتقدم أكثر إلى الحدود الروسية و التحكم أكثر في منطقة الهيرتلاند التي دعا إليها ماكندر .

لكن هذا ما رفضه الروس بإعترافهم بأوسيتيا الجنوبية و تدخل روسيا العسكري لحماية الروس المتواجدين بها ضد الجيش الجورجي الذي أراد إخضاعها بالقوة و ضرب الداعين للانفصال عنها ذوي الأصول الروسية فضلا عن ذلك فإنّ الروس لم ينسوا مساندة جورجيا للشيشانين و بالتالي وجب عليها التدخل . إضافة إلى أنّ قِمة الناتو في أبريل 2008 دعت لضم جورجيا و أوكرانيا ، و رغم إعتراض روسيا إلاّ أنّ تدخل روسيا عسكريا في جورجيا يجعل إستحالة ضم جورجيا للناتو الذي حسب المادة 5 من معاهدته التي تنص على أنّ " أي هجوم أو عدوان مسلح ضد عضو من الأعضاء يعتبر هجوما ضد كل الأعضاء " فالإلتزام بالدفاع الجماعي يقتضي التدخل للناتو منذ البداية في جورجيا إذا تم قبولها لأنها محل نزاع مسلح و بالتالي دخول في حرب مع الروس و هذا ما لا يريده الغرب لأن روسيا دولة نووية إذا فلا يمكن ضمها .

- الثورة البرتقالية في أوكرانيا بدأت من نوفمبر 2004 إلى جانفي 2005 .

لقد رأى الجنرال البروسي كارل فون كلاوزفيتز في 1804 أن الحرب تشن لأحد الأسباب :

- لإبادة الخصم و تدمير نظامه السياسي .
- حروب تشن لإضعاف الخصم بما يكفي لفرض الشروط عليه مهما كانت .
- كما تشن لإكتساب أو إحتلال الأرض .
- أو للإحتفاظ بما تم إكتسابه .

- أو المساومة على الأرض المحتلة في مفاوضات السلام¹

لقد طور كلاوزفيتز أفكاره فيما قد يَسير بشكل متطور لنهج هيغل في الأطروحات والأطروحات المضادة و الذي سمح له بالإستفادة من السمات المحددة لظواهر بعينها وبدرجة عالية من الدقة و الأداء ، فالغاية و الوسيلة ، و الإستراتيجية و التعبئة ، و النظرية والواقع ، و النوايا و التنفيذ ، و الصديق و العدو ، تلك هي الأضداد التي حددها و قارن بينها ليس فقط للحصول على تفهّم أوثق لكل واحد من هذه الأزواج المتضادة و لكن كذلك لمتابعة الإرتباط الحي الديناميكي الذي يشد جميع عناصر الحرب في حالة من التفاعل الدائم².

المطلب الثالث : جون ميرشايمر بنية النظام الدولي

ولد ميرشايمر في نيويورك سنة 1947 ، تجنّد لمدة عامين في الجيش الأمريكي و درس في الكليات العسكرية ، و تخرج سنة 1970 ، ليخدم لمدة 5 سنوات برتبة ضابط في سلاح الجو الأمريكي ، و داوم في كلية الخريجين بجامعة كورنيل عام 1975 و حاز على شهادة الدكتوراه عام 1980 و على الماجستير في العلاقات الدولية من جامعة كاليفورنيا .

يعتبر ميرشايمر واقعي بنيوي من رواد المدرسة الواقعية الجديدة .

يرى أن بنية النظام الدولي على 5 افتراضات³:

¹ - الجنرال كارل فون كلاوزفيتز، عن الحرب، ترجمة سليم شاكرا الإمامي، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، لبنان ط 1 ، 1997 ، ص 38 .

² - الجنرال كارل فون كلاوزفيتز، عن الحرب، ترجمة سليم شاكرا الإمامي، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، لبنان ط 1 ، 1997 ، ص 30 .

³ - محاضرة البروفيسور جون ميرشايمر الواقعية الجديدة و النهوض الصيني 2014 ، ترجمة حمزة بن عبد الرحمن www.youtube.com

- 1- **الدولة** هي الفاعل الأساسي في النظام الدولي و لا توجد سلطة عليا تفرض سيطرتها على تلك الدول (أناركية فوضوية لا سلطوية) فالدول موزعة توزيعا فوضويا على النظام العالمي و لا وجود لسلطة عليا أعلى من سلطة الدولة .
 - 2- كل دولة لديها **قدرة عسكرية** هجومية لكن مختلفة القوة من دولة لأخرى .
 - 3- **النوايا** : الدولة لا يمكنها التأكد من نوايا الدول الأخرى التي تكون داخل مراكز تفكيرهم (ليس قياس قدرتهم) بل نواياهم، ففي الحرب الباردة كانت نقاشات طويلة في الولايات المتحدة الأمريكية حول نوايا السوفييت لخوض الحرب من عدمها و من هو صاحب القرار النهائي في الكرملين . فالنوايا غير قابلة للإثبات، و حتى لو عرفنا نوايا دولة اليوم فلا نعرف نواياها في المستقبل سلبية أم إيجابية .
 - في 1919 في فرساي لو أمكن لدول التحالف أن تتوقع ما ستقوم به ألمانيا مستقبلا لتغيرت الأحداث كثيرا لكن لا أحد كان بإمكانه التنبؤ ، يمكن القول أن تلك الدولة لديها نوايا سيئة لكن لا يمكن إثباتها .
 - 4- البقاء هو الهدف الأسمى لكل دولة، أكيد توجد أهداف أخرى لكن إن لم تحافظ على بقائك فلن تحقق أي أهداف أخرى .
 - 5- الدولة فاعل عقلائي ، أي يتخذ قرارات محسوبة و صنع القرار تمر بمراحل و عبر إستراتيجيات تضاعف حظوظها في البقاء .
- إذا فميرشايمر يرى أن الدول لا تتصارع لكونها مختلفة في الديانة أو النظام الديمقراطي أو الشيوعي و الرأسمالي أو الاشتراكي أو الأخلاقي بل فقط القوة العسكرية هي التي تحدد حجمها .

و إذا جمعنا الإفتراضات الخمسة فسوف نستنتج 3 سمات أساسية لسلوك الدول :¹

1- **الخوف** : كل دولة داخل النظام الدولي تخاف من الدول الأخرى مع إختلاف

درجات الخوف: أ- لأنه قد تكون بجانب دولة تملك قدرات عسكرية أكبر منك

و نوايا سيئة إتجاهك كألمانيا النازية ، ب - لأنه لا توجد سلطة عليا في النظام

الدولي تلجأ إليها إذا حصل نزاع ، لأنه نظام فوضوي أناركي .

2- **الإعتماد على الذات** : لأنه لا يوجد من ينقذك كدولة .

3- **أن تكون من الدول العظمى** : لأن الوسيلة الأفضل للبقاء في النظام الفوضوي

الذي قد يضعك بجانب دولة تسعى للمشاكل هو قوتك ، لأنه في هذه الحالة فقط

لا يتعدى عليك الآخرون .²

(من حسن حظ الولايات المتحدة الأمريكية أن لديهم الكنديون في الشمال و المكسيك

في الجنوب و السمك شرقا و غربا) فلا تقلق من التعدي عليها، و لأنهم دولة عظمى .

أي يجب أن تكون صاحب الهيمنة في هذا النظام و هذا لا يعني أن تعتدي بشكل

عشوائي على دول أخرى ، بل أن تكون القوة المهيمنة لتضمن البقاء .

ميرشايمر يعتقد أنه من المستحيل أن تحقق الهيمنة العالمية لأن العالم كبير جدا و فيه

مساحات مائية شاسعة و من الصعب فرض القوة عبر المياه فلا يمكن السيطرة على العالم

بأكمله ، و يرى أن أمريكا أقحمت نفسها في مشاكل عديدة منذ 1989 ظنا منها أنها

يمكنها أن تصل للهيمنة العالمية .

¹ - محاضرة البروفيسور جون ميرشايمر الواقعية الجديدة و النهوض الصيني 2014 ، ترجمة حمزة بن عبد الرحمن www.youtube.com

² - محاضرة البروفيسور جون ميرشايمر الواقعية الجديدة و النهوض الصيني 2014 ، ترجمة حمزة بن عبد الرحمن www.youtube.com

الفصل الرابع : الجيوسياسة في القرن الواحد و العشرون

فأفضل حل بالنسبة لميرشايمر :

- 1 - أن تكون صاحب الهيمنة في إقليمك .
 - 2- أن تمنع أي محاولة لأي دولة أخرى أن تهيمن على محيطها الإقليمي " علينا أن لا نسمح لألمانيا أن تهيمن على أوروبا ، أو الصين تهيمن على آسيا " .
- فإنّ سيطرة دولة على محيطها يعني أنّها جاهزة لتوسيع دائرة نفوذها حتى تصل إليك ، فالتدخل الأمريكي في كل أنحاء العالم لأنه خطر يهدد أمن نصف الكرة الغربي ، لا يوجد أي دولة في النصف الغربي للكرة تهدد أمريكا عسكريا ، فأمريكا تتدخل لحماية أمنها و توسيع دائرة نفوذها . أي يجب أن لا تسمح لمنافسك بإظهار نفسه .
- ثم مبدأ مونرو 1823 قال رئيس أمريكا جيمس مونرو للقوى الأوروبية " هذا إقليمنا الخاص ، ليس مُرحّب بكم هنا ، ليست لدينا القوة الكافية اليوم لنطردكم خارجا ، لكننا سنفعل ، و لن يكون بمقدوركم العودة مرة أخرى " ¹ .
- حق تقرير المصير لولايات كانت تحت سيطرة السلطة المركزية .
- لقد سعت أمريكا دوما للتخلص من النفوذ الأوروبي .
- و من 1823 إلى 1898 قُبيل الحرب الإسبانية أحكم الأمريكان هيمنتهم على إقليمهم الغربي و لحد الآن هم المهيمنين على كل مناطق إقليمهم الغربي .
- و لم يكن أي منافس لأمريكا خلال القرن التاسع عشر لكن خلال القرن العشرين ظهرت ألمانيا الإستعمارية ، الإمبراطورية اليابانية ، ألمانيا النازية ، الإتحاد السوفياتي سابقا و نجحت الولايات المتحدة الأمريكية في وضع هذه الدول على هامش التاريخ .

¹ - محاضرة البروفيسور جون ميرشايمر الواقعية الجديدة و النهوض الصيني 2014 ، ترجمة حمزة بن عبد الرحمن www.youtube.com

الفصل الرابع : الجيوسياسة في القرن الواحد و العشرون

لقد كادت ألمانيا أن تنتصر في الحرب العالمية الأولى لكن تدخل الولايات المتحدة في أفريل 1917 لتمكين الحلفاء من تحقيق النصر هو نصر لأمريكا بالدرجة الأولى .

و حين إنتهت الحرب العالمية الثانية سارع الإتحاد السوفياتي إلى بسط هيمنته على أوروبا فبدأت الحرب الباردة و إنتصرت أمريكا و إنتهى الإتحاد السوفياتي .

و بعد نهاية الحرب الباردة قال الرئيس الأمريكي جورج بوش الأب أنه أصبح جلياً للعالم اليوم أن الولايات المتحدة الأمريكية هي القوة العظمى الوحيدة و ستبقى كذلك .

فإذا أرادت أي قوة أن تصبح قوة عظمى كالصين مثلا ستسير على نفس خطى الولايات المتحدة لكن نتكلم عن الصين بعد 20 أو 30 سنة أي حتى تصبح قوتها أكبر بكثير مما هي عليه الآن فهي لا تُعتبر قوة عسكرية كبرى الآن .¹

يرى ميرشايمر أن الصين لديها خوف لأن القوى الأوروبية و اليابانية إحتلّوها من قبل حيث كانت الصين ضعيفة ، فالصين الآن تريد أن تكون قوية و لديها طموح لبسط هيمنتها على آسيا هذا ليس معناه أن الصين ستصاب بالجنون و تحتل كل البلدان الآسيوية بل ستسعى لأن تكون الدولة الأقوى في آسيا و أن تحرص على عدم إمتلاك أي دولة لقدرة عسكرية تفوقها و قد تهدد أمنها ، و هذه أحسن نظرية للبقاء .

ثم هل بإمكان الصين أن تُحصّن نفسها بمبدأ مونرو صيني ؟ لكن اليابانيين قاموا بذلك منذ 1930 .

لقد حدث و أن توغل السوفييت إلى إقليم الولايات المتحدة الأمريكية و زرعوا صواريخ على الأراضي الكويتية لمواجهة لأمريكا كان هذا تعدي على مبدأ مونرو في عدم السماح

¹ - محاضرة البروفيسور جون ميرشايمر الواقعية الجديدة و النهوض الصيني 2014 ، ترجمة حمزة بن عبد الرحمن www.youtube.com

الفصل الرابع : الجيوسياسة في القرن الواحد و العشرون

لأي دولة الإقتراب من الأراضي الأمريكية و لهذا سارعت الولاية المتحدة لإبعاد أي خطر في الجانب الغربي للعالم .

أكد أن الصينيين لا يقبلون وجود قواعد عسكرية قبالة الأراضي الصينية و سيفعلون ما بوسعهم لإخراج هذه القوات من آسيا و هذه هي الطريقة الأفضل للبقاء في هذا النظام أي أن يكونوا أقوى و الهيمنة على الإقليم و عدم السماح للقوى العظمى بالإقتراب ، إذا ستسعى الصين لتقوية قوتها العسكرية كثيرا حتى تنجح في دفع نفوذ الولايات المتحدة الأمريكية خارج آسيا .

لكن أمريكا ستمنع وجود أي منافس لها و بالتالي منع الصين من السيطرة على آسيا كما سيطر الأمريكان على الغرب .

يرى ميرشامير أنّ العلاقات الأمريكية الهندية سيئة حتى نهاية الحرب البارد ثم بدأت العلاقات تصبح جيدة بينهما ، فرغم أنّ كلاهما ديمقراطي ليس هذا ما جعل العلاقات تتحسن فحتى من قبل كانت الهند ديمقراطية و كانت العلاقات سيئة ، فما جعل العلاقات جيدة هي الصين فالهنديون يعيشون من خوفهم الدائم من نمو الصين إذا فالهنود و الأمريكان تقربوا من بعضهم لأنهم يتشاركون نفس القلق من نمو الصين، فهذا النسيج يهدف لإحتواء الصين يضمّ كلا من روسيا ، الهند ، كوريا الجنوبية ، اليابان ، سنغافورة و الفيتنام و الفيلبين ، هذا الطوق يسعى لإحتواء الصين .

إذا فكل فعل دفاعي لأحد هذه البلدان ستعتبره الصين هجوما و إعتداء على مصالحها ، و العكس صحيح فأي فعل تقوم به الصين للدفاع عن مصالحها سيُعتبر هجوما و إعتداء على مصالح جيرانها و مصالح أمريكا و هذه هي جدلية الأمن .

فيُعرّف ميرشايمر جدلية الأمن : كل سلوك أمني تنتهجه الدول لحماية نفسها يعتبره الطرف الآخر تهديداً لأمنه.¹

فإذا إستمرت الصين بالنمو و نجحت في تحويل قدرتها الإقتصادية إلى قدرة عسكرية فسوف تكون أمام أمريكا منافسة أمنية حادة، و هذا التحدي سيكون بين الصين من جهة و بين أمريكا و جيران الصين من جهة أخرى و الأمر مشابه للحرب الباردة و قد تؤدي إلى حرب حقيقية .

نظرية ميرشايمر في كتابه سياسة القوى العظمى (تراجيديا القوى العظمى) و إجابته عن سؤال هل الصين ستصبح قوة عظمى؟ مبنية على هذه النظرية ، و بما أنّ كل فروع العلوم الإجتماعية هي علوم غير دقيقة فإنه لا توجد بنية نظرية واحدة و التي يُمكن أن لا تكون صائبة في كل الأوقات.²

الأمن القومي :

يرى الأستاذ باري بوزان و هو أمريكي و أستاذ العلاقات الدولية في جامعة لندن أنّه حدث تطور كبير في مفهوم الأمن القومي ، فبعد أن كان يقتصر على المجال العسكري فقد تعداه ليشمل عدة مجالات ، و هو كل ما يدخل ضمن نطاق الشعور بالخطر من أمر ما يؤدي بنا إلى أخذ تدابير و إجراءات معينة لمواجهة هذا الخطر و يتسم أكثر بالإستعجالية

¹ - محاضرة البروفيسور جون ميرشايمر الواقعية الجديدة و النهوض الصيني 2014 ، ترجمة حمزة بن عبد الرحمن www.youtube.com

² - محاضرة البروفيسور جون ميرشايمر الواقعية الجديدة و النهوض الصيني 2014 ، ترجمة حمزة بن عبد الرحمن www.youtube.com

وإن لم نتحرك له سنتعرض لضرر شديد أو نفقد أشياء ذات قيمة أو يهلكنا. و هذا ما يميز السياسة الأمنية عن السياسة الطبيعية ، لذا فإننا نجد أن دور السياسيين هو جعل الظاهرة الخاضعة للأمننة مقبولة لذا فهم سعداء بما يسمى الحروب على الإرهاب لأنه سبب مقنع للحروب و التدخلات ، لكن هناك آخرون يرون أخطار أمنية حقيقية أكبر مثل ذوبان الجليد ، إرتفاع منسوب المحيط، التغير المناخي . فالأمن يختلف باختلاف الوضعيات و الأولويات وبما أن العلوم الإجتماعية ليست مطلقة و لا نهائية ، فالجميع يفعل ما في وسعه للتصدي للمخاطر الأمنية و التشخيص الجيد إن كانت هذه القضية أمنية من عدمه .

لكن ليس دائما تكون الإعتبارات المقدمة مقبولة فإذا رأينا حرب الفيتنام و العراق، فالأمريكيين لم يكونوا يرون في فيتنام خطر حقيقي و إضافة لذلك فقد فشلت الحرب. و حاليا الحرب على الإرهاب هو المحرك الأساسي لتبرير كل التدخلات الأمنية لهذا جعلوا منه السياسيين خاصة الغربيين موضوع واسع و أكبر من الحرب الباردة و طويل الأمد .

فعملية بناء مفهوم الخطر مهمة جدا ، هذه العملية التركيبية لتبيان مخاطره و الأضرار التي قد تنتج عنه؟ و كذلك كيف سيرد الآخرون على هذه الأخطار؟ ، كما أنه قد يكون هناك خطر لكن لا يتجاوب معه الناس مثل خطر سقوط النيازك الفضائية هو خطر حقيقي يؤدي إلى هلاك الناس لكن رغم هذا لا يعتبرونه خطر رغم أنه يمكن إستغلال هذا الخطر وقد توجد قضايا أقل خطورة قد تم أمننتها ، و الأمثلة عديدة فالغرب خلال الحرب الباردة كان يرى أن الإشتراكية خطر كبير و المعسكر الشرقي كان يرى في الإقتصاد الليبرالي خطر كبير ثم يتغير الوضع و لا تصبح تلك الأحداث أخطارا و تزول، فبمجرد تفكك الإتحاد

الفصل الرابع : الجيوسياسة في القرن الواحد و العشرون

السوفيياتي لم تعد الإشتراكية خطر ، فالأوضاع تختلف و الأخطار تختلف و المخاوف تختلف كذلك.

- لذا فهل دخول أوكرانيا في حلف الناتو يعتبر خطر على الأمن القومي لروسيا ؟
 - و هل التدخل العسكري الروسي في أوكرانيا يعتبر خطر على الأمن القومي للولايات المتحدة الأمريكية و أوروبا ؟
 - و هل إنتخابات الإستقلال عن أوكرانيا التي حدثت في القرم و بعدها في منطقة دونباس و غيرها في أوكرانيا تعتبر حق في تقرير المصير أم لا ؟
- نسعى للإجابة عن هذه التساؤلات في المطلب الرابع .

المطلب الرابع : الأزمة الروسية الأوكرانية

يشهد عالم القرن الواحد و العشرون تطورا تكنولوجيا عميقا و متسارعا من الإبتكارات والتحولات التقنية التي قلّصت بشكل كبير من الجغرافيا و جعلت العالم في حلقة متشابكة من العلاقات التجارية و الصناعية و الثقافية و الرياضية و السياسية و الإعلامية فأى أزمة تمس فضاء معين إلا و تكون لها تداعيات على القطاعات الأخرى و بالتالي على الدول والشعوب .

ولا نكاد نجد شخص في العالم اليوم لا يتكلم في السياسة أو غير متصل بعالم الإنترنت و هذا ما يجعل الشعوب مترابطة و متصلة بشكل وثيق بسائر الأحداث الدولية، و تتشارك الدول في تداعيات الأزمات التي تحصل في أي مجال جغرافي في العالم حتى و لو في منطقة

الفصل الرابع : الجيوسياسة في القرن الواحد و العشرون

منعزلة ، ولعل فيروس كورونا خير دليل على أن العالم جَدَّ مُتَّصِل ببعضه البعض و العولمة قد قلصت بشكل كبير جغرافيا العالم، فالمسافات لم تعد تحسب بالكيلومترات بل بالزمن، فالمسافة بين الجزائر العاصمة و باريس تصل لأكثر من 1300 كلم و يفصل بينهما البحر ، فهذه المسافة تحسب اليوم بساعتين بالطائرة إذا فهي مسافة قريبة، كما أنّ الأحداث الدولية لم تعد فقط وسائل الإعلام هي التي تنقلها و المتحركة فيها ، بل أضحي أي مواطن ينقل الحدث على المباشر من خلال وسائل التواصل الإجتماعي و تطبيقات الهواتف الذكية على غرار فايسبوك و يوتوب و زووم و تيك توك و تويتر و غيرها من التطبيقات التي أضحت تُقرب المسافات بين الشعوب والأمم .

وبهذا فإن الأزمات العالمية في القرن الواحد و العشرون لا تكون منعزلة عن المناطق الأخرى، وإنّ التدخل العسكري الروسي في أوكرانيا في 24 فبراير 2022 قد خلق أزمة دولية يشهد من خلالها العالم تَعَبُّر كبير في النظام العالمي .

تاريخية الأزمة :

لقد كان لخطاب الرئيس الروسي فلاديمير بوتين في 22 فيفري 2022 بمثابة قراءة كرونولوجية للعقيدة الروسية و للأزمة الأوكرانية التي تعود إلى الثورة البلشفية التي قادها لينين و بذلك تأسس الإتحاد السوفياتي مُنشئا جمهوريات من بينها أوكرانيا التي تُعتبر روسيا الصغرى نظرا لأهميتها و أصلها العرقي السلافي الروسي هذا و موقعها الإستراتيجي و غناها بالأراضي الخصبة فتسمى سلة خبز أوروبا، و كذلك مطلة على البحر الأسود أي المنفذ الوحيد لروسيا إلى المياه الدافئة عبر مضيقي البوسفور و الدردنيل .

الفصل الرابع : الجيوسياسة في القرن الواحد و العشرون

كما أنه قد مر عليها أزمات سابقة نذكر منها أزمة المجاعة أو وباء الجوع أو بالأوكرانية الهولودومور Holodomor التي لحقت بأوكرانيا السوفياتية 1932 – 1933 و التي قصفت كامل التراب السوفياتي ، لكن كان المتضرر الأكبر هي المنطقة الأوكرانية حيث توفي ما يقارب 4 ملايين أوكراني ، و التي يُرجعها البعض إلى التحول السوفياتي إلى الإقتصاد الصناعي مما أثر على الفلاحة و سبّب المجاعة ، لكن البعض الآخر يُرجعها لحرب إبادة أرادها ستالي للأوكرانيين الذين لم يتقبلوا منح أراضيهم الزراعية للدولة سنة 1929 في إطار الاشتراكية التي تبناها الإتحاد السوفياتي كنظام إقتصادي .

كما شهدت أوكرانيا حملة التطهير الكبير التي قام بها ستالين في سنة 1936 – 1938 شملت عملية تطهير واسعة النطاق في الحزب الشيوعي و إعتقال المجندين المعارضين المحتملين و تم تسميتهم **الطابور الخامس** أي عدو الشعب و المخربين و آخرين أخذهم إلى معسكرات جولاش الذي تتم فيه التعذيبات .

كما أنه خلال الحرب العالمية الثانية إنقسم الأوكران إلى جبهتين جبهة تُناضل مع السوفيات ضد هتلر و جبهة أخرى إستقبلت جنود هتلر إستقبال المحرر نظرا لما كان يفعله فيهم ستالين ، لكن هتلر دخل إلى أوكرانيا رغبة منه في توفير الغذاء لجنوده .

كما أنه في 1944 قام ستالين بتهجير تاتار القرم إلى سيبيريا بتهمة مساندتهم هتلر . كما أنه كانت شبه جزيرة القرم تابعة للإتحاد السوفياتي إلى أن ألحقها الرئيس ذو الأصول الأوكرانية نيكيتا خوتشوف بأوكرانيا كهدية عام 1954 .

أيضا حادثة تشيرنوبيل 1986 حيث إنفجر المفاعل النووي في مدينة تشيرنوبيل الأوكرانية والتي تَسْتَرَّ على ضحاياها الإتحاد السوفياتي .

بعد تفكك الإتحاد السوفياتي إستقلت أوكرانيا مكونة بذلك حكومة تربطها علاقات وثيقة مع روسيا.

أزمة أوكرانيا المعاصرة

لم تبدأ الأزمة الأوكرانية في 24 فبراير 2022 و لا في 2014 بل الأزمة بدأت منذ تفكك الإتحاد السوفياتي و بدأ الصراع حولها منذ كتابة بريجنسكي مؤلفه رقعة الشطرنج الكبرى في 1997 و التي تطرقنا لها سابقا ، حيث أبرز دورها المحوري كدولة ذات محور جيوسياسي بين الإتحاد الأوروبي و روسيا و يؤيد نظرية ماكندر قلب العالم التي تعد أوكرانيا جزءا هاما منه .

و ذكر بريجنسكي أنّ روسيا بدون أوكرانيا لا تكون دولة عظمى فأوكرانيا هي قلب العالم بالنسبة لروسيا ، و لذا على أمريكا أن تضمها إلى حلف الناتو و كذا الإتحاد الأوروبي . و من الجهة الأخرى أيضا يرى ألكسندر دوغين أهمية أوكرانيا بالنسبة لروسيا و التي عليها أن لا تتنازل عليها، و مجرد وجود أوكرانيا مستقلة و حكومة ليست موالية لروسيا يشكل خطر على هذه الأخيرة و بالتالي لو تطلّب الأمر على روسيا أن تتدخل لتقسيم أوكرانيا بحيث تضم أوكرانيا منطقة الدونباس ذات الأهمية الإستراتيجية و المواطنين ذو أصول روسية و الناطقين بها فيميلون و ينحازون لروسيا، أما منطقة أوكرانيا الوسطى فهي تميل إلى روسيا أكثر من الغرب إلا أنّ أوكرانيا الشرقية فهي متفرقة.

الفصل الرابع : الجيوسياسة في القرن الواحد و العشرون

لقد تعهدت أمريكا للإتحاد السوفياتي قُبَيْلَ تَفْكَكِهِ بأن لا يتم توسيع الناتو بإتجاه روسيا ، كما تتعهد الولايات المتحدة أنّ الدول المستقلة عن تفكك الإتحاد السوفياتي و عددها 14 بدون روسيا أن لا تقوم بضمها إلى حلف الناتو .

في 1994 جرى توقيع مذكرة بودابست التي تعهدت بموجبها روسيا الإتحادية بإحترام حدود أوكرانيا في مقابل تخلي كييف عن ترسانتها النووية الموروثة عن الإتحاد السوفياتي لصالح روسيا ، لكن سرعان ما فرضت الحسابات الجيوسياسية نفسها على شرق أوروبا .¹ مع إتجاه حلف الناتو للتمدد شرقاً إنضمّت جمهوريات التشيك والمجر وبولندا للحلف عام 1999 ، وبين عامي 2004 و 2009 ، إنضمت 9 دول من شرق أوروبا، بعضها من الجمهوريات السوفيتية السابقة (بلغاريا، إستونيا، لاتفيا، ليتوانيا، رومانيا، سلوفاكيا، سلوفينيا، ألبانيا، كرواتيا)، ثم لحقت بها بعد ذلك كل من الجبل الأسود ومقدونيا الشمالية. وأصبح إجمالي عدد الدول التي إنضمت للحلف بين 1999 و 2020 ، نحو 14 دولة تُشكّل نحو نصف الدول الأعضاء في الحلف الذي تأسس عام 1949 .²

ولم يعد متبقيًا من الدول العازلة أو ما يسمى **دول الحاجز Etat Tampon** بين روسيا والناتو سوى بيلاروسيا وأوكرانيا، وترى روسيا أنّ إنضمام هاتين الدولتين إلى الناتو يعني حصارها داخل حدودها، وتصاعدت مخاوفها مع مخرجات قمة الناتو التي عُقدت في العاصمة الرومانية، بوخارست، عام 2008 ، عندما رحّب الحلف بتطلع أوكرانيا وجورجيا لِنَيْلِ عضويتها، وهو ما كان من وجهة النظر الروسية بمنزلة إعلان لحرب ممتدة بين روسيا

¹ - عصام عبد الشافي ، الحرب الروسية-الأوكرانية و مستقبل النظام الدولي ، مركز الجزيرة للدراسات ، 3 ماي 2022 ، تاريخ الدخول <http://studies.aljazeera.net/ar/article/5361> ماي 2022

² - نفس المرجع .

الفصل الرابع : الجيوسياسة في القرن الواحد و العشرون

والغرب.¹ خاصة و أنّ أمريكا دعمت النظام المعادي للروس في أوكرانيا من خلال الفوضى الخلاقة أو ما سمي الثورات الملونة سنة 2004 في أوكرانيا و كذا في الجمهوريات المستقلة عن تفكك الإتحاد السوفياتي جورجيا و غيرغستان و أنتجت هذه الثورات أنظمة موالية للغرب ، لهذا قامت روسيا بحرب ضد جورجيا سنة 2008 و دعمت انفصال إقليمي أبخازيا و أوسيتيا الجنوبية .

و في 2014 ضمّت روسيا شبه جزيرة القرم بعد إجراء إنتخابات لسكان القرم أيدوا الضم لروسيا ، فإذا كان خروتشوف منح القرم كهدية لأوكرانيا بقرار أمر ، إلا أنّ رجوع شبه جزيرة القرم لروسيا كان بإنتخابات شعبية .

كما نشير إلى إندلاع إطلاق النار بين القوات الأوكرانية و سكان إقليم دونباس المتحدثين باللغة الروسية شرق أوكرانيا. و لوقف إطلاق النار تمت إتفاقية مينسك الأولى في 5 سبتمبر 2014 في بيلاروسيا بين روسيا و أوكرانيا و ممثلي إقليم لوهانسك الشعبية و منظمة الأمن و التعاون في أوروبا ، لكنه فشل في وقف النار .

ثم إتفاقية مينسك الثانية في 12 فبراير 2015 و التي حضر فيها زعماء أربع دول: روسيا برئيسها بوتين و أوكرانيا برئيسها بترو بوروشنكو و المستشار الألمانية ميركل و الرئيس الفرنسي فرانسوا هولاند ، كما وقّعت عليها منظمة الأمن و التعاون في أوروبا و جمهوريتي دونيتسك و لوغانسك الشعبيتين ، و في 17 فبراير تبنى مجلس الأمن الدولي قرار يدعم الإتفاق .

¹ - نفس المرجع .

إلا أنّ الأوكرانيين لم يوقفوا القتال و إستمرّ حتى 2022 حيث توفي 35 ألف شخص من إقليم دونباس .

كما أنّه تلقت أوكرانيا مساعدات عسكرية من الولايات المتحدة بقيمة 5, 2 مليار دولار، بما في ذلك 450 مليون دولار عام 2021¹ ، كما قد درّب حلف الناتو أكثر من 35 ألف جندي أوكراني داخل أوروبا .

و لقد أعلنت كييف عدة مرات رغبتها في الإنضمام إلى الإتحاد الأوروبي و إلى حلف الناتو، و لقد كانت الثورة التي إندلعت في 2014 بسبب النظام الذي تراجع عن إعلان إنضمامه إلى الإتحاد الأوروبي فثار الشعب ضده.

و الجدير بالذكر أنه طبقا للمادة 5 من القانون الأساسي لحلف الناتو التي تنص على أنّ أي تعدي على دولة من دول حلف الناتو هو تعدي على كل دول الحلف ، و بالتالي فإنّ إنضمام دولة في حالة حرب إلى حلف الناتو فهذا يعني دخول حلف الناتو مباشرة في حرب مع الدولة المعادية للدولة المنضمة إلى الناتو ، و إستنادا إلى ما سبق فإنّ إنضمام أوكرانيا إلى حلف الناتو هو دخول هذا الأخير مباشرة في حرب مع روسيا ، و هذا ما لا تريده الولايات المتحدة الأمريكية لأن روسيا دولة نووية ، لكن من جهة أخرى تُمول الولايات المتحدة أوكرانيا بالأسلحة و المعدات لإستمرار الحرب .

جيوسياسة الأزمة الأوكرانية :

¹ - عصام عبد الشافي ، الحرب الروسية-الأوكرانية و مستقبل النظام الدولي ، مركز الجزيرة للدراسات ، 3 ماي 2022 ، تاريخ الدخول <http://studies.aljazeera.net/ar/article/5361> 2022 ماي

الفصل الرابع : الجيوسياسة في القرن الواحد و العشرون

- التدخلات العسكرية الروسية في جورجيا 2008 ، وفي أوكرانيا 2014 و في سوريا 2015 ، سواء بإستخدام القوات العسكرية الروسية أو عناصر من الشيشان، أو عناصر شركة "فاغنر" الروسية ، هذا لإسترجاع مكانة روسيا على الساحة العالمية ، و إبراز منافس للأحادية القطبية التي كانت تمارسها الولايات المتحدة بإعتبارها شرطي العالم .

- تعزيز التطور الروسي في المجال التكنولوجي خاصة السيبرنتيقي و الترويج للأفكار الروسية عبر وسائل التواصل الإجتماعي و برامج التجسس عبر تطوير القوة الناعمة الروسية .

- تعزيز التحالفات من خلال تفعيل معاهدة الأمن الجماعي؛ حيث تَدَخَّلَت القوات الروسية لقمع الإحتجاجات الشعبية ضد رئيس كازاخستان قاسم جومرت توكايف في 2022، أو عقد الإتفاقيات الإستراتيجية مع القوى الكبرى مثل الصين عبر منظمة شنغهاي للتعاون. كما يجرى تعزيز هذه التحالفات عبر الإرتباط بمصالح متبادلة و إبرام إتفاقيات مع حلفاء الولايات المتحدة ، مثل ألمانيا وفرنسا، وتبادل التكنولوجيا العسكرية والتفاهات الميدانية في سوريا مع إسرائيل، وتقاسم النفوذ مع تركيا في عدد من ملفات الحوار المشترك، ومساندة إيران في ملفاتها الإقليمية والنووية، والتوغل في مساحات إستراتيجية جديدة في إفريقيا من خلال قوات فاغنر، وإتباع دبلوماسية التسليح مع مصر وبعض دول الخليج العربية.¹

حسب بريجنسكي فإنّ روسيا بدون أوكرانيا ستكون كأقصى تقدير قوى إقليمية ، كما أن الولايات المتحدة لا يمكنها خوض حرب ضد دولة نووية يمثل روسيا ، لهذا فهي تلجأ إلى الحرب بالوكالة من خلال التدعيم المالي و المعلوماتي و تسليح أوكرانيا التي ساعدت رئيسها

¹ - عصام عبد الشافي ، الحرب الروسية-الأوكرانية و مستقبل النظام الدولي ، مركز الجزيرة للدراسات ، 3 ماي 2022 ، تاريخ الدخول <http://studies.aljazeera.net/ar/article/5361> ماي 2022

في الوصول إلى الحكم و هو ليس له خبرة في السياسة بحيث كان ممثل كوميدي، كما أن الولايات المتحدة تدعم كتائب آزوف التي لم تتوقف عن قتل الأوكرانيين الناطقين بالروسية في إقليم دونباس ، و هذا لدفع روسيا للتدخل العسكري أو رضوخ روسيا و قبولها إنضمام أوكرانيا إلى حلف الناتو و بالتالي غلق المجال الحيوي على روسيا و الإستحواذ أكثر للولايات المتحدة على قلب العالم الهيرتلاند و هذا دليل على عودت الجيوسياسة الكلاسيكية .

- إنّ قبول الدول الأوروبية المنتمية للناتو تطبق العقوبات التي فرضتها الولايات المتحدة على روسيا رغم أنّ هذه العقوبات تضر بهم هذا بسبب الخوف من التوغل الروسي في قلب العالم و التقدم نحو أوروبا و تعود أوروبا إلى خوض حرب عالمية تدور رحاها على أرضها مثلما حدث في الحربين العالميتين ، كما أن أوروبا تخشى من الولايات المتحدة القوة العسكرية الأولى في العالم ، كما أنّ أوروبا تخاف من صراع إقتصادي مع الولايات المتحدة الأمريكية يجعل أوروبا منعزلة و متدهورة خاصة مع الأزمة التي تعيشها جراء الأزمات الإقتصادية المتلاحقة من أزمة 2008 و أزمة اليونان و المساعدات المالية للدول ذات الإقتصاد المحدود كإسبانيا و أزمة كوفيد 19 و غيرها من الأزمات الإجتماعية التي أثقلت كاهل إقتصاد الإتحاد الأوروبي و لهذا فلا يمكنهم رفض أوامر الولايات المتحدة .

فالولايات المتحدة الأمريكية تريد إنهاك روسيا التي لا تستطيع خوض حرب ضدها مباشرة بصفتها أكبر دولة نووية ، و بذلك تريد محاربتها من خلال حرب بالوكالة تقوم بها أوكرانيا مكانها ضد روسيا بدعم مالي و مساعدات عسكرية و معلومات إستخباراتية أمريكية و أوروبية لأوكرانيا حتى لا تتوقف الحرب ، أو كما قال الروس أمريكا تريد حربا لا تنتهي

الفصل الرابع : الجيوسياسة في القرن الواحد و العشرون

حتى يسقط آخر أوكراني ، فالصراع الروسي الأوكراني هو صراع روسيا ضد الولايات المتحدة الأمريكية والناطو و الغرب ، فالولايات المتحدة تريد حرب إنهاك و إستنزاف لروسيا حتى تنهار إقتصاديا و عسكريا و عالميا و إقليميا ، فأمريكا تمنح روسيا حرب ضد أوكرانيا مثل حرب الإستنزاف التي خاضتها الولايات المتحدة ضد أفغانستان و العراق .

- العقوبات الأمريكية جعلت روسيا تتعرض لخسائر متنوعة من جرّاء تدخلها العسكري في أوكرانيا، وتنوعت هذه الخسائر بين بشرية و مادية، بسبب كثافة العقوبات الغربية، والتي طالت العديد من القطاعات الإقتصادية الروسية، بما فيها قطاع النفط والغاز، وتجميد الأرصدّة، و إنهاء البنوك التجارية وسلاسل التوريد.¹ كما تم إقصاؤها من نظام سويفت SWIFT البنك للتحويلات المالية و الذي يعتبر أساسيا في المعاملات الإقتصادية بين الدول .

كما تم إلزام العديد من حلفاء الولايات المتحدة بتنفيذ العقوبات و وقف التعامل مع روسيا؛ حيث تضررت صلات روسيا بالعالم الخارجي وقُطِع التبادل التجاري والثقافي والسياسي، وأُغلق المجال الجوي أمام الطيران الروسي في العديد من الدول الأوروبية، ومُنِع الرياضيون والفنانون والسياسيون الروس من المشاركة في العديد من الفعاليات، وكذلك حُظِرَت حركة السفن الروسية من دخول موانئ العديد من دول العالم.²

لكن يوازئها خسائر كبيرة لأوكرانيا سواء في الجانب العسكري أو الإقتصادي و كذلك في البنى التحتية للبلاد .

¹ - عصام عبد الشافي ، الحرب الروسية-الأوكرانية و مستقبل النظام الدولي ، مركز الجزيرة للدراسات ، 3 ماي 2022 ، تاريخ الدخول <http://studies.aljazeera.net/ar/article/5361> 2022
² - نفس المرجع .

الفصل الرابع : الجيوسياسة في القرن الواحد و العشرون

و يوازيتها أيضا خسائر كبرى للإقتصاد الأوروبي الذي يستورد 40 بالمئة من الغاز الروسي و33 بالمئة من النفط الروسي و بالتالي تأثر الإقتصاد الأوروبي الذي قلص من إستراته لهذه المواد ناهيك عن عدم فتح أنبوب نورستريم 2 لجلب الغاز من روسيا مباشرة لألمانيا و هذا تطبيقا لتعليمات أمريكية و بعد مدة قد تم تفجير في الأنبوبين نور ستريم 1 و نورستريم 2 مما جعل توقفهما أمر واقع .

و تشهد أوروبا تضخم كبير في أسواقها و الإقتصاد الألماني أكبر المتضررين إضافة إلى أزمة اللاجئين الأوكرانيين التي قدرت في أبريل 2022 إلى 4 ملايين لاجئ أوكراني دخل الدول الأوروبية ، و هذا يكلفهم أكثر من 30 مليار دولار للعام الواحد ، إضافة إلى أن التضخم وصل للولايات المتحدة الأمريكية .

و الجدير بالذكر أنه من الأهداف الأمريكية إضعاف أوروبا و جعلها تحت مظلتها التي هي حلف الناتو فبعد أن قال من قبل الرئيس الفرنسي ماكرون أن الناتو يعيش حالة شلل دماغي ، لكن اليوم يعود حلف الناتو بتمسك كل الأوروبيين به إضافة إلى رغبة الدول الأوروبية الأخرى بالإنضمام إليه على غرار السويد و فنلندا .

و لا بد من التأكيد أن دخول الناتو إلى أوكرانيا يمثل لروسيا تهديد أمنها القومي ، كما حدث في 2001 عندما غزت أمريكا أفغانستان بذريعة تهديد أمنها القومي بعد أحداث 11 سبتمبر ، و كذا غزوها للعراق في 2003 بذريعة إمتلاك العراق أسلحة نووية تهدد الأمن القومي الأمريكي و العالمي و التي تبين بعد الغزو عدم إمتلاك العراق أسلحة نووية .

كما أنّ في أزمة الصواريخ الكوبية سنة 1962 لم ترضى بها بتاتا الولايات المتحدة و إعتبرتها تهديد لأمنها القومي و تعدي على مبدأ مونرو ، و رغم وجود الصواريخ الأمريكية على

الفصل الرابع : الجيوسياسة في القرن الواحد و العشرون

الأراضي التركية موجهة لروسيا إلا أنّ أمريكا تركت ذلك مستترا ، و قبلت نزع الصواريخ من تركيا مقابل نزع الصواريخ السوفياتية من كوبا .

كذلك مسألة الإنتخابات في القرم و لوهانسك و دونيتسك و خيرسون و زبروجيا إعتبرتها الولايات المتحدة الأمريكية تعدي على القانون الدولي و أنه لا يجوز تمرير إنتخابات على مناطق في حالة حرب ، إلا أنّ هذا المبدأ لم تطبقه الولايات المتحدة في تقسيم السودان و سارعت إلى الإعتراف بالسودان الجنوبي المسيحي .

كذلك التدخل الأمريكي في صربيا و كوسوفو و منطقة يوغوسلافيا السابقة و رغم كون هذا التدخل مرفوض من قبل مجلس الأمن إلا أنّ الولايات المتحدة غزت صربيا و أعلنت إستقلالها رغم عدم إعتراف المجتمع الدولي بهذا الإستقلال .

كما أن التعاون الأمريكي مع تايوان و تقديم المساعدات لها رغم أن الصين تُندد بهذا، إلا أنّ أمريكا تريد أن تجعل من الصين قوة إقليمية فقط و تحصرها داخل حدودها حتى تتمكن أمريكا من السيطرة على منطقة الريميلاند .

كما أنّ التوجيه الإعلامي في حرب العراق و أفغانستان كان بجانب أمريكا التي تسعى حسب زعمها إلى الحفاظ على المواطنين و قتل الموالين للنظام الدكتاتوري لصدام حسين في حين في الأزمة الأوكرانية يميل الإعلام الغربي إلى المواطنين الأوكرانيين الذين يتلقون القصف من القوات الروسية ، في حين القصف الأوكراني لمنطقة دونباس منذ 2014 لم يتم تصويره من قبل الإعلام الغربي .

كذلك اللاجئين الأوكرانيين الذين منذ زمن بعيد يريدون الهجرة إلى أوروبا فإنّ الحرب جعلت وسيلة سهلة لهذا اللجوء تحت ضغط أمريكي على أوروبا بإستقبالهم في حين

الفصل الرابع : الجيوسياسة في القرن الواحد و العشرون

الولايات المتحدة لم تستقبلهم و هذا لإضعاف أوروبا و إنهاكها حتى تبقى دائما تستند إلى الولايات المتحدة الأمريكية و موافقة على تواجد الناتو على أراضيها .

و هذا لم يوقف الروس بل زاد من عزيمتها في تحقيق أهدافها و حماية أمنها القومي و مجالها الحيوي و الصراع ضد الأحادية القطبية ، و في هذا الصدد يقول ميرشايمر أن " الليبرالية ستسقط لأنها تنجح فقط في القطب الواحد ، إذا مع صعود الصين و روسيا سيكون الحذر من القوى العظمى كبير ، فالمنافسة الأمنية زادت على حساب الليبرالية التي سوف لا يهتم بها الكثير " . خاصة و أن الروس جربوا الديمقراطية الليبرالية من قبل في التسعينيات من القرن الماضي و كلفتهم الكثير و لم تنجح ، فالآن يلتفون حول بوتين لسلطوته الناعمة رغم كل مشاكلها ، فالناس يؤمنون أولاً بالأمن و ليس بالحقوق الفردية و لا بالديمقراطية .

و تجدر الإشارة إلى أن العقيدة الإستراتيجية الأمريكية تكمن في أن الحرب تبدأ عند فشل السياسة أما العقيدة الإستراتيجية الروسية فهي مثل ما قال كلاوزفيتز " الحرب هي إستمرار للسياسة بوسائل أخرى " فعند الروس الانتقال من السياسية إلى الحرب و من الحرب إلى السياسة بمرونة ، و الحرب في نظرهم هي الضغط على العدو حتى يقبل التفاوض .

خلاصة :

وفي ظل هذه الصراعات المستمرة تثبت الجيوسياسة مكانتها بين الأمم و تكشف الأسباب الخلفية و رسم المعالم المستقبلية للنظام العالمي ، فالنظريات الجيوسياسية بمثابة عمل إستباقي لِمَا يُمكن أن يحدث و من أجل تجنب المفاجئات ، و إستشراف المستقبل ، والسعي لتقليص هامش الصدفة من خلال الخطط الإستراتيجية و الدراسات العلمية ، حيث أنّ

الفصل الرابع : الجيوسياسة في القرن الواحد و العشرون

الصراع بين القوى البرية و القوى البحرية لم يتوقف و الجغرافيا مازالت تُحدد مصير وتوجهات الشعوب و الدول ، حتى و إن تقلصت في هذا العصر عمليات التوسع الإستعماري إلا أن الجيوسياسة غير نمطه إلى :

- توسع جغرافي عن طريق التحالفات خاصة العسكرية كحلف الناتو و القواعد العسكرية، خاصة القواعد العسكرية الأمريكية التي أضحت منتشرة في عديد الدول و موزعة على كل قارات و بحار العالم .

- توسع إقتصادي عن طريق الأسواق التجارية العالمية و الخطوط التجارية المتنوعة كطريق الحرير و الخطوط البحرية و التكتلات الإقتصادية .

- التوسع الثقافي عن طريق القوة الناعمة من خلال العولمة و الأجهزة الرقمية و الإعلام والإنترنيت و وسائل التواصل الإجتماعي و الأفلام و غيرها من أدوات القوة الناعمة العابرة للحدود ضمن الجيوسياسة الافتراضية .

و تواجه الجيوسياسة الحديثة التحديات المعاصرة منها :

- النفوذ في أعالي البحار

- النفوذ في المجال المعرفي الإلكتروني .

- النفوذ في المجال السيبراني من خلال تطوير أنظمة المعلومات و الإنترنيت و التطبيقات الإلكترونية .

الفصل الرابع : الجيوسياسة في القرن الواحد و العشرون

- الحروب اللامتناهية و الدول الفاشلة و الدول المارقة و الحروب السيبرانية و الحروب بالجيل الرابع و الخامس و الفوضى الخلاقة و هذا ما يؤكد سبجلر .
- الهجرة غير الشرعية .
- ترسيم الحدود على المياه خاصة بإكتشافات حقول النفط و الغاز الجديدة .
- الشركات المتعددة الجنسيات التي أضحت حكومات عالمية ، فالدول العظمى تتنافس على إكتسابها مثل هذه الشركات التي تصبح تُمَثِّل حكومات الظل داخل الدول الأخرى، فُتُشارك في أخذ القرارات داخل الدول بما يتناسب مع مصالح الشركة الأم و الدول الحليفة لها ، و التي قد تتطور مع النفوذ القوي إلى أن تصبح تشكّل الدولة العميقة المحرك الأساسي في جميع قرارات الدولة و الراسمة لسياساتها و أهدافها، و تسعى الدول الأخرى لأن لا تكون تحت نفوذ هذه الشركات التي تقلص من سيادة الدول .
- هجرة رؤوس الأموال ، تبييض الأموال ، التجارة غير المشروعة كالإتجار بالبشر والأسلحة و المخدرات و الآثار و المجوهرات و الألماس المتحصل عليهم بطريقة غير مشروعة و المهربة .
- التهرب الضريبي من خلال اللجوء إلى الدول ذات الإعفاءات الضريبية و هي ما تسمى الجنات الضريبية les paradis fiscaux .
- الهويات الوطنية التي أضحت في خطر خاصة مع إنتشار العولمة المفرطة .
- مواجهة التحديات العالمية و الكونية من الكوارث الطبيعية و السعي إلى التقليل من مخاطرها، كدراسة أماكن الزلازل و من تم بناء منشآت مقاومة للزلازل مثلما تقوم اليابان بذلك ، دراسة أماكن الأعاصير و السعي إلى إخلاء السكان من هذه المناطق قبل

الفصل الرابع : الجيوسياسة في القرن الواحد و العشرون

حدوثها، دراسة مسارات النيازك في الفضاء و السعي إلى تحطيمها قبل وصولها و إرتطامها بكوكب الأرض ، مواجهة الأمراض البيولوجية و الفيروسات و الحد من إنتشارها كإيبولا وفيروس كورونا و غيرها من الأمراض الطبيعية أو الهجمات البيولوجية المحتملة ، مكافحة المجاعة التي تؤدي إلى الهجرة غير الشرعية و الأمراض المتنقلة و الجماعات المسلحة و غيرها من الظواهر الإجتماعية الخطيرة و محاولة فهم الأسباب المؤدية لها و مكافحتها، مجابهة التغير المناخي و الإنتقال إلى الطاقة المتجددة و الحد من الغازات الضارة بالبيئة و تحويلها إلى غازات صديقة للبيئة، و التقليل من إستعمال الموارد الطبيعية حتى لا تنفذ و حمايتها للأجيال اللاحقة.

يقول برتراند بادي بأنه يوجد صراع بين عالمين : عالم الدول المركزية المتشكل بعالم محددة و عدد محدد من الفواعل و يمكن حصرها في الدول المنتمية إلى هيئة الأمم المتحدة ، و عالم آخر غير محدود من الفواعل المؤثرة غير المركزية، و التي تملك قوة تأثير كبيرة و مستقلة عن الدول التي تنتمي إليها ، و ليست لها حدود معومة .

من جهة أخرى المجتمع الدولي يسعى دائما و أبدا إلى حماية الأمن القومي و السلم العالمي و مواجهة الأخطار العالمية على غرار التغير المناخي و الأزمة الغذائية العالمية و الأمراض الخطيرة كفيروس كورونا و حماية الكوكب من النيازك التي ممكن أن تصطدم معه ، إضافة إلى منع إنتشار أسلحة الدمار الشامل و حل المشاكل بالطرق السلمية ، بالقراءة العلمية للجيوسياسة .

الخاتمة

إن علم الجيوسياسة يتسم بمرونة التأقلم و بطابع الإستشراف للدول و مستقبل الأمم فلا يزال في تطور مستمر و متجدد ، و إنّ الدراسة الإستمولوجية لهذا العلم جعلتنا نستنتج أكثر أهميته و الضرورة الملحة لجعله يأخذ مكانة أكبر داخل الأوساط الأكاديمية و السياسية و مراكز البحث الإستراتيجي و لدى صنّاع القرار داخل الدول ، و لا يجب علينا إصدار أحكام عن النظريات التي نشأت في سياقات خاصة بها، بل إنّ الدراسات المعرفية تجعلنا نُحلل بطريقة موضوعية جميع جوانب تطور هذا العلم و المراحل الإستمولوجية التي مرّ بها.

و بهذا فإنّ نتائج هذه الدراسة التي قَسَمَت هذا العلم إلى مجموعة من الحقبات الزمنية لتطور الفكر الجيوسياسي جعلتنا نستنتج مميزات معرفية خاصة بكل حقبة . فبدايات الجيوسياسة إتسمت بطابع الحتمية الجغرافية و مدى تأثير الجغرافيا في صنّاع القرار و أنّ الأرض هي المتحكم في مصير الأمم، و أنّ الصراع بين الأمم يكتسي طابع الحتمية طبقا لقانون الدولة ككائن حي تحتاج لمجال حيوي تضمن به وجودها و تحمي من خلاله مصالحها، لأن الثورة الصناعية خلقت منافسة قوية بين الدول أدت إلى نزاعات تكتسي طابع العالمية و من خلال ذلك بيّن المفكرين الجيوسياسيين مناطق الصراع التاريخي ، كما أنهم رسموا خرائط تُوضّح مناطق مركز الأرض أو قلب الأرض و مميزاته حسب التطور العلمي لتلك الحقبة، فكانت الحرب العالمية الأولى ليأتي بعدها تطور السفن الحربية والطائرات العسكرية و بروز قوى عالمية أخرى جعل المفكرين يرون أنّ منطقة الصراع ستكون حافة الأرض أي نظرية الإطار؛ فكانت نتيجة ذلك الحرب العالمية الثانية بين قوى البر و قوى البحر .

لقد كانت الحرب العالمية الثانية ذات نتائج مُدمّرة على العالم عامة و على أوروبا خاصة و قد تم تحميل مسؤولية إندلاع هذه الحرب على عاتق الجيوسياسة و التي كانت تحمل نظرياتها الحتمية الجغرافية و المجال الحيوي أي الدعوة لتوسع الدول مما جعل جميع الدول العظمى تمنعها في الأوساط الأكاديمية و السياسية و الإعلامية، ما جعل علم الجيوسياسة يمر بعائق إستمولوجي يوقف تطوره و إستمراره .

ليبحث المفكرون الجيوسياسيون بعد ذلك لإعادة التحليل الجيوسياسي فيأتي التركيز على الإنسان الذي يمكن له أن يؤثر في الجغرافيا و يفعلها، و أنّ الصراع العسكري ليس حتمي بل يمكن له أن يأخذ مسارح أخرى فكانت حقبة الحرب الباردة التي شهدت تطور الأسلحة إلى القنابل النووية والذرية و الصواريخ الباليستية ما جعل من الصراعات العسكرية التقليدية إن إندلعت من جديد فستؤدي إلى دمار العالم ، فما كان للدول إلا أن تبحث عن وسائل أخرى لإبراز قوتها و تحقيق طموحاتها فكانت نظرية الممكن لفيدال دولابلاش و نظرية الجروسروم أو المجال الكبير حيث إتسمت الجيوسياسة في هذه الحقبة بالنسبية الجغرافية فلم تصبح الجغرافيا من تفرض حتميتها بل أصبحت في نسبة تتعلق بصانع القرار هل يفعلها و يمنحها الأهمية و يطورها أو يهملها ، لهذا فقد عملت الدول على التطوير المعرفي و التكنولوجي و الرقمي و من خلال العولمة روجت القوى العالمية لنموذجها الإيديولوجي بين المعسكرين ، المعسكر الغربي الليبرالي الرأسمالي بقيادة أمريكا و المعسكر الشيوعي الاشتراكي بقيادة الإتحاد السوفياتي فتصارعت من جديد قوى البر مع قوى البحر بدون إستعمال القوة الصلبة التي كادت أن تفتك بالعالم في أزمة الصواريخ الكوبية سنة 1962 لكن لم تُقلل أي قوة من تطورها العسكري فكانت أيضا حرب النجوم لكن من جهة أخرى تكوّنت الإتحادات و التحالفات العسكرية كحلف الناتو و حلف وارسو و المنظمات الدولية و هيئة الأمم المتحدة و مجلس الأمن. إلا أنّ الصراع بقي و تفوقت القوة الناعمة الليبرالية البحرية على قوى البر بتفكك الإتحاد السوفياتي و توحيد الألمانيتين فكتب فرانسيس فوكوياما مؤلفه نهاية التاريخ أي تفوق النموذج الديمقراطي الأمريكي الليبرالي الرأسمالي .

لكن الغريزة الإنسانية في الصراع دائمة فكانت الجيوسياسة توضح طبيعة الصراعات القادمة من خلال كتاب صدام الحضارات لصامويل هنتغتون، و لو أنّ العالم إستقر على النموذج الذي حدّده معاهدة وستفاليا في 1648 بأنّ الدولة هي الوحدة الأساسية التي تحرك الأمم و تُكوّن المجتمع الدولي، إلا أن ظهور ما سمي بالدول الفاشلة و الحروب اللامتماثلة و الجماعات المسلحة

داخل الدول و الإرهاب العالمي العابر للحدود و حروب الجيل الرابع و الخامس الرقمية جعل الصراع يبرز من جديد فكانت صدام الحضارات و الثقافات خاصة بين الحضارة الغربية و بين الحضارة الصينية الكونفوشيوسية و الحضارة العربية الإسلامية .

لكن مع التطور الرقمي و نظام المعلومات و الإنترنت و وسائل التواصل الإجتماعي و الألعاب الإلكترونية و الأفلام السينمائية و المعاملات التجارية الرقمية و العملات الرقمية و التعليم عن طريق الانترنت الذي جمع كل العلوم و طورها من خلال الذكاء الاصطناعي و سرعة البحوث العلمية و المعرفية، أدى إلى **قطيعة إستمولوجية مع الجيوسياسة الكلاسيكية ذات الحتمية الجغرافية** و إنتقلت إلى **الجيوسياسة الافتراضية** السيرانية ، أي أنّ التنافس الجيوسياسي أخذ بعد رابع مغاير عن البر و البحر و الجو بل أصبح التنافس على **البعد الافتراضي** السيرانيتيقي و هو المجال الرابع للتنافس بين القوى العظمى فكلّ شعوب العالم أصبحت مرتبطة بالمجال الرقمي وظهرت نظريات تقول بموت الجغرافيا و نظرا للمكانة الكبرى التي أضحت يكتسبها المجال الرقمي في حياة الأمم و الشعوب و المعلومات الكبرى التي يحتويها و تحكّمه في العديد من المجالات الإستراتيجية التي تُعتبر من الأمن القومي للدول و تتحكم في مصير الشعوب التي أضحت كل أعمالها و معاملاتها و تجارتها داخل المجال الرقمي السيرانيتي فتطورت التحديات ب بروز **الجيوسياسة السيرانية و جيوسياسة المعرفة و الجيوسياسة الشعبية و جيوسياسة الرياضة** ، أي البعد الرابع للمنافسة الجيوسياسية.

إلا أنّه هناك من ردّ على من نظّر بموت الجغرافيا بأنّ العولمة و العالم الرقمي قرّب الجغرافيا و جعل الشعوب تقترب من بعضها أكثر من خلال التواصل الإجتماعي و التجارة الرقمية و سرعة المواصلات و التبادل المعرفي و غيرها من العوامل التكنولوجية التي جعلت المواطن مشارك في جميع الأحداث الدولية من إبراز الخبر و الرد على الأفكار و التقارير التي تهمة و الدفاع عن مصالحه .

و خلال نهاية القرن العشرون و بداية القرن الواحد و العشرين قدّم بريجنسكي تحليل من خلال مؤلفه **رقعة الشطرنج الكبرى** التي توحى بعودة الجغرافيا فلم تكن أمريكا بقوّتها العسكرية العظمى

تظن أنها ستخسر حرب أفغانستان و العراق و لم تكن الدول العربية تظن أن الربيع العربي سيغير من الخارطة الجيوسياسية و لم يخفى على أي شخص في العالم أن جائحة كورونا أثبتت رجوع حدود الدول و السعي للإكتفاء الذاتي و أن كل دولة تحمي مصالح شعبها أولاً و أخيراً قبل إي تحالف أو إتحاد، كما أنّ التدخل العسكري الروسي في أوكرانيا حالياً جعل الصراعات الجيوسياسية العالمية تبرز من جديد وتحالفات إستراتيجية تظهر في الأفق و هنا تعود الجغرافيا من جديد و تسعى الدول للإهتمام أكثر بالفكر الجيوسياسي لتحليل الأوضاع العالمية و التمرکز حسب الأهداف المسطرة و الإستشراف للمستقبل القريب و البعيد بالتحضير الجيد للتحديات المستقبلية أي عودة الجيوسياسة الكلاسيكية و على قول هالفورد ماكندر بأنّ لكل عصر جيوسياسة خاصة به فإنّ العصر الواحد والعشرون يُثبت عودة الأهمية الجغرافية في عالم متشابك المصالح تسعى من خلاله الجيوسياسة إلى فكّ شيفرات الصراعات الدولية و ميكانيزمات الحد منها و حماية حقوق الإنسان و الأمن القومي للدول و مواجهة الأخطار العالمية على غرار التغير المناخي و الإحتباس الحراري و أزمة المجاعة والهجرة غير الشرعية و المخاطر البيئية و الصحية و إنتشار الأوبئة و سقوط النيازك من الخارج وغيرها من الأخطار التي تهدد العالم .

إننا نشهد ثورة الجيوسياسة بحيث أصبح الجميع يتحدث بها و عنها بإعتبارها العلم الوحيد المفسر لجميع هذه الظواهر العالمية من حروب و نزاعات و تحالفات و تقلبات إستراتيجية في سياسات الدول و غيرها من الأحداث التي تُحَرِّكُهَا الجيوسياسة عبر نظرياتها و تحليلاتها سواء الكلاسيكية أو المعاصرة ، و بهذا تبقى هذه النظريات جد هامة و الدراسات الإستمولوجية لها تُقَرِّبُنَا أكثر لإدراك المعنى الحقيقي للجيوسياسة .

قائمة المصادر و المراجع

قائمة المصادر

- 1 - زيغنييف بريجنسكي ، رقعة الشطرنج الكبرى - التفوق الأمريكي و ضروراته الجيوستراتيجية الملحة ، ترجمة سليم أبراهام ، دار علاء الدين للنشر و التوزيع و الترجمة، دمشق ، سوريا ، ط 9 ، 2015 .
- 2- ألكسندر دوغين ، أسس الجيوبوليتيكا - مستقبل روسيا الجيوبوليتيكي ، ترجمة عماد حاتم ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 2004 .
- 3 - إيف لاکوست ، الجغرافيا السياسية للمتوسط ، ترجمة زهيدة درويش جبور، هيئة أبوظبي للثقافة و التراث (كلمة) ، أبوظبي ، الإمارات العربية المتحدة، ط 1 ، 2010 .
- 4 - فرانسيس فوكوياما ، نهاية التاريخ ، ترجمة حسين الشيخ ، دار العلوم العربية للطباعة و النشر ، بيروت ، لبنان، دت، د ط .
- 5 - فرانسيس فوكوياما ، نهاية التاريخ و الإنسان الأخير ، ترجمة فؤاد شاهين ، جميل قاسم ، رضا الشايبي ، إشراف مطاع الصفدي ، مركز الإنماء القومي ، بيروت ، لبنان ، 1993 ، د ط .
- 6- صامويل هنتنجتون ، صدام الحضارات إعادة صنع النظام العالمي ، ترجمة طلعة الشايب ، تقديم صلاح قنصورة ، سطور ، ط 2 ، 1999 .

- 7 - هنري كيسنجر، النظام العالمي - تأملات حول طلائع الأمم و مسار التاريخ، ترجمة فاضل جتكر ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، 2015 .
- 8 - ألكسندر دوغين ، الخلاص من الغرب - الأوراسية - الحضارات البرية مقابل الحضارات البحرية و الأطلسية، ترجمة علي بدر ، مكتبة دار ألكا ، بغداد، العراق ، ط 1، 2021 .
- 9 - ألكسندر دوغين، الجغرافيا السياسية لما بعد الحداثة- عصر الإمبراطوريات الجديدة الخطوط العامة للجغرافيا السياسية في القرن الحادي و العشرين، ترجمة إبراهيم إستنبولي ، مراجعة إسكندر الكفوري، المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات، بيروت لبنان ، ط 1، 2022 .
- 10 - روبرت . د . كابلان ، إنتقام الجغرافيا - ما الذي تخبرنا به الخرائط عن الصراعات المقبلة و عن الحرب ضد المصير ، ترجمة إيهاب عبد الرحيم علي ، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب ، الكويت ، 2015 .
- 11 . جوزيف.س. ناي ، القوة الناعمة وسيلة النجاح في السياسة الدولية ، ترجمة مُجّد توفيق البجيرمي ، العبركان للنشر ، المملكة العربية السعودية ، ط 1 ، 2007 .

- 1 - نصر مُجَّد عارف ، إستمولوجيا السياسة المقارنة - النموذج المعرفي . النظرية . المنهج، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 2002 .
- 2 - الدكتور خليل حسين ، الجغرافيا الاقتصادية و السياسية و السكانية و الجيوبوليتيكا، منشورات الحلبي الحقوقية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الاولى ، 2012 .
- 3- د . اسماعيل علي سعد ، د . حسن مُجَّد حسن ، النظريات و المذاهب و النظم - دراسات في العلوم السياسية ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، مصر ، ط 2 ، سنة 2005 .
- 4- حسام مرسى ، مدخل العلوم السياسية ، دار الفكر الجامعي ، الإسكندرية ، مصر ، الطبعة الاولى ، 2012 .
- 5- حسن صعب ، علم السياسة، دار العلم للملايين، بيروت ، لبنان ، الطبعة 5، 1977 .
- 6 - جمال عبد الملك (ابن خلدون)، السياسة و الاستراتيجية في الحربين العالميتين الأولى و الثانية ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1988 .

- 7 - مُجَّد عابد الجابري ، مدخل الى فلسفة العلوم : العقلانية المعاصرة و تطور الفكر العلمي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط 5 ، 2002.
- 8 - مُجَّد وقيدي ، الابستمولوجيا التكوينية عند جان بياجيه ، مطبعة أفريقيا الشرق ، الدار البيضاء - المغرب ، د ط، 2007 .
- 9 - روبر بلانشيه ، نظرية المعرفة العلمية - الإبستمولوجيا ، ترجمة حسن عبد الحميد، مطبوعات الجامعة الكويتية ، الكويت ، د ط ، 1986 .
- 10 . بن عامر تونسي ، قانون المجتمع الدولي المعاصر ، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون الجزائر، الطبعة الخامسة، سنة 2004 .
- 11 - علي حسين الشامي ، الدبلوماسية نشأتها و تطورها و قواعدها و نظام الحصانات و الامتيازات الدبلوماسية ، دار الثقافة للنشر و التوزيع ، عمان ، الأردن ، ط 3 ، 2007 .
- 12 - ألكسندر دوفاي ، الجغرافيا السياسية . الجيوبوليتيك ، ترجمة حسين حيدر، عويدات للنشر و الطباعة ، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى ، 2007 .
- 13- شادي عبد الوهاب منصور ، حروب الجيل الخامس أساليب التفجير من الداخل على الساحة الدولية، العربي للنشر و التوزيع، القاهرة ، مصر ، ط 1 ، 2019.

- 14- كلاوس دودز ، و ديدفيد أتكسون ، الجغرافيا السياسية في مائة عام (التطور الجيوبوليتيكي العالمي) الجزء الأول ، ترجمة عاطف معتمد ، و عزت زيان ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، مصر ، الطبعة الاولى ، 2010 .
- 15- الدكتور علي أحمد هارون ، أسس الجغرافيا السياسية ، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر ، الطبعة الأولى ، 1998 .
- 16- د .عبد المنعم عبد الوهاب : جغرافيا العلاقات السياسية .الكويت، مؤسسة الوحدة للنشر والتوزيع، 1977 .
- 17- الدكتور صلاح الدين الشامي ، دراسات في الجغرافيا السياسية ، منشأة المعارف ، الاسكندرية ، مصر ، الطبعة الثانية ، 1999 .
- 18- معين حداد ، الجيوبوليتيكا - قضايا الهوية و الإنتماء بين الجغرافيا و السياسة ، شركة المطبوعات للتوزيع و النشر ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى، 2006 .
- 19 - فرانسوا جيريه ، الجيوسياسية الجديدة : الحرب و السلم في عصرنا الحالي ، la rousse , la nouvelle géopolitique ترجمة هلا أمان الدين ، مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر ، الرياض ، السعودية ، الطبعة الأولى ، 2014 .
- 20- د. الظاهر نعيم : الجغرافيا السياسية المعاصرة. الأردن، اليازوري للنشر والتوزيع، د ط، 2007 .

- 21 . مُجَّد رياض، الاصول العامة في الجغرافيا السياسية و الجيوبوليتيك ، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة ، القاهرة ، مصر ، د ط ، 2014 .
- 22 . د . جاسم سلطان ، جيوبوليتيك عندما تتحدث الجغرافيا . الجغرافيا و الحلم العربي القادم ، تمكين للأبحاث و النشر ، لبنان ، بيروت ، الطبعة الاولى ، 2013 .
- 23 . عبد العزيز جراد ، الجيوسياسة مفاهيم معالم و رهانات ، منشورات شهاب ، الجزائر ، ط 1 ، 2018 .
- 24 . مجدي كامل ، أحداث التاريخ الكبرى ، دار الكتاب العربي ، دمشق - القاهرة ، ط 1 ، 2012 .
- 25 - مُجَّد عبد السلام ، الجيوبوليتيكا علم هندسة السياسة الخارجية للدول ، دار الكتب ، بيروت ، لبنان ، 2019 .
- 26 - رمزي المياوي ، الفوضى الخلاقة - الربيع العربي بين الثورة و الفوضى ، دار الكتاب العربي ، دمشق، سوريا ، ط 1 ، 2012 .
- 27 - الجنرال كارل فون كلاوزفيتز ، عن الحرب ، ترجمة سليم شاکر الإمامي، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1997 .

28 - ليدل هارت ، الإستراتيجية و تاريخها في العالم ، ترجمة الهيثم الأيوبي ، دار الطليعة ، بيروت، ط 1 ، 1967.

29 - الجنرال بوفر ، مدخل إلى الإستراتيجية العسكرية ، ترجمة أكرم ديري و الهيثم الأيوبي، دار الطليعة ، بيروت، ط 2 ، 1970 .

30- منى الأشقر جبور ، السيبرانية - هاجس العصر ، المركز العربي للبحوث القانونية و القضائية ، جامعة الدول العربية ، مجلس وزراء العدل العرب ، ص 11
www.carjj.org

31- أغنيتشكا لغونسكا، الجيوبوليتيك الجديدة - ما الجديد فعليا في هذا الحقل ؟ ،
ترجمة جلال خشيب، إدراك للدراسات والإستشارات، تركيا، جانفي 2018، ص 11
Agnieszka legucka, Copernicus Journal of Political Studies,
Issue 2 (4) 2013, Warsaw-Poland, PP: 05-10

قائمة المصادر الأجنبية

1 - yves lacoste , Geopolitique - la longue histoire d'aujourd'hui , Graficas Estella, Espagne, Larousse 2012 .

2 - dictionnaire encarta 2002 - 2008 , microsoft corporation .

- 3 Abdelaziz Djerad , la géopolitique : repères et enjeux , édition chihab , Alger , 2016 .
- 4-Karl mannheim , ideologie and utopia , new york , Harvest 1936 .
- 5- Manuel géographique de politique européenne .
- 6- sophie chautard,L'indispensable de la géopolitique, groupe studyrama-vocatis, France 2009 sans édition .
- 7- Encarta 2009 , Microsoft Encarta and Student Program Manager USA .
- 8- Olivier Zajec , INTRODUCTION A L'ANALYSE GEOPOLITIQUE , histoire , outils , methodes , Edition du rocher , Monaco , France , 2018 , 4eme édition augmentée et mis a jour .
- 9 - Gérard Dussouy, Les théories géopolitiques, Traité de relations internationales. Tome 1 Paris : Éditions L'Harmattan, 2006, 368 pg. Collection "Pouvoirs comparés", dirigée par Michel Bergès. Édition numérique réalisée le 21 août 2011,

revue le 3 novembre 2011 à Chicoutimi, Ville de Saguenay, Québec .

10 - G. Rennen, Peaco by the Map, New-york 1944.

11- Hervé cCouteau-Bégarie et Martin Motte , approches de la géopolitique de l'antiquité au XXI eme siècle , Economica , paris , France , 2013 .

12 - carl schmitt, land and sea, translated by simona Traghici, 1édition, plutrach press, washington, 1997 .

13- Paul Vidal DE LA Blache , La France de l'Est , paris , armand colin , 1918 .

14- - pascal boniface, La Geopolitique , 50 fiches pour comprendre l'actualité, éditions Eyrolles , paris, France, 6eme édition, 2019 .

15-Samuel P. Huntington, The Clash of Civilization and the Remaking of World Order , simon and schuster Rockfeller , New york , USA , 1996 .

16- Extraits de l'interview de Zbigniew Brezezinski , par Vincent Jauvert, Le Nouvel Observateur, 11 janvier 1998 .

17 - Robert D. Kaplan , The Revenge of Géography- What the Map Tells Us About Coming Conflicts and The battle Against Fate , Random house , New york , USA , 2012 .

18 - Extraits de l'interview de Zbigniew Brezezinski , par Vincent Jauvert, Le Nouvel Observateur, 11 janvier 1998 .

19- Pascal Boniface , ATLAS des relations internationales – 100 carte pour comprendre le monde de 1945 à nos jours , ARMAND COLIN , paris , France , 2018 .

20- Netwar - Could Be Even Worse Than Cyberwar , Ian Bogost , 26 – 02 – 2022

[www://theatlantic.com/technology/archive/2022/02/russia-ukraine-conflict-cyberwar/622931/](http://www.theatlantic.com/technology/archive/2022/02/russia-ukraine-conflict-cyberwar/622931/) .

21- «Importance of Geography in World Politics,» *The Montréal Review* (1 June 2009), <<https://bit.ly/2TyvH97>> .

قائمة الموسوعات و المعاجم

- 1- أندري لالاند ، موسوعة لالاند الفلسفية ، تعريب خليل أحمد خليل ، المجلد الأول A
G - ، منشورات عويدات ، بيروت - باريس ، الطبعة الأولى ، 1996.
- 2- أندري لالاند ، موسوعة لالاند الفلسفية ، تعريب خليل أحمد خليل ، المجلد الأول A
G - ، منشورات عويدات ، بيروت - باريس ، الطبعة الثانية ، 2001.
- 3- أندري لالاند ، موسوعة لالاند الفلسفية المجلد الثاني H - Q تعريب خليل أحمد
خليل ، منشورات عويدات ، بيروت - باريس ، الطبعة الثانية ، 1996 .
- 4- أندري لالاند ، موسوعة لالاند الفلسفية ، تعريب خليل أحمد خليل ، المجلد الثالث
R - Z ، منشورات عويدات ، بيروت - باريس ، الطبعة الثانية ، 2001 .
- 5- مُحمَّد بن مكرم بن علي ، أبو الفضل ، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي
الإفريقي المصري ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثالثة ، 1414 هـ
، الجزء 6 س - ش .
- 6- هادي العلوي ، قاموس الدولة و الاقتصاد ، سلسلة المعجم العربي المعاصر 2 ، دار
الكنوز الأدبية ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ، 1997 .

7- جلال الدين سعيد ، معجم المصطلحات و الشواهد الفلسفية ، دار الجنوب للنشر، تونس ، ب ط ، 2004 .

8- تيري دي مونبريال و جان كلين ، ترجمة الدكتور علي مُحمَّد مقلد ، موسوعة الاستراتيجية، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى ، 2011 .

9- الموسوعة العربية العالمية أونسيكلوبيديا 2004 global arabic encyclopedia .

10- معهد البحرين للتنمية السياسية ، معجم المصطلحات السياسية ، معهد البحرين للتنمية السياسية ، البحرين سلسلة كتب 2014 .

11 - political encyclopedia, الموسوعة السياسة / الإستراتيجية / www.political-encyclopedia.org

قائمة الرسائل الجامعية

1 - مُحمَّد أمين بن جيلالي ، مشكلة بناء الدولة دراسة ابستمولوجية وفق أدبيات السياسة المقارنة ، مذكرة ماجستير في العلوم السياسية تخصص السياسات المقارنة قسم العلوم السياسية كلية الحقوق و العلوم السياسية جامعة ابي بكر بلقايد، تلمسان ، الجزائر . 2014/2013 .

المجلات و المقالات

1 - لويزا أوديسيوس و فاييو بيتيتو ، الفكر السياسي عند كارل شميدت ، ترجمة جلال خشيب ، المعهد المصري للدراسات ، ترجمات المعهد 11 أكتوبر 2019 ، اسطنبول ، تركيا .

2 - <https://p.dw.com/p/6VJJ> 25/02/2021 _ 10:00

رشيد بوطيب ، لؤي المدهون ، الفيسلسوف كارل شميت : ديناميت الفكر المعادي للبرالية .

3 - جلال خشيب ، الجيوبوليتيك في القرن الحادي و العشرين- إنتصار الجغرافيا و عودة عالم ثيوسيديس ، المجلة العربية للعلوم السياسية، المجلد 19، عدد 4 ، 2021.

4 - جلال خشيب ، الجيوبوليتيك الروسية الحديثة و المعاصرة طموح النظرية و حدود التطبيق ، مجلة " رؤية التركية " 2018 ، مركز إدراك للدراسات و الاستشارات .

5 - لويزا أوديسيوس و فاييو بيتيتو ، الفكر السياسي عند كارل شميدت ، ترجمة جلال خشيب ، المعهد المصري للدراسات ، ترجمات المعهد 11 أكتوبر 2019 ، اسطنبول ، تركيا .

6 – <https://p.dw.com/p/6VJJ> 25/02/2021 _ 10:00

رشيد بوطيب ، لؤي المدهون ، الفيلسوف كارل شميت : ديناميت الفكر المعادي لليبرالية

7 – عصام عبد الشافي ، الحرب الروسية-الأوكرانية و مستقبل النظام الدولي ، مركز الجزيرة للدراسات ، 3 ماي 2022 ، تاريخ الدخول ماي 2022
<http://studies.aljazeera.net/ar/article/5361>

8- البدر الشاطري ، العالم بين الجيواقتصادية و الجيوسياسية، البيان، مؤسسة دبي للإعلام، 11 فيفري 2022 ، www.albayan.ae

9 – راقدي عبد الله، الجيوبوليتيكا و العولمة : في الحديث عن نهاية الجغرافيا ،مجلة دفاتر السياسة و القانون، العدد 17، جوان 2017 .

أشرطة الفيديو و الأشرطة الوثائقية

1 - محاضرة البروفيسور جون ميرشايمر الواقعية الجديدة و النهوض الصيني 2014 ، ترجمة حمزة بن عبد الرحمن

www.youtube.com

1 - محاضرة البروفيسور جون ميرشايمر الواقعية الجديدة و النهوض الصيني 2014 ،

ترجمة حمزة بن عبد الرحمن

www.youtube.com

2- Idriss j. Aberkane , Geopolitique de la connaissance ,
conference au Cercle Aristote, 18 aout 2022 .

www.youtube.com/watch?v=BOfdULZsQqE 19 aout 2022

3- ARTE France – Emission enregistrée le 25 mars 2022 ,
câbles sous-marins : l'autre guerre ? le dessous des cartes ,

www.youtube.com le 25 mars 2022.

الفهرس

الفهرس

1	الملخص
2	الشكر
3	الاهداء
4	مقدمة
أ-ي	

الفصل الأول: تاريخية مفهوم الجيوسياسة التعريف و التأسيس

18	المبحث الأول : المفاهيم الجيوسياسية
19	المطلب الأول : المفاهيم المتأصلة في الجيوسياسة
49	المطلب الثاني : المفاهيم المحايثة للجيوسياسة
56	المبحث الثاني : تعريف الجيوسياسة و علاقتها بالعلوم الأخرى
56	المطلب الأول : تعريف الجيوسياسة
74	المطلب الثاني : الإطار التاريخي للجيوسياسة

الفصل الثاني : نشأة الجغرافيا السياسية

82	المبحث الأول : تطور الجيوسياسة قبل الحرب العالمية الثانية
83	المطلب الأول : المدرسة الألمانية
105	المطلب الثاني : المدرسة الأنجلوساكسونية
127	المطلب الثالث : المدرسة الفرنسية
135	المطلب الرابع : المدرسة الروسية
149	المبحث الثاني: إبستمولوجيا الجيوسياسة قبل الحرب العالمية الأولى
149	المطلب الأول: تجليات الجيوسياسة قبل الحرب العالمية الثانية
151	المطلب الثاني: إبستمولوجيا الجيوسياسة قبل الحرب العالمية الثانية

لفصل الثالث : تطور الجيوسياسة خلال الحرب العالمية الثانية و الحرب الباردة

1939 - 1989

161	المبحث الأول : الجيوسياسة خلال الحرب العالمية الثانية و الحرب الباردة
161	المطلب الأول : تجليات الجيوسياسة خلال الحرب العالمية الثانية
165	المطلب الثاني : الجيوسياسة خلال الحرب الباردة

الفهرس

- 176 المبحث الثاني: النتائج الجيوسياسية المترتبة عن الحرب الباردة
176 المطلب الأول : فرانسيس فوكوياما نهاية التاريخ
179 المطلب الثاني : صامويل هنتغتون : صدام الحضارات
196 المبحث الثالث : الجيوسياسة الإفتراضية
197 المطلب الأول : الجيوسياسة السيبرانية
210 المطلب الثاني : جيوسياسة الرياضة
219 المطلب الثالث : الجيوسياسة الشعبية
223 المطلب الرابع : جيوسياسة المعرفة

الفصل الرابع: الجغرافيا السياسية في القرن الواحد و العشرون

- 238 المبحث الأول : إنتقام الجغرافيا و عودة الجيوبوليتيك الكلاسيكية
238 المطلب الأول : زيغنيو بريجنسكي رقعة الشطرنج الكبرى
250 المطلب الثاني : ألكسندر دوغين الأوراسية الجديدة
260 المطلب الثالث : روبرت كابلن إنتقام الجغرافيا
276 المبحث الثاني : الجيوسياسة المعاصرة
276 المطلب الأول : جوزيف ناي القوة الناعمة
285 المطلب الثاني : الفوضى الخلاقة
289 المطلب الثالث : جون ميرشايمر بنية النظام الدولي
297 المطلب الرابع : الأزمة الروسية الأوكرانية
313 الخاتمة
318 قائمة المصادر والمراجع
334 الفهرس